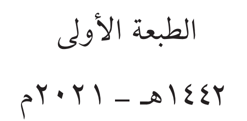

بسم الله الرحمن الرحیم

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة




الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء الرابع.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء الرابع



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٣٧

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: **978-9922-655-07-9**

BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

٤- محور الدراسات التاريخية

- الغدير في سيرة المعصومين عليهم السلام وأصحابهم.
- الصلة بين الغدير وعاشوراء.
- الغدير عند المؤرخين.
- الغدير في المخطوطات والوثائق والمصادر.
- قراءات في موسوعة الغدير للشيخ الأميني رحمه الله.

التسلسل التاريخي لولاية الأمير عليه السلام من حديث الدار إلى حادث الغدير

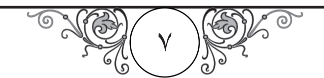
أ. د. سادسة حلاوي

مقدِّمة وتشريف

الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، وأول مَنْ لبَّى دعوته، واعتنق دينه، وصلَّى معه، أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدتْ هاشمي.

ولأمير المؤمنين عليه السلام منزلة عند الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله لا يعرفها إلا الله تعالى ورسوله كما في الحديث النبوي الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، ولا عرفني إلا الله وأنت، ولا عرفك إلا الله وأنا)[1]، وذلك يعني أننا يمكن أن نختصرها بنص القرآن الكريم في آية المباهلة: (وأنفُسْنا وَأنفِسكُمْ) (آل عمران/ ٦١)، فبِمَ بلغ الإمام علي عليه السلام هذه المنزلة؟ وأي طالب الكمال لا يريد أن يعرف كيف أصبح الإمام عليه السلام بهذه المنزلة

(١) (المكتبة الشاملة عن مختصر بصائر الدرجات: ١٢٥، تأويل الآيات الظاهرة: ١/ ١٣٩/ ١٨ وص ٢٢١/ ١٥، مشارق أنوار اليقين: ١١٢)





ليتأسَّى به ويقتفي آثاره.

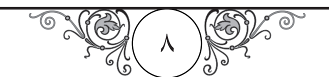
ولادته في الكعبة:

من الواضح أن لهذه الحادثة دلالات واضحة - وهي من المتواترات كما يقول الحاكم في المستدرك - على منزلة الإمام علي عليه السلام ومكانته المتميزة، بل والفريدة، وقد أورد الشيخ الصدوق روايات تاريخية سطَّرها في كتبه(١) أكد أن ولادته عليه السلام كانت في داخل الكعبة المشرفة.

إشارة إلى قول السيدة فاطمة بنت أسد عليه السلام أم الإمام علي عليه السلام: (فأني دخلتُ بيتَ الله الحرام فأكلتُ من ثمار الجنّة وأوراقها، فلمّا أردتُ الخروج هتفَ بيَّ هاتف: يا فاطمة سَمّيه علياً، فهو عليٌّ، والله العلي الأعلى، يقول: أنيّ شققتُ اسمه من اسمي وأدبته بأدبي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتيّ، وهو الذي يؤذِّن فوق بيتي، ويُقدِّسني ويُمجِّدني، فطوبى لمَنْ أحبَّه وأطاعه، وويلٌ لمَنْ عصاه وأبغضه)(٢).

ورد في الروايات أن الإمام علي عليه السلام ولد في جوف الكعبة في يوم الجمعة في الثالث عشر من شهر رجب، وإنّ هذه فضيلةٌ اختصهُ الله بها لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وقد صرَّح بذلك عدد كبير من العلماء(٣) ورواة الأثر، ونظمها الشُّعراء والأدباء(٤) أبرزهم الشاعر إسماعيل الحميري (ت- ١٧٩هـ) الذي نظم قصيدة في الولادة منها:

ولدتهُ في حرمِ الإله وأمنهِ والبيت حيث فناؤه والمسجدُ
بيضاء طاهرة الثياب كريمة طابت وطاب وليدها والمولدُ (٤)



وذكرت بعض المصادر الأُخرى أن المولود في الكعبة حكيم بن حزام(٥) حينما دخلت أمه مع طائفة من النساء إلى جوف الكعبة للتفرج عليها، وكانت الكعبة المشرَّفة يومئذٍ مفتوحة لمناسبة من المناسبات، وكانت وقتها حاملاً به ففاجئها المخاض وهي داخل الكعبة فجيء لها بقطعة من الجلد فوضعت ذلك المولود عليه (٦).

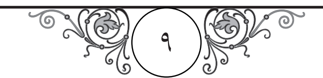
ومن الغريب أن ينفي الدِّيار بكري ولادة الإمام علي عليه السلام في الكعبة بقوله: (ويقال أن ولادته في داخل الكعبة ولم يثبت) (٧).

وهل أن الدِّيار بكري نسي أو تناسى الإجماع بين الإمامية على صحة ولادته عليه السلام في ذلك الموضع المبارك فضلاً عن تواتر الخبر عند غير الإمامية، حتى زمن الحاكم (٨).

ولا شك أن ولادته في هذا المكان المرتبط بالنبي إبراهيم عليه السلام أولاً، ثم النبي محمد صلى الله عليه وآله يدل على التحديد الإلهي لدوره الفاعل في الدِّين الإسلامي.

فقد أكد الشبلنجي الشافعي، بقوله: (سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله، وسيف الله المسلول، ولد عليه السلام بمكة داخل البيت الحرام، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه)(٩).

وأقرَّ بصحة ذلك عدد كبير من المؤرخين والباحثين وهي فضيلة خصَّه الله تعالى فيها(١٠). وذهب الكاتب المصري عباس محمود العقاد إلى القول: (ولد داخل الكعبة، كرم الله وجهه عن السجود لأصنامها،



فكأنما كان ميلاده ايذاناً بعهد جديد للكعبة، وللعبادة فيها...)(١١).

كما نوَّه لذلك الباحث توفيق أبو علم، بقوله: (ولد الإمام علي عليه السلام داخل الكعبة وكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها) (١٢).

ومن الباحثين الذين أكدَّوا صِحَّة ولادته في الكعبة المشرفة، وعدُّوها فضيلة دلَّت على رعاية الباري عزّ وجلّ له، عبد الباقي العمري بقوله مخاطباً الإمام علي عليه السلام في قصيته الخالدة:

أنتَ العليّ الذي فوق العُلا رُفعا ببطن مكة وسط البيت قد وضعا(١٣).

تربية الإمام عليّ عليه السلام في حجر الرسول صلى الله عليه وآله

يبدو واضحاً ترافق ولادته وانتسابه، نشأته وترعرعه في رعاية النبي صلى الله عليه وآله إذ انتقل ليعيش إلى جانبه وزوجته السيدة خديجة بنت خويلد عليه السلام، وذكر ابن هُشام ذلك بقوله: وكان مما أنعم الله به على الإمام علي عليه السلام أنه كان في حِجر الرسول صلى الله عليه وآله قبل الإسلام فلم يزل علي عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي عليه السلام وآمن به وصدقه(١٤).

ما يؤيد ذلك ما قاله الإمام علي عليه السلام في خطبته المسماة بـ(القاصعة): (وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ: وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ)(١٥).

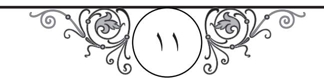
وهـذا النـص يُعطـي دلالـة واضحـة عـلى تأثـير النشـأة في التركيبـة النفسـية، والشـخصية للإمـام عـلي عليـه السـلام منـذ السـنوات الأولى لـه في هـذه الحياة.

وحينـما بلـغ الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه الأربعين مـن عمـره أتـاه جبرائيل عليـه السـلام في غـار حـراء، فألقـى إليـه كلمـة الوحـي وأبلغـه بأنـه نبـيّ هـذه البشريـة والمبعوث إليهـا (١٦).

وكان أول مَـنْ دعـاه إلى سـبيل الله وفاتحـه زوجتـه السـيدة خديجـة عليـه السـلام وابـن عمـه عـلي بـن أبي طالـب عليـه السـلام الـذي كان في العـاشرة مـن عمـره فآمنـا بـه وصدَّقـاه، فكانـت النـواة الأولى لبـدء الدَّعـوة الإلهيـة الكـبرى (١٧) فصلـوا سـبع سـنوات قبـل النـاس جميعـاً.

وبعـد وفـاة أبي طالـب عليـه السـلام واجـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه مـن أذى قريـش مـا لم يكـن ينالـه في حيـاة عمّـه، ومـن ضمنهـا مـا ذكـره الشـيخ الصَّـدوق عـن تآمـر قريـش عـلى قتـل النبـي صـلى الله عليـه وآلـه قبـل الخـروج مـن مكـة والهجـرة إلى يثـرب، وتضاربـت الآراء فيـما بينهـم عـلى كيفيـة قتلـه صـلى الله عليـه وآلـه، «.... وبذلـك يتخلصـون مـن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه ودعوتـه إلى الأبـد... »(١٨).

وبعدهـا هبـط جبرائيـل عليـه السـلام عـلى النبـي صـلى الله عليـه وآلـه فأنبـأه بذلـك وأخـبره بالليلـة التـي يجتمعـون فيهـا، والسـاعة التـي يأتـون فراشـه فيهـا، وأمـره بالخـروج في الوقـت الـذي خـرج فيـه إلى الغـار، عنـد ذلـك أخـبر الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه الإمـام عـلي عليـه السـلام بأمـره، وأمـره أن



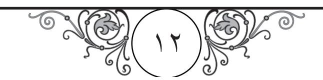


يضطَّجع في فراشه ويقيه بنفسه، فترك مكة مهاجراً إلى يثرب(١٩)، فأنزل الله قرآناً في ذلك: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) (البقرة: ٢٠٧)

الولاية في حديث الدار

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يختار أصحابه فرداً فرداً ولم يوجِّه دعوته إلى الجميع(٢٠) في تلك المرحلة السِّرية والتي استمرت ثلاث سنوات(٢١)، إلى أن جاء الأمر الإلهي: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٤) (٢٢)، فبدأ دعوته العلنية مبتدأً ببني عبد المطلب خاصَّة.

أورد الشيخ الصدوق أن رسول صلى الله عليه وآله جمعهم، وكانوا نحو أربعين رجلاً، فأحضر مُداً(٢٣) ونصف من الطعام، وقدحاً من الماء(اللبن)، ومن معجزته صلى الله عليه وآله، أنهم أكلوا وشربوا حتى شبعوا على الرُّغم من أن ذلك الطعام لا يكفي لواحدٍ منهم، ثم قام خطيباً فيهم فقال: (أني جمعتكم لأعرض عليكم النبوة والنصرة فأيّكم يكون أخي، ووصيّ، ووارثيّ، ووزيريّ، وخليفتيّ، فيكم بعديّ(٢٤)، فعرض ذلك عليهم رجلاً رجلاً فأبوا أن يجيبونه، عند ذلك قام الإمام علي عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله، أخذ الرسول صلى الله عليه وآله بيده وقال يا بني عبد المطلب هذا أخيّ، ووارثيّ، ووصيّ، ووزيريّ، وخليفتيّ فيكم بعديّ، إلا أن تقاليد الجاهلية أبتْ أن تفارقهم فأستهزأ القوم من دعوة الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا لأبي طالب: قد أمرك

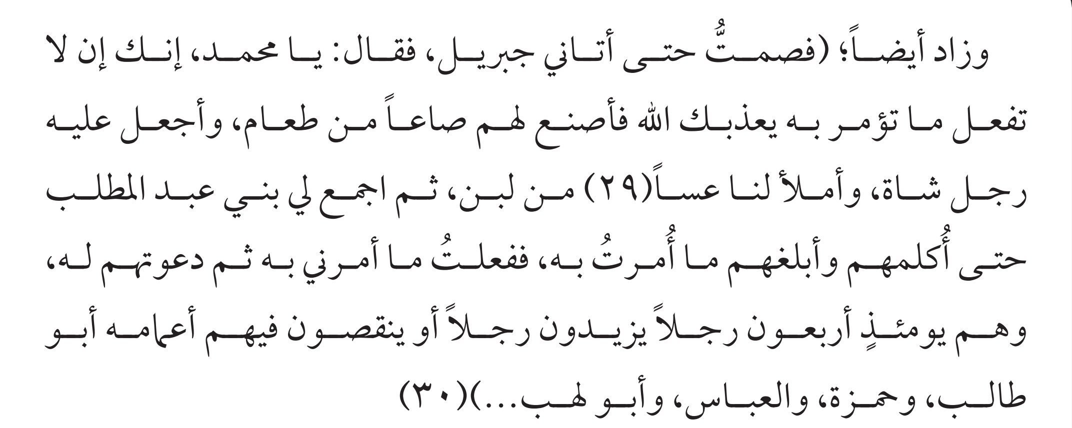


أن تسمع لهذا الغلام وتطيع)(٢٥).

وافق أغلب العلماء والمؤرخين(٢٦) الشيخ الصدوق في نقل الرواية إلا إنهم اختلفوا معه في نقل بعض المفردات من قبيل الطعام المقدم، وأورد أن هناك دعوة لبني عبد المطلب كانت قبل هذه الدعوة لكن أبا جهل قطع كلام الرسول صلى الله عليه وآله وبادر إلى المواجهة الصريحة، حيث استغلَّ معجزة الطعام التي يراها الجميع بأمِّ أعينهم، فرمى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالسِّحر، وقال: «لقد سحركم صاحبكم»، فتفرَّق الجميع في اليوم الأول ولم يستطع الرسول صلى الله عليه وآله أن يقول كلمته حتى اليوم التالي، إذ استطاع النبي صلى الله عليه وآله أن يصدع بما أمره الله تعالى ويقيم عليهم الحجة.

روى ابن الجوزي وآخرون روايات وأحاديث كثيرة دلَّت على استجابة الإمام عليّ عليه السلام السريعة في تلبية دعوة الرسول صلى الله عليه وآله لعشيرته الأقربين من ذلك، روايته عن ابن عباس عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (لما نزلتْ هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله، (وأنذرْ عشيرتك الأقربينَ)(٢٧)، دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقتُ بذلك ذرعاً، وعرفتُ أنِّي متى أبدائهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره... (٢٨).

وهذا يعني أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم ويدرك نوايا بعضهم من عشيرته وأقربائه الذين تمادوا في الكفر والجهالة والضلالة، وأنهم سيقابلونه بما يكره كأبي لهب وأمثاله.



وزاد أيضاً؛ (فصمتُّ حتى أتاني جبريل، فقال: يا محمد، إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك الله فأصنع لهم صاعاً من طعام، وأجعل عليه رجل شاة، وأملأ لنا عساً(٢٩) من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أُكلمهم وأبلغهم ما أُمرتُ به، ففعلتُ ما أمرني به ثم دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون فيهم أعمامه أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب...)(٣٠)

يتبين من الرواية أن الرسول صلى الله عليه وآله قد كلَّف الإمام علي عليه السلام بدعوة أقاربه للحضور وكلَّفه بمسؤولية إعداد الوليمة لهم، مما دلّ على أن الإمام علي عليه السلام كان على الرغم من صغر سنه موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وآله، وأنه كان يمتاز بالعلم، والكفاءة، والمقدرة على إدارة الأمور، وهو صغير، وله مقامٌ عاليٌ عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ جعلهُ ممثلاً عنه في دعوتهم، وهذا يعطي انطباعاً واضحاً بأنه عليه السلام كان الأقرب إلى الرسول صلى الله عليه وآله من الصحابة على الرغم من كبر سنهم.

وفي رواية أُخرى ذكرها ابن الجوزي قائلاً: ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (يا بني عبد المطلب إنِّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنِّي قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخيّ، فأحجم القوم، فقلتُ وأنا أحدثهم سناً: أنا يا نبيَّ الله، فقام القوم يضحكون(٣١).

لا شك أن المقصود بالأخوَّة؛ الأخوة في تبليغ الرسالة كأخوة هارون وموسى (عليهما السلام) بدليل قوله صلى الله عليه وآله فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر الذي جعله صلى الله عليه وآله شرطاً في أخوته.

فهذا النصُّ يكشف عن اتخاذ رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام وصياً وخليفةً من بعده، لذلك أمرهم أن يسمعوا له ويطيعوه، وهذا هو السَّبب الذي جعل ابن الجوزي يقتطع جزء من النَّص له؛ لأنه يناقض معتقده وعقيدته.

مما يثير العجب أن بعض العلماء والمؤرخين ذكروا روايات مناقضة لهذه الرواية الصحيحة في قضية الإنذار، منها إنه صلى الله عليه وآله جمع قريشاً حين نزل قوله تعالى: (وأنذرْ عشيرتك الأقربينَ) فاجتمعوا، فخصَّ وعمَّ، فقال: يا بني كعب بن لؤي، انقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، يا بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار.... (٣٢).

وفي رواية الطبراني: إنه جمع بني هاشم وأجلسهم على الباب، وجمع نساءه فأجلسهن في البيت، ثم كلَّم بني هاشم، وبعد ذلك أقبل على أهل بيته، فقال: يا عائشة بنت أبي بكر، ويا حفصة بنت عمر، ويا أم سلمة، ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، اشتروا أنفسكم في الله، واسعوا في فكاك رقابكم، فأني لا أملك لكم من الله شيئاً ولا أغني، فبكتْ عائشة، وقالتْ... ثم ذكر الرواية محاورة لها معه صلى الله عليه وآله (٣٣)



هذه النصوص لا تثبت صحتها لأسباب منها: أن السيدة فاطمة عليه السلام لم تكن قد ولدتْ بعد(٣٤)، ثم أن عائشة وحفصة وأم سلمة لم يكن من أزواجه حينئذٍ، وإنما صرنّ من أهله في المدينة بعد ذلك بسنين طويلة(٣٥)، فضلاً عن ذلك أن هذا تناقض نص الآية القرآنية نفسها، فإنها تأمره بإنذار العشيرة الأقربين، لا مطلق عشيرته، ولا مطلق الناس، وعشيرته الأقربون إما هم بنو هاشم، أو بنو عبد المطلب.

فنستنتج من الروايات التي أكَّدت حديث الرسول صلى الله عليه وآله في الإمام علي عليه السلام: (أنت أخيّ ووصيّ ووارثيّ ووزيريّ وخليفتيّ فيكم بعديّ)، أن الإمام عليّ عليه السلام هو الأحقُّ والأجدرُ بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم إن في هذا القول دلالة واضحة على المستوى السامي الذي بلغه أمير المؤمنين عليه السلام حتى يستحق وسام الأخوة فيما بينه وبين سيد البشر صلى الله عليه وآله على الرغم من عمره الصغير، وبعد ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (الحجر: ٩٥) (٣٦)، فبدأ الرسول صلى الله عليه وآله بتبليغ دعوته العلنية.

ويبدو واضحاً أن التهديد بالأذى والقتل على لسان زعماء المشركين لم ينقطع في مرحلة الدعوة العلنية، فقد وردت روايات كثيرة في ألوان العذاب الذي لقيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه كعمار بن ياسر وأهله(٣٧)، وبعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله الذين لحق بهم الكثير من الظلم والاذى، وبعضهم أنكروا على الرسول صلى



الله عليـه وآلـه الدِّيـن الجديـد لإثـارة الفتنـة.

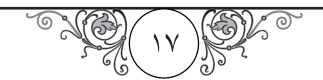
الولاية في حديث المنزلة

تـكاد تتفـق المصـادر وتتواتـر الأخبـار؛ عـلى أن للإمـام عـلي عليـه السـلام منزلـة متميـزة عنـد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه فاقـت منزلـة كل الأهـل والأصحـاب، وكان أَوَّل مَـنْ أسـلم وآمـن وصـلَّى مـع الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه، وكان أحمـد بـن حنبـل إذا سُـئل عـن عـلي وأهـل بيتـه، قـال: «أهـل بيـت لا يقـاس بهـم أحـد»(٣٨)

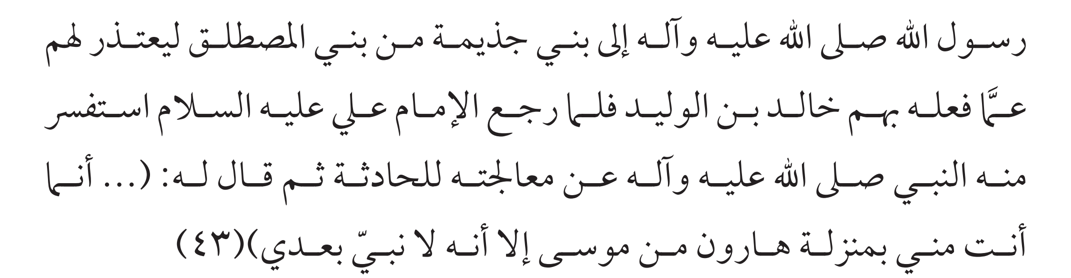
وأنـه قـال في حقِّـه أيضـاً: (مـا بلغنـا عـن أحـد مـن الصحابـة مـا بلغنـا عـن عـلي بـن أبي طالـب عليـه السـلام(٣٩). وفي هـذا تصريـح واضـح بأنـه لم يـرد في حـقِّ أحـد مـن الصحابـة مـن الفضائـل كـما ورد في حـق الإمـام عـلي عليـه السـلام، وبهـذا يكـون هـو الأرفـع مقامـاً، والأكثـر فضائـلاً، والأفضـل سـوابقاً.

وحديـث المنزلـة مـن الروايـات المهمـة بحـق الإمـام عـلي عليـه السـلام التي تثبـت إمامتـه، وفضلـه، وخلافتـه دون غـيره، إذ قـال فيـه رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه: (أنـت منـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى إلا أنـه لا نبـيّ بعـدي) (٤٠).

وافـق أغلـب العلـماء في سرد تفاصيـل تلـك الروايـة(٤١)، أمـا عـن تاريـخ الروايـة فقـد وردت وحسـب رأي أغلـب المؤرخـين في مواطـن عـدَّة منهـا بعـد مـدة مـن غـزوة بنـي المصطلـق مـن بنـي جذيمـة (٤٢)، وذلـك عندمـا أرسـله



رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه إلى بنـي جذيمـة مـن بنـي المصطلـق ليعتـذر لهم عـمّا فعلـه بهـم خالـد بـن الوليـد فلـما رجـع الإمـام عـلي عليـه السـلام اسـتفسر منـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه عـن معالجتـه للحادثـة ثـم قـال لـه: (... أنـما أنـت مني بمنزلـة هـارون مـن موسـى إلا أنـه لا نبـيّ بعـدي)(٤٣)



وفي خروجـه إلى غـزوة تبـوك(٤٤)، إذ إنـه لمـا أراد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه الخـروج إلى هـذه الغـزوة اسـتخلف الإمـام عـلي عليـه السـلام في أهلـه وولـده وأزواجـه ومهاجـره، إذ قـال لـه: (يـا عـلي إن المدينـة لا تصلـح إلا بيّ أو بـك)، إلا أن المنافقـين أثـاروا الشـك حـول الإمـام عـلي عليـه السـلام وأنـه إنـما تخلـف عـن الغـزوة إلا اسـتثقالاً وخوفـاً فلحـقَ بالنبـيّ يُخـبره بـما قالـه المنافقـون، فقـال لـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه: (أمـا تـرضى أن تكـون منـي بمنزلـة هـارون مـن موسـى إلا أنـه لا نبـي بعـدي(٤٥)، وغيرهـا الكثـير مـن المواطـن المشـهودة(٤٦).

وأهـم دلائـل هـذه الروايـة أنهـا أكـد خلافـة الإمـام عـلي عليـه السـلام وولايتـه بعـد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وذلـك مـن جهـة ثبـوت العصمـة لـه، ومـن جهـة الأفضليـة لـه، وأشـار الإمـام عـلي عليـه السـلام بنفسـه إلى هـذا الأمـر قائـلاً: (... واصطفـاني بخلافتـه في أمتـهِ، فقـال وقـد حشـده المهاجـرون والأنصـار وأنغصَّـت بهـم المحافـل، أيّهـا النـاس إن عليـاً منـي كهـارون مـن موسـى إلا إنـه لا نبـيّ بعـدي)(٤٧)

فضـلاً عـن ذلـك فأنهـا دلَّـت عـلى افـتراض طاعـة أمـير المؤمنـين عليـه السـلام عـلى سـائر الأمـة كـما كانـت طاعـة هـارون مفترضـة عـلى جميـع أمـة

موسى، وأثبتت ولاية الإمام علي عليه السلام على الجميع عدا رسول الله صلى الله عليه وآله ودلَّت على عصمة الإمام علي عليه السلام (٤٨).

ومن الغريب أن تثار الشكوك حول مغزى الرواية فقد ادَّعى بعضهم أمورًا عدة؛ منها إنّ هذا الحديث لا يدلُ على عموم المنزلة، وإن هذه الخلافة كانت خلافة مؤقتة من ظرف خاص وزمان محدد، وفي حياة النبي صلى الله عليه وآله، فضلاً عن ذلك أن حديث المنزلة ورد في خصوص غزوة تبوك فالقضية خاصة، وإنه ورد في هذه القضية المعنية(٤٩)، إلا أن هذه الادعاءات بعيدة عن الصحة والواقع وغير مقبولة من جوانب عدة؛ منها أن الرسول صلى الله عليه وآله كررها مرات عديدة، فضلاً عن تمني بعض أكابر الصحابة أن يكون هو والقرائن الداخلية في الحديث تنفي تلك الأقوال، وقد وظَّفها العلماءُ والمؤرخون لإثبات أن الخلافة للإمام علي عليه السلام دون غيره ولإظهار دور الإمام علي عليه السلام وأهميته بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أما ما نسبه ابن الجوزي من فضيلة لأبي بكر فقد تغافل في رواياته (حديث المنزلة) الذي رواه بنفسه وعدَّه حديثاً معتبراً، قال فيه النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي)(٥٠)

وبهذا يكون الإمام علي عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي لفظ للنيسابوري وأحمد: (ما جاء لأحد من الصحابة من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب(٥١)، وأكدها الزرقاني قائلاً: (... لم



يـرد في حـق أحـد بالأسـانيد الجيـاد مـا ورد في حـق عـليّ) (٥٢)

الولاية في حديث الغدير (الغديرية)

عـزم رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه الخـروج إلى الحـج في السَّـنة العـاشرة مـن الهجـرة، وأذَّن في النـاس بذلـك فقـدم المدينـة خلـق كثـير يأتمـون بـه في حجتـه تلـك التـي عُرفـتْ بحَجـة الـوداع، وحَجـة الإسـلام، وحَجـة البـلاغ، وحَجـة التـمام، فخـرج مـن المدينـة وذلـك يـوم السبت لخمس ليـالٍ أو سـت بقـين مـن ذي القعـدة وأخـرج معـه كل نسـائه في الهـوادج، وسـار معـه أهـل بيتـه وعامَّـة المهاجريـن والأنصـار وكثـيرٌ مـن قبائـل العـرب التـي دخلـت في الإسـلام. (٥٣)

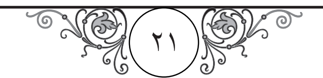
وبعـد أن أنهـى الرسـول صلى الله عليـه وآلـه مناسـكه مـن حجـة الـوداع وغـادر مكـة المكرمـة ليعـود إلى المدينـة المنـورة، وفي الطريـق وهـو يطـوي بمَـنْ معـه مـن ألـوف الصحابـة صحـراء الحجـاز المحرقـة نـزل عليـه قولـه تعـالى: ﴿يا أيّها الرَسُولُ بلغْ ما أُنزلَ إليكَ من رَبك وإن لم تفعلْ فما بلغتَ رسالتهُ والله يعصمُكَ من الناس إن الله لا يهدي القوّم الكافرونَ﴾(٥٤)، في مـكان يُقـال لـه: (غديـر خـم)(٥٥)، فأمـر بتأخـير مَـنْ تقـدم وانتظـر مَـنْ تأخـر، ونـادى منـادي الرسـول صلى الله عليـه وآلـه الصـلاة جامعـة، وكان يـوم شـديد الحـرّ، حتـى أنّ الرجـل منهـم ليضـع طـرف ردائـه عـلى رأسـه، والآخـر تحـت قدميـه (٥٦).



وقام النبي صلى الله عليه وآله وخطب بالناس، فقال: (مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه)(٥٧)، توافق العلماء فيما ذهبت إليه هذه الرواية(٥٨)، على الرغم من تعدد طرق رواياتها (٥٩)، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد الإمام علي عليه السلام ورفعها عالياً إذ يراه جميع المجتمعين في هذا المؤتمر، وبعد ذلك أمر الناس بأن يقوموا فرداً فرداً ويبايعوه ويُسلِّموا عليه بالإمرة والخلافة طوعاً، وكان ذلك في الثامن عشر من ذي الحجة فبايعه الجميع حتى النساء نساء النبي صلى الله عليه وآله وسائر المؤمنات إذ جئن فوضعن أيديهن في الطشت الذي وضع أمير المؤمنين عليه السلام يده فيه وهو خلف الخيمة فبايعنَه على الخلافة والولاية، وبعد إتمام البيعة أنزل الله (عزّ وجلّ) قوله تعالى: ﴿اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلامَ ديناً﴾(٦٠).

ما دّل على صحَّة الحديث أنه قد رواه ما يقرب مئة وعشرة من صحابة النبي صلى الله عليه وآله، وأربع وثمانون راوٍ من التابعين، وكذلك أخرجه ما يربو عن أربعمائة عالم ومحدِّث ومفسِّر ومؤرِّخ ورجالي وكثير من رجال العلم والأدب المعتمد عليهم عند أهل السُّنة، وصُنِّف أكثر من مئة وأربعة وثمانين كتاباً ورسالة، وبلغات مختلفة عربية، وفارسية، وهندية، وأجنبية، فيما يخص مسألة الغدير، وقد طبعت أكثرها، وبعضها تكرر طبعه حتى وصل إلى خمس مرات أو أكثر(٦١)

وعن دلالة هذه الرواية فالمتتبع لفقراتها يلحظ؛ أن أهم مضمون من مضامينها الإمامة والولاية إذ أكد صلى الله عليه وآله أنه قد أناط مهمة



قيادة الأمة من بعده بالإمام علي عليه السلام، ومن الأدلة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله حصرها في الإمام علي عليه السلام عندما قال: (هو وليكم من بعدي،...)، وكذلك لوجود كلمة بعدي التي تدل على هذا الكلام، ومن الشواهد الأُخرى قول الإمام علي عليه السلام في أبيات من الشعر رداً على معاوية إذ قال(٦٢).

وأوجبَ لي ولايته عليكمُ رسول الله يوم غدير خم

وأشار إلى ذلك أيضاً حسان بن ثابت - حاضر مشهد الغدير - الذي استأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينظم الحديث في أبيات من الشعر إذ قال:

يناديهم يوم الغدير نبيُّهم ... بخمٍ وأكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمَنْ مولاكم ووليكمُ ... فقالوا ولم يبدو هناك التعاديا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قُم يا عليّ فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا (٦٣)

وأفصح الإمام الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الناس بولاية الإمام علي عليه السلام يوم غدير خم وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب(٦٤)، ودلت هذه الرواية على العصمة وألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله تدل على هذا مثلاً قوله: (أن علياً لا يفعل إلا ما يؤمر به) و (إنما يفعل ما أمر به)، وهي إشارة واضحة عن العصمة لأمير المؤمنين عليه السلام (٦٥).

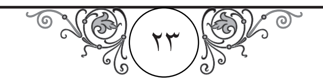
روى أحمد بن حنبل حديث الغدير في أواخر حياة النبي صلى الله

عليه وآله قال حدثنا أبي الطفيل قال: (جمع عليّ الناس في الرحبة ثم قال لهم: أنشد الله كل أمرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله، يقول: يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس، وقام ناس كثيرون، فشهدوا حين أخذوا بيده، فقال للناس أتعلمون أنيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: مَنْ كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه).

قال: فخرجتُ وكأن في نفسي شيئاً، فلقيتُ زيد بن أرقم فقلت له: إني سمعتُ علياً عليه السلام يقول كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لهُ(٦٦).

ولا بد من الإشارة إلى أن الحاكم النيسابوري يبدأ حديث الغدير بذكر حديث الثقلين والحقيقة دلالة حديث الثقلين الذي نصَّ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله على وجوب اتباع أهل بيته لأنهم عِدْلُ القرآن، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، وأمر بالتمسك بالثقلين كتاب الله، وعترتي أهل البيت وهم (عليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأولادهم)(٦٧). وأنهم لن يفترقا، لأنهم هم الذين يبيِّنون أحكام القرآن، وتعاليمهُ، والتمسك بهم ينجي من الهلاك والعذاب، وهنا بيَّن أن أحدهم أكبر من الآخر.

إن حديث المنزلة لرسول الله صلى الله عليه وآله في الإمام علي عليه السلام:(أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى)، وهذا الكلام استخدمه الشيخ الصدوق في أكثر من موضع لإثبات الخلافة للإمام علي عليه السلام دون غيره فقد تحدث بكلام مطوَّل عن دلالة قول النبيّ صلى



الله عليه وآله له هذا القول، وقد سرد روايات عدَّة في هذا المجال منها ايراده لرواية موصولة إلى الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ذلك عندما سئل عن قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعديّ)، فأجاب جابر بقوله: استخلفه بذلك والله على أمته في حياته، وبعد وفاته، وفرض عليهم طاعته، فمَنْ لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين)(٦٨)

إلى أن يصل الصدوق لإعطاء رأيه بهذه الرواية بقوله: أجمعنا وخصومنا على نقل قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)، فهذا القول يدلُّ على أن منزلة علي منه في جميع أحواله بمنزلة هارون من موسى في جميع أحواله.... وأن النبي صلى الله عليه وآله قد نص على إمامة علي عليه السلام بعد وفاته وأنه استخلفه وفرض طاعتهُ) (٦٩)

فيتضح من تلك الروايات نتيجة مغزاها؛ أن الإمام علي عليه السلام هو نفس النبي صلى الله عليه وآله مدافعاً عنه بنفسه في كل موطن، وكان معه إذ تركه وفرَّ عنه الأصحاب، حتى قال الرسول في حقه: (أنه مني وأنا منه)، وقد ذكرها الشيخ الصدوق كان يسعى لتوظيفها سياسياً في قضية الإمامة والخلافة فهو نفس رسول الله على حدِّ تعبير الرواية، والآية(أنفسنا وأنفسكم).

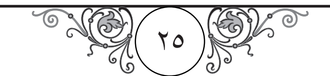
وقد وافق كثيرٌ من العلماء والمؤرخين في نقل الصدوق لتلك الرواية وخاصة في استبساله ودفاعه البطولي عن الرسول صلى الله عليه وآله.

ومن الملاحظ أن الحاكم النيسابوري يكمل حديث الغدير بذكر ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بذكر قول النبي صلى الله عليه وآله، ثم أخذ بيد عليّ، وقال: (مَنْ كنتُ مولاه)، وأكد الحاكم النيسابوري صحَّة الاسناد بقوله: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه(٧٠)، والنبي صلى الله عليه وآله أكّد على أمر الولاية بتكرارها ثلاث مرات.

أما البخاري فقد أسقطها في الصحيح، وذكرها في كتابه التاريخ الكبير(٧١)، إلا أن بعضهم حاول تغيير معنى الرواية ومقصدها إلى أمر آخر محتجين بأمور واهية منها؛ إنّ الغاية من قول النبي صلى الله عليه وآله مجرد ابلاغ الناس وأمرهم بالمودة والمحبة لأمير المؤمنين عليه السلام فقط، وللرد على ذلك نقول: من غير المعقول أن يقوم رسول الله صلى الله عليه وآله ليجمع الناس في الحر الشديد لمجرد إبلاغهم بحب الإمام علي عليه السلام ونورد حقيقتين مهمتين للرد على هذا الادعاء هما:

أوّلاً: قال أكثر الحفاظ والمؤرخين من أهل الجمهور الذين رووا حديث الغدير في كتبهم ورسائلهم وصنفوا كتباً مستقلة أن الشيخين أبا بكر وعمر وكذلك عثمان كانوا في مقدمة الرواة لحديث الغدير.

ثانياً: روى أكثر من ستين عالماً وحافظاً ومؤرخاً بأن الشيخين أبا بكر وعمر هما أوّل من بارك للإمام عليّ عليه السلام بالخلافة والولاية وقالا له: (بخٍ بخٍ لك يا عليّ أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة) (٧٢)، هذا دلالة على أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.



الخاتمــة:

١- يبـدو مـن النصـوص والروايـات أن الإمـام عـلي عليـه السـلام هـو الوحيـد الـذي اسـتجاب للرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وحصـل عـلى منزلـة الأخـوة في تبليـغ الرسـالة، كأخـوة هـارون وموسـى (عليهـما السـلام) وهـو الدليـل الواضـح لمعرفـة المؤمـن مـن المنافـق.

٢- اتفقـت المصـادر عـلى أن الإمـام عـلي عليـه السـلام لـه منزلـة فاقـت منزلـة سـائر الصحابـة عنـد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه، وهـو مـا تغـاضى عنـه بعـض المتعصبـين لعقيدتهـم ومذهبهـم وحاولـوا تأويلـه، ووضـع روايـات منسـوبة للإمـام عـلي عليـه السـلام بهـدف طمـس معـالم الحقيقـة فجعـل منزلته تـأتي في الدرجـة الرابعـة بعـد الخلفـاء الثلاثـة.

٣- اسـتدل المؤرخـون بروايـات وأحاديـث كثـيرة بيَّنـت فيهـا المنزلة السـامية للإمـام عـلي عليـه السـلام عنـد الله ورسـوله صـلى الله عليـه وآلـه وأثارهـا الاجتماعيـة والسياسـية فهـو مـن أهـل بيـت الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه في حديـث الكسـاء والمباهلـة الذيـن تحـرم عليهـم الصدقـة، وأحـب الخلـق إلى الله ورسـوله، كـما في حديـث الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه سَـدْ الأبـواب كلهـا في المسـجد النبـويّ إلا بـاب الإمـام عـليّ عليـه السـلام، ويحـلُ لـه مـا يحـلُ لرسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه.

٤- أخفـى بعـض المؤرخـين المتعصبـين لعقيدتهـم فضائـل الإمـام عـليّ عليـه السـلام والدالـة عـلى أفضليـة الإمـام عـليّ عليـه السـلام عـلى سـائر الصحابـة

التي ذكرتها النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والروايات التاريخية، كآية التطهير، والمباهلة، والولاية، وغيرها، على الرغم من أنها من الأدلة الشرعية القاطعة في أفضلية الإمام عليّ عليه السلام.

٥- أجمعت روايات المذاهب الأخرى على خطبة الرسول صلى الله عليه وآله بالولاية في غدير خم (الولاية الغديرية)، والتنصيب الإلهي للإمام عليّ عليه السلام بالإمامة والخلافة، وذكر حديث الثقلين المتواتر.

٦- تواترت الروايات في إثبات صحة الخلافة والولاية للإمام عليّ عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق اجمعين أبي القاسم محمد المصفى وآلة الطيبين الطاهرين، والحمد لله الذي وفقنا لولاية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

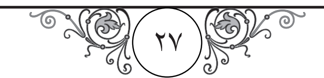
الهوامش:

١. علل الشرائع الصدوق، ج١، ص ١٣٥؛ معاني الأخبار، ص ٦٢.

٢. الآمالي للصدوق، ص ١٩٤.

٣. المسعودي، إثبات الوصية للإمام علي عليه السلام، ص ١٤٢؛ الحاكم النيسابوري؛ المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٤٨٣.

٤. النيسابوري، روضة الواعظين، ص٨١؛ ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ٢٤.



٥. ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص٣١؛ ابن الاثير، أسد الغابة، ج٢، ص ٤٠-٤١.

٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٤٦.

٧. تاريخ الخميس، ج٢، ص ٢٧٥.

٨. الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج٣، ص ٤٨٣.

٩. نور الأبصار للشبلنجي، ص ٦٩.

١٠. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص ٤٨٣.

١١. عبقرية الإمام عليّ (عليه السلام) عباس محمود العقاد، ص ٤٣.

١٢. الإمام علي عليه السلام بن أبي طالب(؟؟)، ص ٢٧٨.

١٣. الترياق الفاروقي(؟؟)، ص ٩٧.

١٤. السيرة النبوية، ج١، ص ٢٨٢؛ ابن الاثير، أُسد الغابة، ج٤، ص ٩٢.

١٥. ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، ص ٤٣٢.

١٦. ابن هشام، السيرة، ج١، ص٥٣؛ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ٢٢.

١٧. ابن هشام، السيرة، ج١، ص ١٥٥؛ المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٩٨.

١٨. الصدوق، الخصال، ص ٣٦٦.

١٩. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص ٢٢٣.

٢٠. سورة الانفال: ٣٠.

٢١. الصدوق، كمال الدين، ص ٣٤٥؛ الطبري، تاريخ، ج٢، ص٦١؛ ابن الاثير، الكامل، ج٢، ص ٦٠.

٢٢. سورة الشعراء: ٢١٤.

٢٣. مكيال قديم لقياس الحجم، سليمان، الاوزان والمقادير، ص ١١٨.

٢٤. الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص ١٦٩.

٢٥. المصدر نفسه، علل الشرائع، ج١، ص ١٧٠.

٢٦. ابن اسحاق، السيرة، ج٢، ص ١٢٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٥٢.

٢٧. المنتظم، ج٢، ص ٥٦٨؛ النعماني المغربي، شرح الاخبار، ج١، ص ٥١٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٢، ص ٤٧؛ السيوطي، الدرر المنثور، ج٥، ص ١٧.

٢٨. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٦٣.

٢٩. العس يعني القدح الكبير. ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث، ج٣، ص٢٣٦.

٣٠. المنتظم، ج٢، ص ٥٦٨.

٣١. المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٦٩.





٣٢. راهويـه، مسـند ابـن راهويـه، ج١، ص ٢٦١؛ ابـن حنبـل، المسـند، ج٢، ص ٥١٣.

٣٣. المعجم الكبير، ج٨، ص ٢٢٥.

٣٤. ولـدت فاطمـة الزهـراء (عليهـا السـلام) في السـنة الخامسـة مـن نـزول الوحـي، ينظـر: ابـن شـهر اشـوب، مناقـب آل أبي طالـب، ج٣، ص ١٣٢؛ الاربـلي، كشـف الغمـة، ج٢، ص ٧٦.

٣٥. تزوجهـن الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه بعـد الهجـرة إلى المدينـة المنـورة. ينظـر: ابن سـعد، الطبقـات الكـبرى، ج٨، ص ٢١٧.

٣٦. سورة الحجر: ٩٤-٩٥.

٣٧. الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٤٣٢.

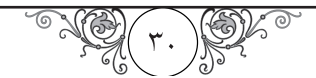
٣٨. المسند، ج١،، ص ١١٩، الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٩، ص ١٠٦.

٣٩. المصدر نفسه، ج١، ص ١٧٩.

٤٠. ابن الابار، المعجم، ص ٤٣.

٤١. أحمـد بـن حنبـل، المسـند، ج١، ص١٧٩؛ مسـلم، صحيـح مسـلم، ج٧، ص ١٢٠؛ النسـائي، فضائـل الصحابـة، ص ١٣.

٤٢. أحـد الغـزوات الدفاعيـة ضـد اليهـود والتـي قادهـا رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسـببها المبـاشر هـو بعـد ان علـم الرسـول الكريـم صـلى الله عليـه وآلـه ان الحـارث بـن أبي ضرار سـار في قومـه ومـن حالفـه مـن العـرب يريـد



الحرب، وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة للهجرة، وقد انتصر فيها المسلمون.

٤٣. الصدوق، الامالي، ص ٢٣٨.

٤٤. وهي من الغزوات التي وقعت سنة (٩هـ) بين المسلمين بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله من جانب وبين الروم بقيادة هرقل، وكانت في حر شديد، فلما وصل الرسول صلى الله عليه وآله إلى تبوك تفرقت جموع هرقل ولم يحدث قتال بينهم: الواقدي، المغازي، ج٢، ص ٩٨٩؛ ابن خياط، تاريخ ابن خياط، ص ٥٦.

٤٥. البياضي، الصراط المستقيم، ج٢، ص ٤٧.

٤٦. المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٧.

٤٧. الكليني، الكافي، ج٨، ص ٢٦.

٤٨. الميلاني، حديث المنزلة، ص ٤٢ – ٤٥.

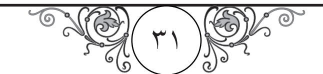
٤٩. المصدر نفسه، ص ٤٩.

٥٠. المنتظم، ج٣، ص ١٢٤٤.

٥١. المستدرك، ج٣، ص ١١٦.

٥٢. شرح الزرقائي، ج١، ص ٢٤١؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٣، ص ١١١٥.

٥٣. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص ١٠٩.



٥٤. المائدة: ٦٧.

٥٥. اسم موضع غدير خم وادٍ بين مكة والمدينة على ثلاثة أميال من الجحفة به غدير: ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨٩.

٥٦. الكوفي، مناقب أمير المؤمنين، ج٢، ص ٣٦٨.

٥٧. ابن الابار، المعجم، ص ٣١٣.

٥٨. الصفار، بصائر الدرجات، ص ٩٧.

٥٩. ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ص ٥.

٦٠. المائدة: ٣.

٦١. ايماني، الإمام علي، ص ٣٥.

٦٢. ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص ١٩.

٦٣. الكراجكي، كنز الفوائد، ص ١٢٣.

٦٤. الكليني، الكافي، ج١، ص ٢٨٩.

٦٥. ايماني، الإمام علي، ص ٣٥.

٦٦. المستدرك، ج٣، ص ٥٣٣.

٦٧. المصدر نفسه، انظر ايضاً: الطبراني، المعجم الصغير، ج١، ص ١٣١.

٦٨. الصدوق، معاني الاخبار، ص ٧٤.



٦٩. المصدر نفسه، ص ٧٤ - ٧٩.

٧٠. المستدرك، ج٣، ص ٥٣٣.

٧١. المصدر نفسه.

٧٢. المصدر نفسه.

المصادر والمراجع:-

*القرآن الكريم.

١. ابن الابار، أبو عبد الله محمد بن بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م).

* ديوان ابن الابار، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، وزارة الاوقاف، المغرب، ١٩٩٩م.

* كتاب المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، د. ط، مجريط، ١٨٨٥م.

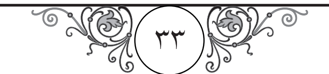
٢. ابن الاثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م).

* الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

٣. ابن الاثير، مجد الدين أبو العلات المبارك (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

* النهاية غريب الحديث الاغر، تحقيق طاهر أحمد الرازي، ط٤، مؤسسة إسماعيليات، د. م، ١٣٦٤هـ.

٤. الاربلي، علي بن أبي (ت ٦٩٣هـ).



*كشف الغمة في معرفة الائمة، ط٢، دار الاضواء، بيروت، ١٩٩٣م.

٥. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق (ت ٥١٥هـ).

* كتاب السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط١، د. م، ١٩٧٨م.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م).

* صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب، ط٣، بيروت، ١٤٠٧ه.

٧. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن الحسين بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م).

* انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد الله، مصر، ١٩٥٩م.

٨. البياضي، أبو محمد علي بن يونس العاملي (ت٨٧٧هـ/ ١٤٧٤م).

* الصراط المستقيم الى مستحقي التقديم، المكتبة المرتضوية الجعفرية، ١٣٨٤م.

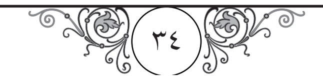
٩. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

* السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

١٠. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).

* المنتظم في تاريخ الملوك، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، ٢٠١٠م.

١١. الحاكم الحسكاني، من علماء القرن (٥هـ/ ١٢م).



* شواهد التنزيل، ط١، بيروت، ١٩٧٤م.

١٢. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م).

* المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر، ط١، بيروت، ١٤١١هـ.

١٣. ابن حجر الهيثمي (ت٩٧٤هـ).

* الصواعق المحرقة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٤. ابن أبي الحديد، أبو حامد بن محمد بن الحسين (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م).

* شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٩٥٩م.

١٥. الحموي، شهاب الدين عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

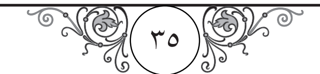
* معجم البلدان، د. ط، بيروت، ١٩٧٩م.

١٦. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م).

* مسند أحمد بن حنبل، بيروت، د. ت، ط١.

١٧. الخوارزمي، الموفق بن احمد (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م).

* المناقب، تحقيق ملك الحمود، ط٢، رقم المشرفة، ١٤١٤هـ.



١٨. ابن خياط، خليفة أبو عمرو العصفوري (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).

* تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، بيروت، د. ت.

١٩. الديار بكري، حسين بن محمد.

* تاريخ الخميس في أحوال نفيس، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٢هـ.

٢٠. الذهبي، شمس الدين بن محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م).

* تاريخ الإسلام، ط١، بيروت، ١٩٨٧م.

*سير اعلام النبلاء، تحقيق حسين الاسد، ط٩، بيروت، ١٩٩٣م.

٢١. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قرغلي البغدادي (ت ٦٥٤هـ).

* تذكرة الخواص، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، طهران.

٢٢. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ).

* الطبقات الكبرى، د. ط، دار صادر، بيروت، د. ت.

٢٣. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ).

* تاريخ الخلفاء، مطابع معتوق إخوان، بيروت، د. ت.

*الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٢٤. ابن شهر آشوب، أبو عبد الله محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ).

*مناقب آل أبي طالب، تحقيق لجنة أساتذة النجف، النجف، ١٩٥٦م.

٢٥. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨هـ).

* الأمالي، ط١، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٧هـ.



* الخصال، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، ط١، بيروت، ٢٠٠٨م.

* علل الشرائع، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، النجف، ١٩٦٦م.

* معاني الاخبار، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، قم، ١٣٣٨هـ.

٢٦. الطبراني، سليمان بن أحمد بن ايوب (ت ٣٦٠هـ).

* المعجم الكبير، ط٢، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ.

٢٧. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ).

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد وعادل عبد الموجود، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢٨. ابن عساكر، علي بن الحسن أبي القاسم بن إبراهيم الحسن (ت ٥٧١هـ).

* تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين العمري، د، ط، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٩. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧هـ).

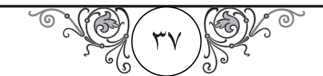
* مجمع الزوائد، د. ط، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٠. العقاد، عباس محمود.

* عبقرية الإمام علي عليه السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

٣١. العمري، عبد الباقي بن أحمد (ت ١٢٩٧هـ).

* الترياق الفاروقي، د. م، ١٢٨٧هـ.



واقعة الغدير في التصميم الذكي وحتمية التاريخ

أ. د. رسول ريسان شاكر

تعدُّ واقعة الغدير أهم حدث عالميٍّ فريد من نوعه أثَّر بشكل كبير في حركة التاريخ على المستوى العالمي وله مستقبل واضح وواسع في صنع الحوادث القادمة، في هذا البحث ستتم دراسة واقعة الغدير وتحليل بعض جزئياتها بالاعتماد على ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة وما نقلته لنا كتب التاريخ، يهدف البحث إلى تفسير ما ورد من حوادث جزئية في هذه الواقعة تفسيراً قائماً على مبادئ التصميم الذكي وبأنَّ الحوادث في هذه المدَّة من الزمن كانت مصنوعة ومصمّمة بشكل مباشر من الله الخالق العظيم من أجل أحكامها، ولا يمكن التعامل معها على أنّها أحداث متسلسلة جرت وفق النظريات المطروحة كالنظريات المادية المختلفة، بسبب وجود معجزات خارقة للقوانين الطبيعية وثقتها الكتب التاريخية، وبسبب تهاوي بعض تلك النظريات وضعفها، ومن خلال البحث يتمّ ربط تلك الواقعة بالحتمية التاريخية وفق التصور الإسلامي وبيان أثر ذلك في تلك الحتمية وكيف تؤسس لها، ويسهم البحث في إبراز أهمية تلك الواقعة من جهة كونها مصمّمة تصميماً إلهياً وأنَّ هناك عنايةً فائقةً بها مع إيماننا بأنَّ الرعاية الإلهية على نحو العموم ترافق جميع الحوادث التاريخية، وأنَّ هناك ارتباطاً مباشراً بين تلك الواقعة

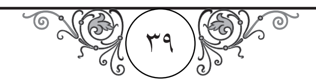
والغايـة النهائيـة للتاريـخ التـي ينشـدها الإنسـان وضرورة طـرح موضـوع الغديـر عالميـاً في الفلسـفات المعـاصرة لكـي يكـون مؤسسـاً لحتميـة بديلـة عـن كلِّ مـا تطرحـه النظريـات الأُخـرى. يوضـح البحـث أيضـاً انفراديّـة هـذه الواقعـة عـلى مـرِّ التاريـخ وبأنَّهـا لم تجـرِ لأحـد عـلى حـدِّ علمنـا، وأنَّ النبـيَّ الأعظـم محمّـداً صـلَّى الله عليـه وآلـه قـد لخَّـص حركـة التاريـخ بوضعـه وتـداً في واقعـة الغديـر وشـاخصاً في آخـر الزمـان باتسـاع النـور عـلى يـد حفيـده وسـميّه الحجّـة ابـن الحسـن عليـه السـلام، وأنَّ حركـة التاريـخ في مرحلتـه الأخـيرة قـد حـددت بـين الوتـد والشـاخص، وبينهـما تـدور سلسـلة الحـوادث وتشـتد شـؤونها قـوة وضعفـاً وإليهـما الغايـة وعندهمـا الحتميـة.

الكلـمات المفتاحيـة: النبـيُّ محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه، الإمـام عـليٌّ عليـه السَّـلام،، الحجّـة ابـن الحسـن عليهـما السـلام، واقعـة الغديـر، التصميـم الذكـي، حتميّـة التاريـخ، حركـة التاريـخ، فلسـفة التاريـخ، الدراسـات الاسـتشراقية.

١. واقعة الغدير

هنـاك كثـير مـن الآيـات القرآنيـة الكريمـة والروايـات الشريفـة التـي بينـت فضـل أمـير المؤمنـين عـليٍّ بـن أبي طالـب عليـه السَّـلام وولايتـه عـلى النـاس وخلافتـه لرسـول الله، ومـن هـذه الآيـات آيـة الولايـة وآيـة أُولي الأمـر وآيـة التطهـير وآيـة صالـح المؤمنـين وغيرهـا[1]، أمَّـا الأحاديـث فقـد كانـت كثـيرة

(١) ينظر آيات الولاية في القرآن الكريم، آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٣٧٦



جداً مثل حديث النور وحديث الطير وحديث الثقلين وحديث المنزلة[1] وغيرها كثير، وقد وردت في كتب العامّة كما وردت في كتب الخاصة[2].

كلُّ تلك الآيات والروايات تبيّن وتؤسس لامتداد الرسالة وحفظها والعمل عليها من قبل أشخاص معينين، أمَّا ما ورد في واقعة الغدير فهو تأكيد لذلك والبيان الرسمي للتنصيب والإعلان والإبلاغ عنه بعد حجّة الوداع وأمام الحجاج المسلمين، حيث تشتمل تلك الواقعة مجموعة من الحوادث الجزئية التي ترسِّخ هذا الأمر وتثبّته.

فواقعة الغدير تعدُّ من أهم الوقائع في الإسلام[3]؛ لأنَّها تحدثت بموضوع يتعلق بتنصيب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام ولياً، حيث تشمل تنفيذ الأمر الألهي بالتبليغ وأخذ البيعة وإكمال الدين وإتمام النعمة.

تضمنت الواقعة خطبةً مطولةً لرسول الله صلَّى الله عليه وآله كما ورد في عدّة روايات، وا إليها ولم يذكروا ذلك، وتشمل تنصيب أمير المؤمنين عليٍّ عليه السَّلام والبيعة له من قبل المسلمين ونزول الآيات الشريفة، وقد

صفحة.

(١) ينظر نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار، الجزء ١-٢٠، للسيد حامد حسين اللكهنوي، تأليف: السيد علي الحسيني الميلاني.

(٢) ينظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للشيخ الطوسي، تأليف: العلامة الحلي ابن المطهر الحسن بن يوسف.

(٣) ينظر الغدير للعلامة الأميني.

نقل ذلك عدد كبير من المسلمين واتفقوا وتواترت الروايات عليها([1]) ([2])، ولكن لم ترد التفاصيل ولا وعظ، فقال ما شاء أنْ يقول لكن لم يرد ذلك، لكنَّ رواية الإمام الباقر عليه السَّلام قد بيّنت تلك الخطبة[3]، نعتقد بضرورة الاعتماد على رواية الإمام الباقر عليه السَّلام وقد بيّن الإمام عدد المسلمين على نحو أصحاب موسى عليه السَّلام الذين أخذ عليهم البيعة لهارون عليه السَّلام فنكثوا واتبعوا العجل والسامري. كانت آخر حجّة لرسول الله وبعد أن وصل إلى مكان بالجحفة بين مكة والمدينة عُرف بغدير خم في الثامن عشر من ذي الحجّة في السّنة العاشرة للهجرة وكان معه جموع كثيرة.

١. ١. بعض ممَّا ورد في القرآن الكريم

آية التبليغ

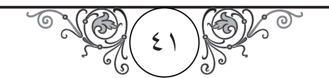
هذه الآية الشريفة تخاطب النبيَّ صلَّى الله عليه وآله بإصرار وتحثّه على ضرورة أنْ يتحدث بصراحة تامَّة عن مسألة مهمّة جداً، جعل عدم تبليغها في هذا الموقف العظيم وفي حجة الوداع بمثابة عدم تبليغ الرسالة كلِّها، والرسالة تشمل العقائد والفروع من الصلاة والصوم والزكاة

---

(١) مسند أحمد بن حنبل.

(٢) ينظر نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار الجزء السادس إلى الجزء التاسع، وأيضاً الجزء العشرون.

(٣) الاحتجاج ٤٨-٦٨.



والحجِّ وغير ذلك[1]، وقد نزلت وهو في طريقه من مكّة المكرمة، والآية هي: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2]، فعن أبي سعيد الخدري أنّها نزلت يوم غدير خم في عليِّ بن أبي طالب[3]، وكان ذلك بعد ثلاث وعشرين سنة من الرسالة، وفي نهاية عمره الشريف في السنة العاشرة للهجرة، جعلت هذه الآية تبليغ الولاية بمقام الرسالة.

إنَّ الرسالة وتبليغها فرع وجود مبلغها وهو النبيّ صلَّى الله عليه وآله، ودوامها والحفاظ عليها فرع تثبيت إمامها وهو الإمام عليّ عليه السَّلام، وقد ذهب الرازي في تفسيره إلى أنَّ الإبلاغ يعني بلّغ جميع ما أُنزل إليك من ربِّك، وهذا الفهم لا يناسب الذوق في اللغة لأنَّه لا يعقل أنْ يكون يا أيُّها الرسول بلِّغ الرسالة وإنْ لم تفعل فما بلغت رسالته، بل إنَّ الشيء المطلوب تبليغه يجب أنْ يكون ممكناً تبليغه في هذه الوقفة، ولا يمكن تبليغ جميع الرسالة والأحكام في وقت قصير، ويجب أنْ يكون جسيماً وخطيراً ومهماً، بحيث يتوقف عليه حفظ الرسالة كلِّها، ويستبطن ذلك الدوام والاستمرار وليس المرحلة، بعبارة أُخرى أنَّ تبليغ الولاية كان لأمير المؤمنين واستمر لمن بعده من الأئمة المنصوص عليهم، ولكون الناس حديثي عهد بالجاهلية وقد يقال عنه إنَّه يحابي ابن عمِّه؛ لذلك

(١) آيات الولاية في القرآن، الصفحة ١١، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) الدر المنثور، ج٢، صفحة ٢٩٨.

جاءت الآية ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، أمَّا الخطاب في حينها فكان للمسلمين ولم يكن الكفار والمشركون موجودين في الحج، إنَّ الأمر كان بتبليغ المسلمين الذين كان عددهم على الأقل سبعين ألف مسلم بتبليغ من يخلف النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وليس يخلفه، بل يعطيه كلَّ معنى الولاية، بعبارة أُخرى أنَّه يقوم مقام النبيِّ في التشريع والقضاء والتنفيذ وكلُّ شيء، باعتبار أنَّ النبيَّ يوشك أنْ يدعى فيجيب وهذا الأمر من الواضحات.

آية إكمال الدين وإتمام النعمة

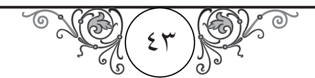
﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1]، وقد ذكر المفسرون عدّة آراء في تفسير كلمة (اليوم) الواردة في الآية الشريفة مثلاً يوم البعثة ويوم فتح مكة ويوم تبليغ سورة براءة إلَّا أنَّه لا يوجد ما يؤيدها تاريخياً ولا لغوياً[2]، والثابت أنَّ اليوم هو يوم الغدير بخمٍ وهذا ثابت تاريخياً([3])، وأنَّ هذا اليوم هو الذي نصب فيه أمير المؤمنين إماماً ووليَّاً للمسلمين وقائماً مقام الرسول الأمين وحافظاً للدين المبين[4]، بل ورسم منهج الولاية وبقاء الدين ببقاء القائمين عليه

(١) سورة المائدة، الآية:١٣.

(٢) انظر كتاب الغدير للعلامة الأميني.

(٣) تاريخ اليعقوبي.

(٤) الميزان في تفسير القرآن، الجزء الخامس، ١٦٧-١٨٢.



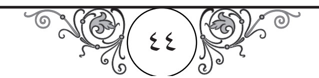


من الأئمة المعصومين، وبأنَّ إكمال الدين يكون بعد الولاية، وعليه فيجب أنْ تكون مستمرة متجددة يبلغ بها السابق اللاحق، وليس اليوم هو يوم عرفة لأنَّه يتكرر في كلِّ عام، ولا هو يوم مجازي يعني مرحلة لعدم وجود قرينة لصرفه إليه، وبذلك فإنَّ هذا اليوم أُسس للإمامة التي يقول عنها الإمام الرضا عليه السَّلام: «جهل القوم وخُدعوا عن أديانهم، إنَّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيَّه صلَّى الله عليه وآله حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كلِّ شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه كملاً فقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(١)، وأنزل في حجة الوداع وفي آخر عمره صلَّى الله عليه وآله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وأمر الإمامة في تمام الدين... »[1] إلى آخر الرواية الشريفة.

١. ٢. بعض الحوادث التاريخية التي وثَّقت الواقعة

بعد أنْ بلَّغ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله المسلمين بقوله «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، بهذا النصِّ الصريح الواضح هنَّأ المسلمون أمير المؤمنين عليه السَّلام، وتمت البيعة من قبل الناس حتى قال عمر بن الخطاب: بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وقد ورد بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قد علَّم المسلمين كيفية البيعة، حيث أخرج محمَّد بن جرير الطبري (معاشر الناس؟ قولوا: أعطيناك على ذلك عهداً

(١) عيون أخبار الرضا عليه السَّلام، الجزء الثاني، صفحة ١٩٥.



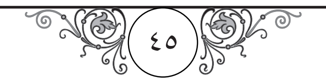
عن أنفسنا وميثاقاً بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك بدلاً وأنت شهيد علينا وكفى بالله شهيداً، قولوا ما قلت لكم، وسلِّموا على عليٍّ بإمرة المؤمنين، وقولوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله(١)، فإنَّ الله يعلم كلَّ صوت وخائنة كلِّ نفس ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢)، قولوا ما يرضي الله عنكم فـ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾(٣).

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أول من صافق النبيّ صلَّى الله عليه وآله وعلياً أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أنْ صلَّى الظهرين في وقت واحد، وامتد ذلك إلى أنْ صلّى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً[١]، وكان عدد المسلمين حينها كبيراً، حيث ذكرت بعض الروايات أنَّ العدد كان تسعين ألفاً، وبعضها مئة واثني عشر ألفاً وبعضها مئة وعشرين ألفاً وبعضها مئة وأربعة وعشرين ألفاً وبعضها نيفاً وسبعين ألفاً، هذا العدد الكبير من الحاضرين في الجو الحار يستمعون إلى تنصيب الإمام سلام الله عليه.

وفي إزاء تلك البيعة فقد كان هناك من لم يبايع ولم يسلّم لأمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وقد بينت الروايات تعذيب الحارث بن النعمان الفهري الذي قال في شأن تولية أمير المؤمنين عندما ولى يريد راحلته

---

(١) الغدير، للعلامة الأميني.



(اللهم إنَّ كان ما يقوله محمّد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم)، فما وصل حتى رماه الله بحجر فسقط في هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[1]، والتي ربما تكرر نزولها في أكثر من موضع والتي تمثل شاهداً طول الزمان على أحقية أمير المؤمنين وعبرة وتحقيقاً لأمر الولاية والتي حدثت بعد بيعة الغدير في الأبطح وهو مسيل ماء فيه رمل وحصى.

١. ٣. شعر حسان بن ثابت بعد فراغ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله من الخطبة وبأمر الرسول

إنَّ هذه القصيدة اكتسبت أهميتها لأنَّها قيلت بحضور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وكانت تحكي عن الواقعة وعن تبليغ النبيَّ وتصف ذلك، قال حسان بن ثابت:

يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم	بخمٍّ وأسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيّكم؟	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا
إلهك مولانا وأنت نبيّنا	ولم تلقَ منا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ فإنَّني	رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه	فكونوا له أتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم والِ وليَّه	وكن للذي عادا علياً معاديا

(١) سورة المعارج، الآيتان ١-٢.

واقعة الغدير حسب ما نقله التاريخ

١- إنَّ الواقعة كانت في السنة الأخيرة من حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله.

٢- مكان الواقعة مفترق طرق لأهل الحجاز إلى الشمال نحو المدينة وإلى الشرق نحو العراق وطريق الغرب نحو مصر وطريق إلى الغرب نحو مصر وطريق إلى الجنوب نحو اليمن.

٣- صدور الأمر بالتوقف.

٤- ظروف الجو كانت حارة جداً.

٥- حصول التبليغ بولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام والتأسيس للولاية المستمرة.

٦- حصول المعجزة.

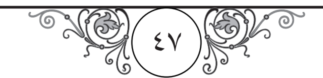
٧- تهنئة المسلمين له بالولاية.

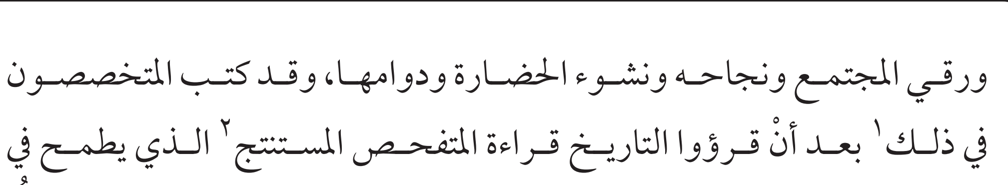
٨- يوشك أن أُدعى فأُجيب.

٩- إكمال الدين وإتمام النعمة وتحديد القيادة وكلّه معصوم، فلا يبقى إلى المجتمع وقابليته.

٢. ١. تفسير الحوادث التاريخية

تطور منهج كتابة التاريخ من المنهج النقلي إلى المنهج النقدي، ثمَّ أصبح علماً من أجل استشراف المستقبل وتنبؤه وصنع الحاضر ومستقبله





ورقي المجتمع ونجاحه ونشوء الحضارة ودوامها، وقد كتب المتخصصون في ذلك[1] بعد أنْ قرؤوا التاريخ قراءة المتفحص المستنتج[2] الذي يطمح في الحصول على قواعد يضعها للمجتمع من أجل إسعاده وإنجاحه[3]، وكلُّ ذلك يكون باختيار منهجٍ علميٍّ لقراءة أحداث التاريخ[4][5].

ظهرت نظريات تشبه حركة المجتمعات والحضارات كحركة الكائن الفرد الواحد له ولادة وشباب وهرم[6]، وأُخرى تشبه ذلك بالفصول الأربعة، وهناك من فسّرها على أساس التعاقب الدوري[7][8]، حيث بينوا أنَّ المجتمعات البشريّة وحضاراتهم لها طبيعة معينة تشابه خصائص الطبيعة وبالتالي يمكن التنبؤ بمستقبلها.

هناك من عمَّم موضوع القانون الذي على ضوئه تتحرك المجتمعات والحضارات ليستند على التقدم الذي حصل في فهم البيولوجيا، والذي استُخدم ووظِف لتفسير بداية الكون وحركته ثمَّ استُخدم كنظرية

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أحمد بن محمّد بن يعقوب مسكويه.

(٢) انظر الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ابن الطقطقي.

(٣) انظر الملك والسياسة في رؤية ابن الطقطقي من خلال كتابه الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، للمدرس المساعد زهير يوسف عليوي.

(٤) انظر مقدمة ابن خلدون.

(٥) منهج البحث التاريخي، الدكتور حسن عثمان.

(٦) أسوالد إشبنجلر: تدهور الحضارة الغربية، الجزء الأول، ص ٢١٨.

(٧) فلسفة التاريخ للدكتور أحمد النشار.

(٨) مقدمة ابن خلدون.

فلسفية لوضع رؤية كونية للحياة، يؤاخذ على ذلك أنَّ تصرف المجتمعات البشريّة لا يمكن التعامل معها كما يتمُّ التعامل مع حياة الإنسان والحيوان البيولوجية، حيث إنَّ علم البيولوجيا يختلف عن علم التاريخ[1]، هذا بالنسبة للفلسفة الوضعية، أمَّا دينياً فهناك من يرى مثل أوغسطين بأنَّ العناية الإلهية هي التي تدير تاريخ الناس، وقد قام بتقسيم التاريخ على أساس الأشخاص، ولكنَّه لا يترك للمجتمعات الحرية، وأنَّ كلَّ ما يقوم به الناس فهو مقدر، يلاحظ عليه أنَّ هذا المنهج أقرب إلى الجبرية رغم أنَّها رؤيا مسيحية.

أمَّا الرؤيا الإسلامية فهي تعتبر أنَّ التاريخ مدون واقعياً وله غاية حددها الله تعالى وأشار إليها ومهد لها، وهي تمتاز بالشموليّة والإنسانيّة والموضوعيّة[2]، وهناك مجموعة من السنن والقوانين يمكن استنباطها من القرآن الكريم[3].

إنَّنا نعتقد أنَّ الأمر كلَّه لله وأفعال الإنسان والمجتمعات هي أمر بين الأمرين، والأُمور تجري وفق الأسباب الطبيعية إلَّا ما يخرقها من معجزات أو ما يوجهها من خلال إجابة دعاء الإنسان له، وأنَّ بعض

---

(١) انظر مختصر دراسة التاريخ، لتويبني،

(٢) انظر النظرية المهدويّة في فلسفة التاريخ، ٧٠-١٣٠.

(٣) القسم الثاني من مقال العلامة السيد سامي البدري المنشور في مجلة الفكر الإسلامي، العدد ٦ ربيع الأول سنة ١٤١٥ هـ ١٩٩٤م وأيضاً ارتباط قضية الإمام المهدي بنهاية حركة التاريخ، السيد شامي البدري مقال منشور في موقع براثا.http: / /burathanews.com /arabic /thought/ ١٧١٤٣١.

الأُمـور تمثـل توجيهـاً مـن الله سـبحانه وتعـالى لأنبيائـه وإرسـاله للرسـل وهـم يمثلـون تنفيـذ الإرادة الإلهيـة.

ممّـا ذكـر سـابقاً نلاحـظ أنَّ موضـوع فلسـفة التاريـخ يعتمـد بشـكل أسـاس عـلى المنهـج الفلسـفي للعلـم الـذي يتـم الاعتـماد عليـه، فهنـاك منهجـان أساسـيان: المنهـج الـذي يعتـبر وجـوداً ميتافيزيقيـاً وغائيـاً للعلـم، والآخـر الـذي يعتقـد المنهـج المـادي عـلى عكـس مـا متوهـم بـأنَّ المنهـج والفلسـفة إمَّـا مثاليـة أو ماديـة، والصحيـح أنَّهـا أمَّـا مثاليـة أو واقعيـة، والواقعيـة إمَّـا إلهيـة أو ماديـة[1].

معظـم مـا نـراه في الوقـت الحـاضر مـن فلسـفات قـد اعتمـدت عـلى المنهـج المـادي الـذي حـاول أنْ يعتمـد المنهـج التجريبـي بشـكل مسـتقل عـن الوجـود الإلهـي، وهـؤلاء يمثلـون الأعـم الأغلـب.

في الفصـول القادمـة سـيتم تحليـل واقعـة الغديـر وفـق العلـل الأربـع ووفـق منهـج التصميـم الذكـي.

٢. ٢ واقعة الغدير حسب تحليل العلل الأربع

ويتضمن استخدام العلل الأربع لتحليل الحوادث التاريخية[2]:

مـا الغايـة مـن بيعـة الغدير؟ لا شـكَّ ولا ريـب أنَّ هنـاك غايـةً لهـذه الواقعة، وهـي تعيـين مـن يخلـف النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، وتوضيـح مبـدأ الولايـة

(١) فلسفتنا ٢٣٢-٢٣٣ السيد محمّد باقر الصدر.

(٢) الفلسفة والتاريخ رؤية التاريخ عند أرسطو لريمون فايل ٦٠-٧٦.

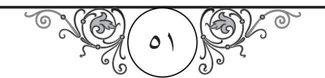
وسنّها، وحتى يكون التصريح أمام عدد كبير من المسلمين يكون ذلك واضحاً أمامهم.

أمَّا العلَّة المادية فقد كانت واقعة في زمانٍ ومكانٍ ومجموعةٍ من الناس، وهو من صرّح بذلك واستمعه المسلمون، أمَّا العلَّة الصوريّة فهي تصميم هذه الواقعة وطبيعتها وكيف جرت وتكونت، وكيف أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله قد نادى برجوع من تقدم ودعاهم إلى صلاة الظهر، أمَّا العلَّة الفاعليّة فهو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله والإمام عليٌّ عليه السَّلام والمسلمون جميعاً، وأنَّ الله سبحانه وتعالى المهيمن على كلِّ شيء.

٢. ٣ واقعة الغدير حسب التصميم الذكي

يوجد اتجاهان فيما يتعلق بالاعتقاد أحدهما يتجه إلى الاعتقاد بوجود الله الخالق العظيم، وهو المتناسب مع فطرة الإنسان وعقله وقيمه[١]، والآخر بعيد عن الفطرة، وهو عدم الإيمان بخالق لهذا الكون، واعتمد الثاني منذ قديم الزمان على أنَّ العالم صدفة، أو أنَّ المادة هي التي كونت نفسها بنفسها، ولكن من دون اعتبارها إلهاً، وقد استغل أصحاب هذه العقيدة الفاسدة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ النظريات والاكتشافات والقوانين على مستوى البحوث التجريبية وجيروها للتنصل من الاعتقاد بوجود الله الربِّ العظيم، وجعلوها منهجاً في فلسفة التاريخ، وقد أخذت نظرية دارون الجزء الأكبر منها ودخلت في كلِّ مجالات الحياة على أنَّها بضاعة

(١) انظر حقيقة الدين للسّيد محمّد باقر السيستاني، وكذلك سلسلة التثبت في الدين للسيد محمدباقر السيستاني.





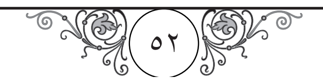
للـماديِّ الملحـد.

نـرى في مقابـل ذلـك أنَّ هنـاك مدرسـةً علميـةً تجريبيـةً تسـتفيد مـن الإنجـازات العلميّـة في دعـم أدلّـة النظـام المتقـن، وتؤكـد وجـود الخالـق العظيـم، وقـد بـرزت في الوقـت الحـاضر باسـم نظريـة التصميـم الذكـي، وهذه النظريـة تؤكـد عـلى أنَّ الاكتشـافات العلميّـة تشـير إلى وجـود المصمـم الذكـي، توسـيعاً لهـذا المبـدأ فإنَّنـا نعتقـد أنَّ الحـوادث التاريخيـة أيضـاً تخضـع لمبـدأ التصميـم الذكـي والمصمـم الذكـي، وأنَّ فلسـفة التاريـخ يمكـن أنْ تسـتند عـلى مبـدأ التصميـم الذكـي، ولكـنْ ليـس بالطريقـة التـي اعتمدتهـا تلـك النظريـة، بـل نعتقـد بـأنَّ الله تعـالى هـو المسـيطر عـلى كلِّ شيءٍ وبيـده كلُّ شيء بحيـث لا تعـارض تلـك القـدرة والسـلطنة اختيـار الإنسـان وحريتـه في اختيـاره ويكـون كالأمـر بـين الأمريـن لا جـبر ولا تفويـض.

في الوقـت ذاتـه فـإنَّ هنـاك وحيـاً مـن الله تعـالى إلى الأنبيـاء وغـير الأنبيـاء للّطـف بالنـاس أو مـن خـلال المعجـزات أو مـن خـلال اسـتجابة الدعـاء.

يمكـن تفسـير وقـوع حـوادث معينـة بثلاثـة احتـمالات: إمَّـا الصدفـة أو الاضطـرار أو التصميـم[1]، هـذا إذا نظرنـا إلى تلـك الحـوادث نظـرة تجريبيـة، أمَّـا النظريـة السـابقة التـي كان يعمـل عليهـا أرسـطو فهـي أنَّ كلَّ حـدث يجـب أنْ يفـسَّر عـلى ضـوء أربـع علـل وهـي العلّـة الماديّـة والفاعليّـة والصوريّـة والغائيّـة، ولكـنَّ المذهـب التجريبـي اسـتقرَّ عنـد الصدفـة والاضطـرار ورفـض التصميـم، والتصميـم يقابـل نظريـة أرسـطو.

(١) العلم ودليل التصميم في الكون، د. مايكل بيهي ووليم ديمبكسي ود. ستيفن ماير.



أعتقد أنَّ الاضطرار هو أقرب إلى تفكير اليهود الذين يعتقدون أنَّ يد الله مغلولة، وعليه فإنَّ معظم النظريات التي تفسّر الحوادث على ضوء الاضطرار فهي تتناسب مع التفكير اليهودي.

لا يمكن استخدام المبدأ التجريبي فقط في تفسير ظواهر التاريخ، فهناك عوامل مختلفة يمكن أنْ تؤثر غير الزمان والمكان والإنسان، وهو الله تعالى أولاً.

إنَّ التاريخ يعتمد على المنهج النقلي أمَّا فلسفته فلا يمكن أنْ تكون بمعزل عن الله تعالى، كما لا يمكن استخدام المنهج العقلي فقط من دون التجربة في معرفة الظواهر الفيزيائية، بل يجب أنْ تستخدم جميع المناهج، ولا يمكن استخدام المنهج التجريبي لمعرفة الخالق والاستدلال عليه[1].

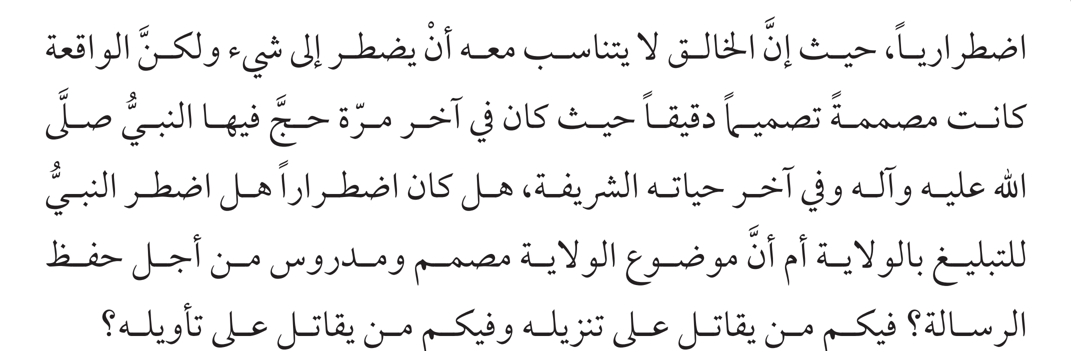
لكي يكون الحدث مصمماً يجب أنْ يمرَّ بثلاث مراحل: الاحتمال والتعقيد والتخصيص، ولمناقشة الموضوع بعد تطبيقه على واقعة الغدير فلنقم بدراستها أَوّلاً.

هل كانت واقعة الغدير صدفة؟ من خلال ملاحظة الواقعة فإنَّنا نرى أنَّ هناك آيات شريفة نزلت إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله تبلغه بضرورة الإبلاغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أمر إلهي بهذه الصراحة والتشديد يصدر إلى النبيِّ لا شكَّ بأنَّ التبليغ لم يكن صدفةً أو تناقضاً؛ إذن هل كان اضطرارياً؟ لم يكن

(١) نهاية حلم وهم الإله، الدكتور أيمن المصري.







اضطرارياً، حيث إنَّ الخالق لا يتناسب معه أنْ يضطر إلى شيء ولكنَّ الواقعة كانت مصممةً تصميماً دقيقاً حيث كان في آخر مرّة حجَّ فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وفي آخر حياته الشريفة، هل كان اضطراراً هل اضطر النبيُّ للتبليغ بالولاية أم أنَّ موضوع الولاية مصمم ومدروس من أجل حفظ الرسالة؟ فيكم من يقاتل على تنزيله وفيكم من يقاتل على تأويله؟

يقول الإمام الرضا عليه السَّلام إنَّ الإمام نظام الدين وبأنَّه.... ويقول هشام بن الحكم في مناظرته بأنَّه ألك قلب؟ ألك...؟ إذن الموضوع لم يكن اضطرارياً وإنَّما الله تعالى اختار أنْ يكون نظام النبوّات والوصاية ضرورياً ولكم ليس اضطرارياً.

إذا لم يكن كذلك فلا يبقى إلَّا الاحتمال الثالث وهو أنَّ واقعة الغدير مصممة بطريقة متكاملة بحيث لا يمكن اختزالها، فموضوع الولاية يشمل وظيفة الإمام وشخص الإمام وفقدان أيِّ طرف منهما يمكن أنْ يؤدي إلى ضياع التصميم، إذ لا يمكن أنْ يكون الشخص المذنب يقوم بأعباء الإمامة؛ لذلك قال إبراهيم عليه السَّلام ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

إنَّ موضوع ولاية أمير المؤمنين وواقعة الغدير التي تتطلب التبليغ والتي تتضمن أنْ يكون هناك أكثر المسلمين، لو فقدت هذه الواقعة بعضاً منها لكان هناك خلل فيها، لاحظ أنَّ أحد هؤلاء لم يكن راضياً فنزلت عليه حجارة من السماء.... لا يمكن أنْ تكون هذه الواقعة بتلك الأحداث الداخلية صدفة أو مجموعة تناقضات تتفاعل فيما بينها لتكون

هنـاك حادثـة كنتيجـة طفـرة تاريخيـة كـما تذهـب النظريـات الماديـة.

إنَّ ذلـك ناتـج عـن تصميـم ذكـيٍّ، بعبـارة أُخـرى فـإنَّ هـذا التصميـم حـدث افتقـر في ظهـوره إلى ذكاء طابـق بـين الوسـائل وغاياتهـا[1]

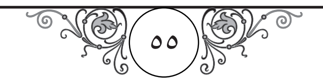
إنَّ بعـض تلـك الحـوادث تكـون نتيجـة السـنن التاريخيـة وهنـاك حـوادث تكـون مصممـة تصميـماً متقنـاً بحيـث يكـون فيهـا تعقيـد غـير قابـل للاختزال، ومعنـى ذلـك أنَّ هنـاك مجموعـة مـن العناصر التـي تدخـل في تلك الحادثـة، وأنَّ لـكلِّ عنـصر دوراً مـا، ولكـنَّ جميـع تلـك العنـاصر تنتـج نظامـاً معينـاً فالعنـصر الرئيـسي المهـم هـو وجـود النبـيِّ الخاتـم صـلَّى الله عليـه وآلـه ووجـود الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام والمـكان في مفـترق طـرق والظـرف هـو تجمـع المسـلمين ويمثـل آخـر حجّـة للنبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، إنَّ هـذا النظـام لـو فقـد أيَّ عنـصر مـن عنـاصره يمكـن أنْ لا يـؤدي هـذا الحـدث وهـذا النظـام دوره الحقيقـي، وعليـه نـرى أنَّ هـذه الواقعـة لا يمكـن أنْ تكـون صدفـة أو اتفاقـاً أو حتـى اضطـراراً أو نتيجـة لحـوادث قـد جـرت سـابقاً أو يمكـن أن يكـون تخصيصـاً قابـلاً للاحتـمال.

نهاية التاريخ

يمكـن تفسـير الحـوادث التاريخيـة والتنبـؤ بهـا بالاعتـماد عـلى عـدَّة نظريات، هنـاك نظريـة التكـرار حيـث تبـين أنَّ الحـوادث التاريخيـة يمكـن أنْ تتكـرر

---

(١) تصميم الحياة اكتشاف علامات الذكاء في النظم البيولوجية، د. وليام دمبسكي و د. جوناثان ويلز.



وتتشابه، وإذا أردنا تطبيق ذلك فإنَّ تلك الواقعة يوجد لها شبيه إلَّا أنَّها يمكن أنْ تختلف من حيث الشخوص الموجودة، وهناك تفسير يذهب إلى أنَّ المجتمعات مثل الإنسان يصل مرحلة معينة ثمَّ يهرم ويموت، وهناك من النظريات التي تعتمد على العامل الواحد مثل العامل الاقتصادي أو السياسي، يمكن التنبؤ بالحوادث التاريخية على ضوء الحركة التاريخية ولكن يمكن أيضاً معرفته بالاعتماد على الجانب الغيبي، لاحظ أنَّ المادّية التاريخيّة تفسّر بقاء الأقوى أو اعتراف العبد بالسيد، أمَّا النظرية الإسلامية فإنَّها تبين أنَّ الأرض يرثها الصالحون من عباد الله.

نهاية التاريخ وفق التصور الإسلامي

واقعة الغدير والإمام المهدي عليه السَّلام

رسمت واقعة الغدير المستقبل ووضحت القيادة وحملة الفكر وقادة التغيير، وكذلك بينت عناصر النجاح والتي منها المجتمع الذي يرضى بهؤلاء القادة، وهذا شرط في النجاح لأنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وبينت بأنَّهم يمثلون الاتجاه الذي يقوده الأنبياء والأوصياء، وهو الذي يمثل نهاية التاريخ.

إنَّ نهاية التاريخ لا يمكن أنْ تكون حسب نظرية فوكوياما، إذ لا يوجد شكٌّ بأنَّ الفيزياء يمكن أنْ توجه في بناء المجتمعات لكنَّها لا تسهم في البناء الفكري والقيمي للإنسان والمجتمع، وليس بالضرورة أنْ يكون المجتمع سليماً وسعيداً مع الفيزياء والتكنولوجيا، فمن دون رؤية كونية

متكاملة سيؤدي ذلك إلى نهاية تاريخية عرجاء.

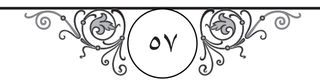
إنَّ رؤية العلم أيضاً لها دخالة كبيرة في نهاية التاريخ فالذي يفسر العالم بالصدفة أو الضرورة أو بالعلوم التجريبية والبيولوجيا من دون الله تعالى، لا شكَّ أنَّ نهاية تاريخه تكون كذلك متناسبة مع منهجه، ومن يعتمد على التصميم في تفسيره للعلم وللظواهر المختلفة ستكون نهاية تاريخه أيضاً مصممة.

نلاحظ أنَّ نظرة فوكوياما إلى نهاية التاريخ[1] قائمة على توجيه الفيزياء الحديثة لتوجيه التاريخ والتي تغذي الحرب والاقتصاد، واللذان يؤثران بشكل كبير على المجتمع، أمَّا كارل ماركس فإنَّه جسَّد النظرية التطورية في إحداث ثلاثة قوانين يستخدمها في تفسير التاريخ، أمَّا بالنسبة للنظرية الإسلامية فهي تولي التفكير والنظر ومعرفة الخالق وتحديد الرؤية الكونية التي تتضمن معرفة الله تعالى، وأنَّ نهاية التاريخ يصمّمها الخالق ويضع خطوطها وينفذها الأنبياء مع مجتمعاتهم، بالتأكيد مع الحفاظ على اختيار الإنسان، وتعطي الجانب القيمي الأخلاقي الأساس في الاستقرار والنمو الاجتماعي، فليست الفيزياء هي التي توجه وإنَّما التخلق بالقيم والسلوك الحسن هو الذي يكون سائداً وهو الذي يحرك الاقتصاد ويبني المجتمع، أمَّا الفيزياء وغيرها فكلُّها تمضي بشكل طبيعي متسلحة بالعلم الغائي والمعرفة الإلهية[2].

---

(١) نهاية التاريخ والإنسان الأخير لفرانسيس فوكوياما.

(٢) نهاية التاريخ دراسة تحليلية نقدية للمفهوم وحضوره المعاصر، للمؤلف: قيس ناصر





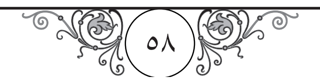
كلُّ من هؤلاء يريد توجيه نهاية التاريخ إلى فلسفته في الحياة، سواء كانت الفلسفة الشيوعية أو الرأسمالية وكلاهما له نظرية اقتصادية ونظرة كونية بغض النظر عن كونها سليمة أم لا فكلاهما يقتربان إلى النظرة الإلحادية وفصل الدين والله سبحانه وتعالى عن كلِّ شيء آخر، وهي نظرة يهودية تعتقد بالاضطرار، فالاضطرار والصدفة هما الأساس في كلِّ ما يتحرك عليه هؤلاء الفلاسفة.

إنَّ هذه النظريات لا تجعل الخالق محوراً في السُّلوك والنظر، وهي بذلك عبارة عن مجموعة من النظريات الكارتونية التي تحاكي الوضع السياسيِّ الحاكم الذي بعد أنْ ألغى الرؤية الكونية الدينيّة فإنَّه يبحث عن رؤى كونية وسلوكيات يحكم ويتقدم على ضوئها.

إنَّ الصراع الموجود لأجل الاعتراف بالأقوى هكذا عرف فوكوياما تقدم التاريخ نحو الحتمية، ولكنَّ الصحيح هو أنَّ الاعتراف ليس باعتراف الأنا وباعتراف الرؤى الوضعية، بل بالاعتراف بالخالق وأنبيائه.

إنَّ مبدأ الولاية الذي تمَّ الإعلان عنه بعد تأسيسه في بداية بعثة النبيِّ هو المبدأ الذي سيستمر إلى أنْ يرسم نهاية التاريخ، وأنَّ الأنبياء والأئمة يمثلون القائمين على الخط الإلهي وهو خط الوارثين ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ وهذا الخط الناصع الذي لا يوجد فيه سيد وعبد وإنَّما العبودية تكون لله الخالق محور الخلق، لقد كان هذا التأسيس بوضوح يجعل الهدف مستقراً ثابتاً، لا أنْ يكون مرةً نابليون هو الذي يبني الدولة

راهي.

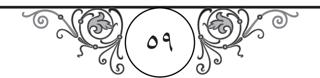


العالميـة ومـرةً سـتالين ومـرةً بـوش ومـرةً ترامـب أو كلنتـون الذيـن يفقـدون أدنـى القيـم الإنسـانية، هـؤلاء هـم الذيـن يبنـون لنهايـة التاريـخ بزعـم النظريـات التـي تأسسـت مـن رحـم السُّـلطة والحكومـة.

أمَّـا في واقعـة الغديـر فـإنَّ التأسـيس كان واضحـاً، فطريقـة الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام وخـط الولايـة الـذي يكـون آخـره الإمـام المهـدي عليـه السَّـلام هـو الـذي عـلى يديـه يكـون الانتصـار الحقيقـي وتكـون نهايـة التاريـخ، لا عـلى أيـدي مجموعـة غـير معروفـة مسـتقبلاً، بـل بعضهـم تصنعـه التناقضـات وبعضـه تصنعـه الحـروب، لم أرَ قيـماً وأخلاقـاً ومعـارف ومسـاعدة للآخريـن، بـل كلُّ مـا نـراه مـن تلـك الفلسـفات هـو الـصراع والترويـج للسياسـات حسـب وضعهـا، فـإن احتاجـت مثـلاً أنْ يعـترف العبـد والسـيد لكـنْ بعـد ذلـك يتطـور العبـد لكـي يـرضى بالسـيد، لأنَّـه لم يكـن مغامـراً وكأنَّـما هـي فلسـفة لاسـتعمار الآخريـن، فيـا أيَّتهـا الشـعوب المسـتعمرة نحـن السـادة وأنتـم العبيـد، وبنـاءً عـلى فلسـفة هيجـل لا يحـقُّ لكـم المغامـرة والثـورة عـلى السـيد لأنَّكـم لم تغامـروا أَوَّلاً وحتـى لـو حاولتـم سـتكونون سـادة ولكـن لأنَّكـم تعملـون فهـو يحتاجكـم.

ليسـت الدولـة المنسـجمة هـي الدولـة الأخـيرة في التاريـخ الإنسـاني، إذ لـو أنَّ الجميـع عاشـوا حيـاةً اقتصاديـةً وسياسـيةً جيـدةً لكـنْ لم يكـن هنـاك شـكر للمنعـم فهـذه الدولـة فاشـلة لأنَّهـا أنكـرت صاحـب الفضـل عليهـا وهـو الله تعـالى.

إنَّ نظريـات نهايـة التاريـخ الماديّـة تؤسـس لاحتـلال الـدول والشـعوب



احتلالاً فكرياً، أمَّا محور النظريّة الإسلاميّة هو شكر المنعم والخالق الذي أرسل الأنبياء ووضح الشرائع ما فيه سعادة الدنيا والآخرة وليس الدنيا فقط، وللوصول إلى هذا الهدف وبناء الدولة الموعودة يجب أنْ يلتزم الجميع بالقوانين ويطبقوا ذلك ويلتزموا بالشريعة المقدسة سواء كانوا حاكمين أم محكومين.

الاستنتاجات التوصيات

ممَّا ورد سابقاً يمكن استنتاج أنَّ واقعة الغدير تمَّت التهيئة لها بأمر مباشر من الله تعالى، وأنَّ الملك جبرئيل عليه السَّلام قد نزل على النبيِّ الأكرم ليبلغه بذلك، وكان قد عصمه الله تعالى من أيِّ مشاكل جانبية يمكن أنْ تحدث ممَّا تعيق التبليغ، وأنَّ هذا التبليغ قد وضح القيادة الإلهية إلى آخر الزمان بعد وفاة النبيِّ الأكرم، حيث أبلغ بوجود خط الولاية الناصع الذي سيهتم بتربية هذه الأُمَّة والمجتمعات والحضارات إلى آخر إمام منهم، سيجعل الله سبحانه وتعالى على يديه طموح الدولة الكريمة التي تؤمن بالله تعالى، وينزل الله تعالى الماء عليهم غداً، ونستنتج أيضاً بأنَّ النظريات الماديّة تؤسس للتسلط والاستعمار، أمَّا النظرية الإسلامية فإنَّها تمهد للحياة الكريمة وشكر المنعم مع المساواة بين الناس.

بيعة الغدير في المخطوطات الإسلامية

أ. م. د. كاظم حسن جاسم موسى الفتلاوي

مقدمة التحقيق

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمّد وآله الطيبين والطاهرين، إنّ الحديث عن الغدير يستلزم منّا دراسة المحادثة والحديث، ولمَّا كان مقام العمل والمجال لا يتسع لدراسة العنصرين -الحادثة والحديث- فقد تركت الحديث عن الحادثة لغيري من الباحثين، ولا سيما أنّ المؤتمر فيه محاور كثيرة، ومن المؤكد أنّها ستغطي أغلب جوانبه، لكنَّ الكلام عن الحديث وتوثيقه من تراث أهل البيت عليهم السلام وغيرهم يستلزم البحث والتدقيق، وقد كثرت الكتب التاريخية والحديثية بنقله وبسنده المعتبر وما كان منّي إلّا أنْ وجدت مخطوطاً لعالم بحراني كتب قبل حوالي قرن من الزمان ويزيد، فقمت بتحقيق رواياته وتخريجها من مصادرها وتدقيقها ومعرفة مدى مطابقة كلام المؤلف لما ورد في المصادر، فوجدتها في غاية الدقة والتوثيق.

والغدير كخطبة ألقاها رسول الله صلَّى الله عليه وآله في ذلك اليوم المشهود وأمام ذلك الحشد الكبير من المسلمين وهو حديث شريف أي أنّه نصٌّ كريم من نصوص السنّة النبويّة المقدّسة، فالمؤلف هنا لم يأخذ

الجانب التشريعي بل أخذه من ناحية دلالة الحديث في ضوء قواعد استنطاق النصوص العربية، وأراد منه كذلك ما خصّ الله به الإمام عليّاً عليه السلام من الكرامة والتوقير، حيث إنّ الله تعالى فضّل ذلك اليوم على سائر الأيّام وجعله عيداً على مرّ السنين وأذلّ فيه الكافرين وفضّل فيه سيّد الوصيّين وإمام المتّقين.

فمن هذا النص المخطوط انطلقت في تحقيق ما ورد فيه من كلام وأحاديث منسوبة لأهل البيت عليهم السلام وأشعار الآخرين وتوثيقها في الهوامش من مصادرها وبيان مطابقة النصوص للمصادر المأخوذ منها.

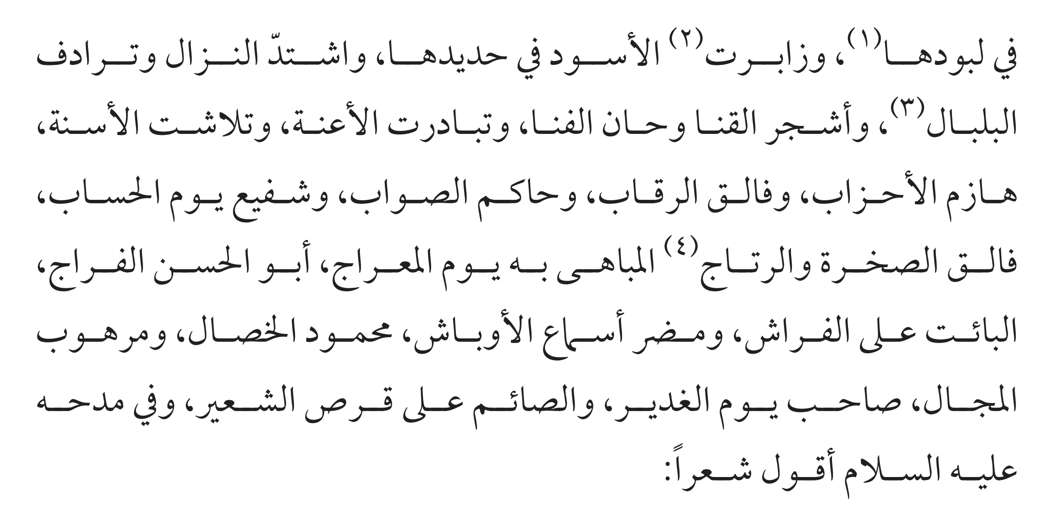
المخطوط الذي اعتمدناه في التحقيق هو نسخة فريدة ولم أُفلح في الحصول على نسخة أُخرى، ولم أجد في أيٍّ مصدر يشير إلى خلاف ذلك حيث يرجع تاريخ نسخها إلى سنة ١٣٤٢هـ.

بيعة الغدير

الحمد لله المتفرّد بخلق الأرواح والأجساد، والمقيض على جميع البرية الإنعام والإكرام، باعث الرسل رحمة للأنام، وجاعلهم دعائم للإسلام، ومفاتيح الكلام، أحمده وهو المحمود على إحسانه، والمطاع في سلطانه، والقاهر كلَّ شيء وهو في مكانه، الأوّل قبل الإنشاء، والآخر بعد فناء الأشياء، مبدع الموجودات، ومنشئ البريات، باسط الأرضين ورافع السماوات، الكريم الذي لا يغلق بابه، والإله الذي لا يهتك حجابه، والثواب الذي لا ينفد ثوابه، الحامد لمن حمده، والعاضد لمن قصده،

علا فارتفع، وجلّ فامتنع، وأعطى فأوسع، لا تغبطه العقول وهو عارف بالمجهول، تظافرت آلاؤه وتسابغت نعمائه، وتقدّست أسماؤه، لا تدركه الأبصار، ولا يُعلم له مقدار وهو المطلع على الأسرار، أهل الحمد ووليّه ومنشؤه ومحلّه، تبارك الذي له ما في السماوات وما في الأرض، وله الملك وهو على كلّ شيء قدير، الذي نزه أولياءه عن الضلالة وحمّلهم الرسالة، وثبّتهم في المقالة، وجعلهم السلام الذي يعرج به إلى محل السلامة، والسبب الذي يرجى به النجاة في عرصة القيامة، وألزم أعداءهم الحجّة، وأكّد عليهم المحجّة، فله الحمد حمداً لا يحصى عدده، ولا يدرك الكتاب مدده، حيث جعلني من أُمَّة نبيّه محمّد صلَّى الله عليه وآله المبعوث من تهامة، والرسول المظلل بالغمامة، المجُلي غياهب الظلم، والمباهي بأُمَّته دون سائر الأُمم، صلّى الله عليه وآله ما زجر السحب وجلجل أو سبّح رعد وحمدل، وعلى وزيره سيّد الأبرار وهادم دول الكفار، المؤيّد في جميع الأمصار، خاصف النعل وصاحب الفقار، وسيّد بني كنانة وبني نزار، الكريم الذي لا تُدرَك مواهبه، والعالم الذي لا تحصى مناقبه، باب الرضا وخطر القضاء، الذي بشر بفضله من سلف، ومضى آية الله وخليفته، وباب العلم ومدينته، العالم بالحقائق، الحاكم بالدقائق، وكتاب الله الناطق، والحجّة على الخلائق، حاكم الصيف، ومكرم الضيف، وصمصامة الحرب، ومفرّج الكرب إذ اختلف الطعن والضرب، وماجت الخيول





في لبودها[1]، وزابرت[2] الأسود في حديدها، واشتدّ النزال وترادف البلبال[3]، وأشجر القنا وحان الفنا، وتبادرت الأعنة، وتلاشت الأسنة، هازم الأحزاب، وفالق الرقاب، وحاكم الصواب، وشفيع يوم الحساب، فالق الصخرة والرتاج[4] المباهى به يوم المعراج، أبو الحسن الفراج، البائت على الفراش، ومضر أسماع الأوباش، محمود الخصال، ومرهوب المجال، صاحب يوم الغدير، والصائم على قرص الشعير، وفي مدحه عليه السلام أقول شعراً:

متملك العليا بالسعي الذي ... أغناه عن متقادم الأنساب

ببياض عرض واحمران قواضب ... وثياب عزم واخضرار رحاب

الصديق الأكبر، والشجاع الأظفر، لم تزل منه إلى الحضيض قدم، ولم يعبد دون معبوده صنم، الذي جرى بنشر فضائله القلم، وبشّر به من سلف من الأُمم، الإمام الرفيق، والرحيم بالتحقيق، والرؤوف الشفيق، ذو السريرة الصافية، ومفزع العبادة في الداهية، قد تصاغرت عنه العلماء، وتحيّرت فيه الحكماء، وتقاصرت عمّا ارتقاه الحلماء، وحفوت الخطبة، وجهلت الألباء ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[5]

---

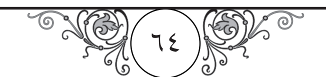
(١) اللبود: وهو كلّ شعر أو صوف متلبّد بعضه على بعض، وتلبّد الشعر والصوف والوبر والتبد: تداخل ولزق. لسان العرب: ٣/ ٣٨٦، لبد.

(٢) زابرت: الزبر: القطعة الضخمة من الحديد. لسان العرب: ٤/ ٣١٦، زبر.

(٣) البَلْبال: وسوسة الهموم في الصدر. العين: ٨/ ٣٢٠، بل.

(٤) الرتاج: الباب المغلق. العين: ٦/ ٩١، رتج.

(٥) سورة القصص، الآية: ٦٨.



فسبحان من ارتضاه على عباده وليّاً، وجعله لنبيّه عضداً وحمياً، فهو العادل الذي لا يجهل، والداعي الذي لا ينكل، معدن القدس والطهارة، ورب النسك والزهادة، وأهل العلم والعبادة، المخصوص بدعوة الرسول، وزوج المطهّرة البتول، لا مغمز فيه نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والدرة من هاشم قطب دائرة المفاخر، ونور الملزمين، والشاعر المخصوص ببيعة الرضوان دون الصحابة والأقران، وصاحب يوم الغدير بين الجم الصغير، المنوه باسمه في ذرى الأفلاك، والقائد ببدر موكب الأملاك، والمقيم لحدود الله، والذّاب عن دين الله، زمام الدين، ونظام المسلمين، وعز المؤمنين، وذلّ الكافرين، آية الله إذ اشتبك التنوس، وقد نسب لظى البؤس، ومنتهى الشريعة والأحكام بأمر ذي الجلال والإكرام، خواض الغمرات، ومفرج الكربات عن خير البريات، والد الأئمّة، وسراج كلّ ظلمة، وربّ الموعظة والحكمة، الضارب بالسيفين، والطاعن بالرمحين، ومصلّي القبلتين، الذي ما طلب لهارب، ولا هرب من طالب، ولا ضرب لمستسلم لضارب، أبو الحسن والحسين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فما أحقّه بما قاله حاتم الطائي حيث قال:

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها ... وإن شمرت يوماً به الحرب شمّرا

فتى لم يعرف فيه تيم ابن مرة ... ولا عبد اللات الخبيثة أعصرا

يزاحمه جبريل تحت عبائه ... لقد قيل كل الصيد في جانب الفرا

ولا كان معزولاً غداة برائه ... ولا عن صلاته أم فيها مؤخرا[1]

(١) ينظر: الكامل: ٣/ ٢٢٣-٢٢٤.



صلّى الله عليه ما سقت الروض وكافة أوفرت القفر زيافة[1] وعلى أبنائه الكرام، ودعاة الإسلام، ومفاتيح الكلام، مآل الكتاب، وشفعاء يوم الحساب.

أمّا بعد فقد سألني جماعة من جيراني وطائفة من إخواني من الشيعة المخلصين والأولياء الصالحين والمحبين التابعين أنْ أُثبت في صفحات هذه الأوراق سيرة حسنة تتضمن ما خصّ الله به ذا النسب القصير أبا شبر وشبير في يوم الغدير، ومن الكرامة والتوقير، حيث إنّ الله عزَّ وجلَّ فضّل ذلك اليوم على سائر الأيام وجعله عيداً على ممرِّ السنين والأعوام، بخلافة الدين، وأسرَّ فيه المؤمنين، وأكمه فيه المنافقين، وأرغم فيه أناف الملحدين، وأذلّ فيه الكافرين، وفضّل فيه سيّد الوصيّين وإمام المتقين، فأجبتهم فيما طلبوا، ورغبت فيما سألوا، وسألت الله أن يجعلها متداولة بين العصابة الناجية، وأن يجعلها سيرة كافية، وعند ذوي الألباب شافية، وعزّ التمويهات وزخاريف الأقاوير صافية، فتكون في كلّ يوم من أيام الغدير مترددة، وتلاوتها بين المؤمنين في كلّ عام متجددة، ليتبركون بقراءتها في مجالسهم، ويتخلعون بما حوت في محافلهم من الفرقة الماحضة، الذين يعرفون بالآيات ليأنس بأسماعها العالم العامل، ويهتدي بتبلج أسفاره الجاهل فتكون جامعة للأمرين لأنس وهدىً ونوعاً آخر وهو إعادة فضل اليوم الذي استر به المؤمنون وارتاح بنشر ما كان المتقون من ذوي الألباب وبقية أهل الصلاح، المتمسّكين بالكتاب، الذين ثبت

---

(١) الزّيافة: المسرعة أو المختالة في سيرها. الصحاح: ٤/ ٧٧، زيف.



لديهم فضله، وأكدوا نقله من طريق المؤالف والمخالف، في الزمن التليد الطارف، بالدراية والرواية، ففي ما أنا مثبته إنْ شاء الله في صفحاتها كفاية، وها أنا ذا مقدم تأليفها على الاكتساب، رغبة في الثواب وخوفاً من العقاب، بأنّه بما يجد نجائل الجود بما يملكه، كي لا تحل عليه قارعة فتهلكه، فتعمقت في تأليفها كلَّ التعمق، وتأنقت في ترتيبها كلّ التأنّق، لأنَّني لم أقف على نسخة متداولة في الأيدي، فبذلت لجمعها جهدي فتكون مثبتة بين العصابة مني وبعدي شعراً:

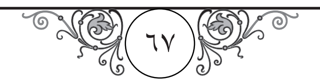
لقد حكيت ولكن فاتك النسب — وذل من زاح من نظمي مشابهة

بحب حيدرة الهادي ولا حجب — وقد رجوت من المولى مسامحةً

وقد وسمتها بالروضة الينيعة وتحفة مجالس الشيعة، بخلافة من ساد على مضر وربيعة، وقديماً كنت أُجيل الرأي لجمعها، وأطرب بجدٍّ أرمي لسمعها، فلم أجد لها سيرة متّصلة كما أنا مثبته بها حيث يمكن الطالب أن يستوفيها في كلّ وقت أراد، والله حسبي ونعم الوكيل.

اعلم أيّها الراغب لاستماع فضائل الإمام الهمام والأسد الضرغام، والسيّد الكريم، والوصيّ العظيم، وما خصّه الله به من الشرف والتعظيم في الكتاب الكريم على لسان خاتم النبيّين في يوم الغدير وغيره من الأيّام، ألا إنّ يوم الغدير هو الذي اشتهر وظهر وفيه النبيّ عذر ونذر، وألجبت فيه عبس وبسر، وأدبر واستكبر، وسينبّأ الطاغوت بما قدم يوم الغدير ولمن أخر، وسيصلى سقر وما أدراك ما سقر.

أيّها السامع ما سقر لا تبقي ولا تذر، لوّاحة للبشر، وكيف يمكن مثلي



أن يأتي بعشر معشار ما خصّ الله به هذا النور الرباني، والعالم الجسماني، والنور الذي يقصر عن حصر مناقبه لساني، مع جمود طبعي وقلة وسعي، لكن أجود بما أجد وأشرع في عدّ مناقبه أولاً ولا حتى أنتهي إلى يوم الغدير.

بحذف الإسناد: عن أبي مسعود، قال: رأيت النبيّ صلَّى الله عليه وآله وكفّه في كفّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يقبّله فقلت يا رسول الله ما منزلة عليٍّ منك؟ فقال: «**كمنزلتي عند الله**»(١)، فتخابر الناس بذلك فشقّ على المنافقين فأضمروا له العداوة والبغضاء، ثمّ إنّ النبيّ صلَّى الله عليه وآله أخذ عليهم البيعة له في أربعة مواطن فمنهم من وفى ومنهم من نكث ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٢)، فالذي وفى سلمان وعمار والمقداد، والذي نكث فمنهم الثلاثة والمواطن المذكورة فهي: في الدار، وفي بيعة الرضوان تحت الشجرة وهي التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ إذ نزل على نبيّه يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾(٣)، فأمّا التي في بيت أُمّ سلمة رضي الله عنها أحضر أبو بكر وعمر وعثمان وسلمان والمقداد وجندب وعمار وحذيفة وخزيمة وأبو الهيثم ومالك بن التيهان وأبو

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٢٦، المجلس الثامن، ح٤٤. مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٦٠. فصل في الاختصاص بالنبيّ صلَّى الله عليه وآله، بشارة المصطفى: ٢٧٤.

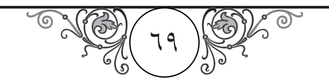
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٨.

الطفيل عامر بن واثلة حتّى امتلأ منهم البيت، وحضر بريدة الأسلمي فجلس على عتبة الباب وعليّ بن أبي طالب عليه السلام جالس بجانبه، فقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله لأبي بكر: «**قم يا أبا بكر فسلّم على عليٍّ بإمرة المؤمنين**»، فقال: عن أمر الله وأمرك يا رسول الله؟ فقال صلَّى الله عليه وآله: «**نعم**»، فقام فبايعه وسلّم عليه بإمرة المؤمنين، ثمّ أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله عمر، فقال عمر ما قال صاحبه، ثمّ أمر عثمان ففعل كما فعل صاحباه، ثمّ قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**قم يا حذيفة، قم يا سلمان، قم يا مقداد، قم يا عمّار، قم يا جندب، قم يا خزيمة، قم يا أبا الهيثم، قمّ يا بريدة فبايعوا وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين**»، ثمّ أمر أنس بن مالك أنْ يسرج له على بغلته الدلول، وحماره اليعفور، قال أنس بن مالك: ففعلت ما أمرني به رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فاستوى هو على متن بغلته وركب عليّ على حماره، وسارا وسرت معهما فأتينا سفح جبل فنزلا وصعدا حتّى صارا على ذروة الجبل، ثمّ رأيت غمامة بيضاء كدائرة[1] الكرسي [وقد] أظلتهما، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قد مدّ يده إلى شيء يأكل وأطعم عليّاً حتّى توهمت أنّهما شبعا، ثمّ رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قد مدّ يده إلى شيء فشرب حتّى روي وسقى عليّاً حتّى قدرت أنّهما رويا - أو قال: شربها ريهما - ثمّ رأيت الغمامة قد ارتفعت فنزلا وركبا وسارا وسرت معهما، فرآني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله في

---

(١) في المصدر: (كدارة) بدل: (كدائرة) ومعناها كلّ شيء مستدير. ينظر: لسان العرب: ٩/ ٣٠٤.





وجهي متغيّراً، فقال صلَّى الله عليه وآله: «**مالي أراك متغيّراً؟**»، فقلت له: ذهلت يا رسول الله ممّا رأيت، فقال لي: «**وما رأيت ما كان؟**»[1]، فقلت: نعم فداك أبي وأُمّي يا رسول الله، فقال لي: «**يا أنس والذي خلق ما يشاء، لقد أكل من تلك الغمامة ثلاثمائة وثلاثة عشر نبياً، وثلاثمائة وثلاثة عشر وصيّاً، ما فيهم نبيّ أكرم على الله منّي، ولا فيهم أكرم على الله من وصيّي عليّ بن أبي طالب**»[2].

وفي مدحه أقول: أفلح من صلّى على الرسول وآله:

أُقسم بالله وآياته	والمرء عمّا قال مسؤولُ
إنّ عليّ بن أبي طالب	على التقى والبر مجبولُ
إنّه كان الإمام الذي	له على الأُمَّة تفضيلُ
يقول بالحقّ ويعنى به	ولا تلهيه الأباطيلُ
كان إذ الحرب مرتها القنى	وأحجمت عنها البهاليلُ[3]
يمشي إلى الحرب وفي كفّه	أبيض ماضي الحدّ مصقولُ
مشي العفرني[4] بين أشباله	أبرزه للقنص الغيلُ[5]
ذاك الذي سلم في ليلة	عليه ميكال وجبريلُ

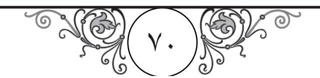
(١) في المصدر: (فرأيت ما كان) بدل: (وما رأيت ما كان).

(٢) أمالي الطوسي: ٢٨٢-٢٨٣، المجلس العاشر، ح٨٦.

(٣) البهاليل: جمع البهلول، السيّد الجامع لكل خير. تاج العروس: ١٤/ ٧٣، بهل.

(٤) العفرني: يقال أسد عفرني: أي شديد قوي. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٢٦٢، عفر.

(٥) الغيل: موضع الأسد. الصحاح: ٥/ ٦٠، غيل.



ليلة بدر مدداً أنزلوا كأنّهم طير أبابيلُ
جبريل في ألف وميكال في ألفٍ ويتلوهم سرافيلُ
وسلموا لما أتوحذوه وذاك تعظيم وتبجيلُ

اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد وصلِّ على وصيّه وعترته الطاهرين.

قال سلمان الفارسي رضوان الله عليه: اعلم أنّه لمّا كثرت فضائل أمير المؤمنين عليه السلام واتخذه الله وصياً لنبيّه دون العالمين ورأى المنافقون ذلك اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان على رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله ما بالك تفضّل عليّ بن أبي طالب في كلّ حال وتنوه باسمه بين الرجال؟ فقال صلَّى الله عليه وآله: «**أيّها الناس، ما أنا فضّلته عليكم بل الله فضّله**»، قالوا: وما الدليل بأنّ الله فضّله علينا؟ فقال لهم: «**إن لم تقبلوا منّي ما أقول فليس من الموت**(١) **أصدق عندكم من أهل الكهف حتّى أنا أبعثكم وعليّاً وأجعل سلمان الفارسي شاهداً عليكم إلى أصحاب الكهف حتّى تسلّموا عليهم فمن أحياهم الله [له] وأجابوه كان هو الأفضل**»، قالوا: رضينا فأمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله ببساط فبسط [له]، فدعا بعليّ عليه السلام فأجلسه بوسط البساط وأجلس كلَّا منهم على قرنةٍ(٢) من البساط وأجلس سلمان رحمة الله عليه على القرنة الرابعة، ثمّ قال: «**يا ريح احمليهم إلى أهل أصحاب الكهف وردّيهم إليّ**»، قال سلمان: فدخلت الريح تحت البساط وسارت بنا وإذا نحن بكهف

(١) في بعض المصادر: الموتى.

(٢) قِرنةٍ: القرنة: الطرف الشاخص من كلّ شيء، وقيل: زاوية البيت. الصحاح: ٦/ ٥٥، قرن.



عظيم فحطتنا عليه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا سلمان هذا الكهف والرقيم، فقل للقوم يتقدّمون أو نتقدم؟**»، فقالوا: بل نحن نتقدم، قال روزبة: فقام كلّ واحد منهم فصلّى ركعتين ودعا، وقال: السلام عليكم يا أهل الكهف، فلم يجبه أحداً منهم، فجلسوا خائبين فلم ترفع لهم دعوة عند ربّ العالمين.

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فصلّى ركعتين فدعا ونادى: «**يا أصحاب الكهف**»، قال روزبة: فصاح أصحاب الكهف والقوم من داخله بالتلبية: لبيك لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: «**السلام عليكم أيّها الفتية الذين آمنوا بربّهم وزدناهم هدىً**»، فأجابوه جميعاً وعليك السلام يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وأخا الرسول ووصيّه، لقد أخذ الله علينا العهد والأيمان بالله وبرسوله وبالولاية لأمير المؤمنين عليه السلام إلى يوم القيامة ويوم الدين.

قال سلمان رحمة الله عليه: فسقط القوم على وجوههم فقالوا: يا أبا عبد الله ردّنا، فقلت لهم: ما ذاك إليَّ فقالوا: يا أبا الحسن ردّنا، فقال: «**نعم**»، فنادى الريح وقال لها: «**ردّينا إلى رسول الله**»، قال سلمان رحمة الله عليه: فحملتنا فإذا نحن بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقصّ علينا كما جرى لنا مع أصحاب الكهف وقال: «**هذا حبيبي جبرئيل عليه السلام يخبرني به فقالوا: يا رسول الله قد علمنا فضل عليّ بن أبي طالب من الله لا منك**»[1].

---

(١) إرشاد القلوب: ٢٦٨. بحار الأنوار: ٢٩/ ١٤٤.

فالتفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله إلى حذيفة بن أسيد الغفاري فقال: «يا حذيفة، إنّ حجّة الله عليكم بعدي عليّ بن أبي طالب، فإنَّ الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشكّ فيه شكّ بالله، والإلحاد فيه إلحاد بالله، والإنكار به إنكاراً بالله، والإيمان به إيمان بالله، لأنّه أخو الرسول ووصيّه وإمام أُمّته ومولاهم، وهو حبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب لهما، محبٌّ غالٍ ومقتصر قالٍ.

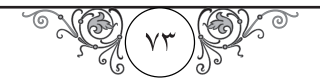
يا حذيفة، لا تفارق عليّاً فتفارقني، ولا تخالف عليّاً فتخالفني، لأنّ عليّاً منّي وأنا منه، من أسخطه فقد أسخطني، ومن أرضاه فقد أرضاني»[١].

ثمّ التفت إلى عليٍّ عليه السلام فقال له: «يا عليّ، أنت الذي احتجّ الله بك في الابتداء على الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال لهم: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى قال: فمحمّد رسولي؟ قالوا: بلى، وقال: وعليّ أمير المؤمنين فأبى الخلق إلّا استكباراً وعتواً عن ولايتك إلّا نفر قليل وهم القليل وهم أصحاب اليمين»[٢]، وفي مدحه عليه وآله الصلاة والسلام أقول:

فرض الإله على البرية حبّه ... في الدر أرواحاً بلا أجسادي
فاستكبروا وعتوا على مولاهم ... خير البرية والإمام الهادي
زوج البتول فاطم ست النسا ... وأخي النبيّ زبدة الأمجادِ

قال: ثمّ إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله جلس في رحبة المسجد وطائفة من أصحابه معه، إذ أقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فناوله

(١) أمالي الصدوق: ٢٦٤، المجلس التاسع والثلاثون، ح٣. بحار الأنوار: ٣٨/ ٩٧.
(٢) أمالي الطوسي: ٣٦٤، المجلس التاسع، ح٩. اليقين: ٢١٣. بحار الأنوار: ٢٤/ ٢، ح٤.



حصاة، فما استقرت في يده حتّى نطقت بلا إله إلّا الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، رضيت بالله ربّاً، وبمحمّد نبيّاً، وبعليّ بن أبي طالب عليه السلام إماماً ووليّاً، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**من أصبح منكم راضياً بالله وبي وبولاية عليّ بن أبي طالب فقد آمن من خوف المطّلع**»، أو قال: «**من خوف الله وعقابه**»[1] شعراً:

ليس من مات استراح بميت   إنّما الميت ميت الأحياء

ليس من قال باللسان مطيع   إنّما الطوع من وفا بالولاء

ثمّ قال صلَّى الله عليه وآله: «**معاشر الناس، ما لكم إذا ذكر آل إبراهيم تهللت وجوهكم وإذا ذكر آل محمّد تفقأ في وجوهكم حبّ الرّمان، فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً لو جاء أحدكم بأعمال كأمثال الجبال ولم يجيء بولاية عليّ بن أبي طالب لأكبّه الله عزَّ وجلَّ في النار**»[2].

«**أيّها الناس، من أحبّ أن ينظر إلى يوسف وجماله[3]، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في قوته[4]، فلينظر إلى هذا**»[5].

«**ألا وإنّه ينادي يوم القيامة منادٍ من جهة العرش[6]: أين خليفة الله في**

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٨٣، المجلس العاشر، ح٨٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٠٨، المجلس الحادي عشر، ح٦٦.

(٣) في المصدر: في جماله.

(٤) في الأصل: قوته، وما أثبتناه من المصدر.

(٥) أمالي الصدوق: ٧٥٧، المجلس السادس والسبعون، ح١١.

(٦) في المصدر: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش.

أرضـه؟ فيقـوم داود النبـيّ عليـه السـلام فيـأتي النـداء مـن عنـد الله، لسـنا إيّـاك أردنـا وإن كنـت لله خليفـة، ثـمّ ينـادي ثانيـة: أيـن خليفـة الله في أرضـه؟ فيقـوم عـليّ بـن أبي طالـب فيـأتي النـداء مـن قِبَـل[1] الله: يـا معـاشر الخلائـق، هـذا [عـليّ بـن أبي طالـب] خليفـة الله في أرضـه وحجّتـه عـلى عبـاده، فمـن تعلّـق بحبلـه في دار الدنيـا فليتعلـق بحبلـه في هـذا اليـوم [ليسـتضيء بنـوره وليتبعـه إلى الدرجـات العـلى مـن الجنـان».

قـال: «**فيقـوم أنـاس قـد تعلّقـوا بحبلـه في الدنيـا] فيتّبعونـه في[2] الجنّـة، ثـمّ يـأتي النـداء مـن الله عـزّ وجـلّ [ألا] مـن ائتـمَّ بإمـام في دار الدنيـا فليتبعـه إلى حيـث يذهـب، فحينئـذٍ يتـبرأ الذيـن اتُّبِعـوا مـن الذيـن اتَّبَعـوا فيقولـون لـو أنّ لنـا كـرة فنتـبرأ منهـم كـما تـبرؤوا منّـا، كذلـك يريهـم الله أعمالهـم حـسرات عليهـم ومـا هـم بخارجـين مـن النـار[3]**»[4].

[وعنـه، عـن محمّـد بـن موسـى القمّـي، عـن دوواد بـن سـليمان الطـوسي، عـن محمّـد بـن خلـف الطاطـري، عـن الحسـن بـن سـماعة الكـوفي، عـن راشـد بـن يزيـد المـدني، عـن المفضّـل بـن عمـر الجعفـي، عـن أبي عبـد الله الصـادق عليـه السَّـلام، قـال: «**وجلـس رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في رحبـة مسـجده بالمدينـة، وطائفـة مـن المهاجريـن والأنصـار حولـه، وكان عـليّ بـن أبي طالـب عليه**

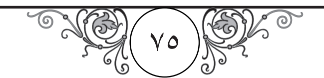
---

(١) في المصدر: عنه.

(٢) في المصدر: إلى.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٦٦-١٦٧، والخبر يدل على أنّ كل أناس يدعى بإمامهم.

(٤) أمالي المفيد: ٢٨٥، المجلس الرابع والثلاثون، ح٣.



السَّلام عن يمين رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وأبو بكر عن يساره، وعمر بجنب أبي بكر[١] إذ ظلّله[٢] غمام له زجل [بالتسبيح] وحفيف[٣]، والزجل: هو الصوت فالتفت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى عليٍّ عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، قد أُوتينا بهدية من الله عزَّ وجلَّ، ثمّ مدّ يده فنزلت الغمامة ودنت من يده فبدا منها جام[٤] يلمع حتّى غشى أبصار من كان بالمسجد، وبدأ منه روائح زالت من طيبها عقول الناس، والجام يسبح الله عزَّ وجلَّ ويحمده ويقدّسه بلسان عربي مبين، حتّى نظر رسول الله صلَّى الله عليه وآله في راحته اليمنى وهو يقول: السلام عليك يا حبيب الله وصفوته والرسول المصطفى المختار من ربِّ العالمين، والمفضل على ملائكة الله أجمعين من الأوّلين والآخرين، وعلى وصيّك خير الوصيّين، وأخيك خير المواخين، وخليفتك خير المستخلفين، وإمام المتقين، وأمير المتقين والمؤمنين، ونور المستنيرين، وسراج المهتدين، وعلى زوجته ابنتك فاطمة الزهراء خير نساء العالمين، الزهراء في الزاهرين، البتول العذراء أُمّ الأئمّة الراشدين المعصومين، وعلى سبطيك ونوريك وريحانتيك، وقرّة عينيك الحسن والحسين عليهما السلام، فمسع ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وعليٌّ والحسن والحسين وجميع من حضر يسمعون كلام الجام ويغضّون أبصارهم عن تلألؤ نوره، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله يكثر من حمد الله وشكره حتّى قال الجام -وهو في

(١) في الهداية الكبرى: وأمير المؤمنين عليه السلام عن يمينه وعمر عن شماله.

(٢) في المصدر أعلاه: ظلله غمام.

(٣) في المصدر: هفيف.

(٤) الجام: أناثر من فضّة. القاموس المحيط: ٤/ ٩٣، جوم.

كـفّ رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه-: يـا رسـول الله، إنّ الله بعثنـي إليـك وإلى أخيـك عـليٍّ وإلى ابنتـك فاطمـة وإلى ابنيـك الحسـن والحسـين ردّني يـا رسـول الله إلى كـف عـليٍّ، فقـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: خـذ يـا عـليّ تحفـة(١) الله إليـك، فمـدّ يـده اليمنى فصـار في باطـن راحتـه(٢) اليمنـى، فقبّلـه وشـمّه وقـال: مرحبـاً بزلفـة(٣) الله لرسـوله ولأهـل بيتـه، وأكثـر مـن حمـد الله والثنـاء عليـه، والجـام [يسـبّح لله عـزَّ وجـلَّ] ويكـبر الله ويهللـه [ويقـول: يـا رسـول الله مـا بقـي مـن طيـب في الجنـة إلّا وأنـا أطيـب منـه]، فقـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: قـم يـا أبـا الحسـن فـاردده إلى كـفّ فاطمـة الزهـراء وحبيبـيّ الحسـن والحسـين، فقـام أمـير المؤمنـين عليـه السَّـلام فحمـل الجـام ونـوره يزيـد عـلى نـور الشـمس [والقمـر] ورائحتـه قـد ذهلـت العقـول طيبـاً، حتّـى دخـل عـلى فاطمـة والحسـن والحسـين وردّه في أيديهـم وتحيـوا بـه وقبّلـوه وأكثـروا مـن ذكـر الله والثنـاء عليـه، ثـمّ ردّه إلى رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، فلـمّا صـار في كفّـه قـام عمـر عـلى قدميـه وقـال: يـا رسـول الله مـا بالـك تسـتأثر بـكلّ مـا أتـاك(٤) مـن عنـد الله مـن تحفـة(٥) وزلفـة وهديـة أنـت وعـليّ والحسـن والحسـين؟ فقـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: ويحـك يـا عمـر، مـن جرأتـك(٦) عـلى الله عـزَّ وجـلَّ، أَمَـا

---

(١) في المصدر: تحية.

(٢) في المصدر: بطن راحتيه.

(٣) في المصدر: كرامة.

(٤) في المصدر: نالك.

(٥) في المصدر: تحية.

(٦) في المصدر: يا عمر ما أجرأك على الله.

سمعت ما قال الجام؟ أتسألني يا عمر أنْ أُعطيك ما ليس لك؟ فقال: يا رسول الله، أفتأذن لي أن آخذه وأشمّه وأُقبّله؟ قال صلَّى الله عليه وآله: ويحك يا عمر[1] والله ما ذلك لك ولا لأحد غيرك من الناس أجمعين، فقال: يا رسول الله، أفتأذن لي أن أمسّه بيدي؟ فقال له صلَّى الله عليه وآله: ويحك يا عمر، ما أشدّ إلحاحك، قم فإنْ نلته فما أنا بمحمّد رسول الله حقاً ولا جاء من الله بحقّ، فمدّ عمر يده نحو الجام فلم يصل إليه وارتفع نحو السماء واختلط بالغمام وهو يقول: هكذا يا محمّد يفعل بالمزور بالزائر؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: ويحك يا عمر من جرأتك على الله عزَّ وجلَّ وعلى رسوله»[2]، في مدحه أقول صلّوا على محمّد وآله:

يا من أذلّ الأنف كلّ مكاسح	بمنال معجز سؤدد لن يزدرا
لله درّك ممتط بأكفه	جام فسبح في يديه وكبّرا
رغماً على ابن أبي قحافة مع أبي	الخطّاب ذي اللؤم الذي لن ينكرا
صلّى عليك الله ما نسم الصبا	عقباً بنشر شدى العبير معطرا

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: **«يا أبا الحسن قم على قدميك وامدد يديك[3] إلى الغمام وخذ الجام وقل له ما الذي أمرك الله به أن تؤديه [إلينا] أنسيته؟ قال الجام: نعم يا أخا الرسول أمرني ربّي أنْ أقول لكم قد**

(١) في المصدر: ما أشدّ جأشك.

(٢) في المصدر: ما أجرأك.

(٣) في المصدر: يدك.

أوقفني ربّي[1] على نفسِ كلِّ مؤمن ومؤمنة من شيعتكم وأمرني بحضور وفاته، حتّى لا يستوحش بالموت فيأنس بالنظر إليَّ، وأن أَنزل على صدره وأسكره[2] بروائح طيبة[3] فتقبض[4] روحه وهو لا يشعر، فلمّا انتهى كلام الجام قام عمر وقال لأبي بكر: يا ليت الجام مضى بحديثه الأوّل ولم يذكر الحديث الآخر»[5].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**أتاني جبرئيل عليه السلام وهو فرح مستبشر، فقلت: حبيبي جبرئيل مع ما أنت [فيه] من الفرح ما منزلة أخي وابن عمّي [عليّ بن أبي طالب] عند الله عزَّ وجلَّ؟ فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، والذي بعثك بالنبوّة واصطفاك بالرسالة ما هبطت في وقتي هذا إلّا لهذا يا محمّد، العليّ الأعلى يقرئك السلام ويقول: محمّد نبيّ رحمتي وعليّ مقيم حجّتي لا أعذّب من والاه وإن عصاني ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني**»[6].

ثمّ دخل عليه رهط من اليهود الذين أسلموا منهم عبد الله بن سلام، وأسد وثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فقالوا: يا نبيّ الله، إنّ

(١) في المصدر: الله.

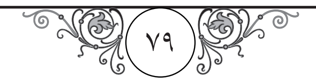
(٢) في الأصل: أسكنه، وما أثبتناه من المصدر.

(٣) في المصدر: طينتي.

(٤) في المصدر: فتفيض.

(٥) إرشاد القلوب: ٢/ ٢٨٧. الهداية الكبرى: ١٦٦.

(٦) الخصال: ٢/ ٥٨٣، أبواب السبعين وما فوقه، ح٧.



موسى عليه السلام أوصى إلى يوشع بن نون، فمَنْ وصيّك يا رسول الله ومن ولينا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] فقال لهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**قوموا**» فقاموا فدخل بهم المسجد، فإذا سائل خارج من المسجد فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**يا سائل، ما أعطاك أحد شيئاً؟**»، فقال: بلى يا سيدي، هذا الخاتم، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**من أعطاكه؟**»، فقال: يا رسول الله أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلّي، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**على أيّ حال أعطاك إيّاه؟**»، فقال له: أعطانيه وهو راكع، فكبّر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وكبّر أهل المسجد، وقال: «**أيها الناس، وليّكم بعدي عليّ بن أبي طالب**»، فقالوا: رضينا بالله ربّنا وبمحمّد صلَّى الله عليه وآله نبيّنا وبعليّ بن أبي طالب إماماً ووليّاً فأنزل الله عند ذلك فيه: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[2][3].

اعلم أيّها السامع لفضائل الإمام الهمام والأسد الضرغام، وحجّة الله على الأنام، هذا الحديث وجدته هكذا فأثبته تيمناً وتبركاً بتلاوته بين المؤمنين وتنبيهاً لمن يقف عليه في كتب الأصحاب، وقد وجدت رواية مسندة عن أبي الخطاب عمر أنّه قال ذات يوم في مجلس له مع أصحابه:

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٣) أمالي الصدوق: ١٨٦، المجلس السادس والعشرون، ح٤. وفيه اختلافات كثيرة.

والله لقد تصدّقت بأربعين خاتماً وأنا راكع لينزل فيَّ مثلما نزل في عليّ بن أبي طالب عليه السلام فما نزل فيَّ شيء[1].

قلت: إنّ الله عزَّ وجلَّ لِمَ قال في كتابه المنزل على نبيّه المرسل: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[2] وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[3] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[4] ولم يقل أبي الخطاب، والحديث عجيب وتأمّل هذا اللفظ نفسه لنزول الآيات فيه أعجب.

وفي مدح أمير المؤمنين عليه السلام أقول:

سمي عليٌّ في الكتاب وإنَّه ... لمن العلى برتبة علياء

وهو السائر في البرية كلّها ... من ربّه بالحجّة البيضاء

وقال آخر يشير لتصدقه بالخاتم بمدحه عليه السلام:

تصدّق مولانا عليّ بخاتم ... فوافى قبولاً لم يذله مذيل

رام ابن خطاب يكون كمثله ... فردّ بغيظ لم يزل مزيل

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد أن يكمل دينه وأنْ يبين للناس خليفته بينهم ومرجعهم الذي ترد إليه أُمورهم وما استكمل عليهم من متشابه

---

(١) المصدر السابق. مناقب ابن شهر آشوب: ٣/ ٣. تأويل الآيات الظاهرة: ١/ ١٥٢، ح١٠. بحار الأنوار: ٣٥/ ١٨٣، ح١.

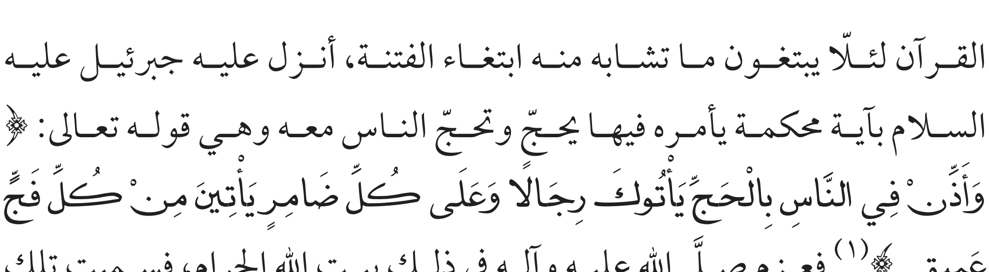
(٢) سورة يس، الآية: ١٢.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران: ٣٣.







القرآن لئلّا يبتغون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، أنزل عليه جبرئيل عليه السلام بآية محكمة يأمره فيها يحجّ وتحجّ الناس معه وهي قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[(1)] فعزم صلَّى الله عليه وآله في ذلك بيت الله الحرام، فسميت تلك الحجة حجة الوداع، وهي آخر حجّة حجّها رسول الله صلَّى الله عليه وآله فلمّا دخل مكّة وعرف الناس مناسكهم لتكون سنة لهم إلى آخر الدهر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ في عليٍّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[(2)] فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأبي بكر وعمر: «**قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين**»، فسلّما عليه فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾[(3)] مثلاً بامرأة اسمها ريطة بنت سعد بن تميم وكانت امرأة خرقاء[(4)].

أن تكون أئمّة وهي أزكى من أئمتكم

أقول: كان زيد بن جهيم[(5)] بين يدي أبي عبد الله الصادق عليه السلام،

---

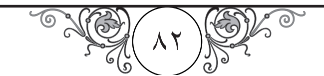
(1) سورة الحجّ: ٢٦.

(2) سورة المائدة: ٦٧.

(3) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(4) لم نعثر على مصدر هذا الكلام.

(5) زيد بن جهيم: من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. رجال الكشّي: ٢٠٧، ح١٣. وفي بعض المصادر: زيد بن الجهم.



فلـمّا تـلا هـذه الآيـة قـال زيـد: يابـن رسـول الله أئمّـة؟ قـال: «**أي والله أئمّـة**»، قـال زيـد: فإنّـا نقـرأ أربـى، فقـال لـه: «**مـا أربـى** -وأومـأ بيـده فطرحهـا- **إنّـما يبلوكـم الله بـه، يعنـي: بعـليٍّ وليبينـن لكـم يـوم القيامـة مـا كنتـم فيـه تختلفـون، لو شـاء الله لجعـل النـاس أُمَّـة واحـدة ولكـنْ يدخـل مـن يشـاء ويهـدي مـن يشـاء ولتسـألن يـوم القيامـة عـمّا كنتـم تعملـون**» - مـن وضـوح الحجـة بولايـة عـليٍّ عليـه السَّـلام- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾، «**يعنـي: بعـد مقالـة عـليٍّ في رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في عـليٍّ، وتذوقـوا السـوء بـما صددتـم عـن سـبيل الله، يعنـي عـليّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام** ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]»[2].

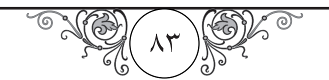
قـال الصـادق عليـه السـلام: «**فلـمّا كان يـوم عرفـة أنـزل الله عـزَّ وجـلَّ:** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[3]، **وكان كـمال الديـن بولايـة عـليٍّ عليـه السلام، فقـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: أُمّتـي حديثـو عهـد بالجاهليـة، ومتـى أخبرتهـم بهـذا في ابـن عمّـي، يقولـون ويقـول قائلهـم**».

قـال الصـادق عليـه السـلام: «**فقـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه فقلـت في نفسـي مـن غـير أن ينطـق بـه لسـاني، فأتتنـي عزيمـة مـن الله بتلـه وهـذه العزيمـة**»

(١) سورة النحل، الآيتان: ٩٢-٩٤.

(٢) الحديث مأخوذ من الكافي: ١/ ٢٩٢، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنصّ على أمير المؤمنين...، ح١، ولكن باختلاف كثير.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.



قد نظم فيها السيد إسماعيل الحميري رحمه الله:

ثمّ أتته بعد ذا عزمة | من ربّه ليس لها مدفع
أبلغ وإلّا لم تكن مبلغاً | والله فيهم شاهد يسمع

والبتلة: هي الأمر القاطع الذي لا يجب التأخر بعده وهي إعارة عن القطع بتله بتلاً أي: قطعه قطعاً قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «فأوعدني ربّي إن لم أبلّغ أن يعذبني»، وكان امتناعه حذراً من المنافقين وانتظاراً لنزول الوحي عليه بالعصمة من الناس فأنزل الله عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ في عليٍّ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، قال الصادق عليه السلام: «**فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله بيد عليٍّ عليه السلام وقال: أيّها الناس، إنّه لم يكن نبيٌّ من الأنبياء ممّن كان قبلي إلّا وقد عمره الله ودعاه فأجابه، فأُوشك أن أُدعى فأُجيب، وأنا المسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنّك قد بلغت ونصحت وأدّيت ما عليك فجزاك الله خيراً، فقال: اللّهم اشهد -يكررها ثلاثاً- ثمّ قال: يا معاشر المسلمين هذا وليّكم بعدي ألا فليبلّغ الشاهد منكم الغائب**»[2]، قال جابر بن عبد الله الأنصاري فسمعته يقول:

(١) سورة المائدة، الآية: ٥.

(٢) تفسير الأصفى للفيض الكاشاني: ١/ ٢٨٥، سورة المائدة. كذلك نفس المصدر: ٢/ ٥٢، سورة المائدة، الآية: ٥.

«أيّها الناس لأعرفنّكم[1] **بعدي ترجعون كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، وأيّم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة [التي] تضارّ بكم، فالتفت إلى خلفه وقال أو عليّ أو عليّ»**، فرأينا [أن] جبرئيل قد غمزه فأنزل الله عليه: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾[2] **بعليّ بن أبي طالب** ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾[3].

«[ثمّ نزلت] ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾[4] **فاستمسك بالذي أوحي إليك من أمر عليّ بن أبي طالب عليه السلام:** ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5] **وإنّ علياً لعلم الساعة** ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾[6] **عن محبّة عليّ ابن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام**[7] **محنة للعالم به يميز الله بين المنافقين والمؤمنين»**[8]، قال جابر

---

(١) في الإرشاد: لألفيتكم.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤١.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٤٢.

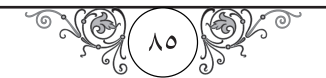
(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٩٣-٩٦.

(٥) سورة الزخرف، الآية: ٤٣.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٧) إرشاد المفيد: ١/ ١٨٠، فصل في دنو أجل الرسول. ورد جزء من الحديث، وورد كاملاً في أمالي الطوسي: ٣٦٣، المجلس الثالث عشر، ح١١.

(٨) أمالي الطوسي٣٦٣، المجلس الثالث عشر، ح١٢.



سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام ينشد ورسول الله صلَّى الله عليه وآله يسمع وعليٌّ عليه السلام يقول:

إنّي أخو المصطفى لا شكّ في نسبي	ومعه ربيت وسبطاه هما ولدي
جدي وجد رسول الله متصل	وفاطم زوجي لا قول ذي فندي
فالحمد لله شكراً لا شريك له	البر بالعبد والباقي بلا أمدي

ثمّ قال عليه السلام: «**ما من عبد إلّا ولله عليه حجّة، إمّا في ذنبٍ اقترفه أو نعمة قصر عن شكرها**»[1]، [وقال عليّ عليه السلام]: «**والله لو صببت الدنيا على المنافق صباً لما أحبّني ولو ضربت بسيفي هذا خيشوم المؤمن لأحبّني**»[2].

قال الترمذي في صحيحه: عن زيد بن أرقم، فآخا رسول الله صلَّى الله عليه وآله بين أصحابه فجاءه عليٌّ تدمع عيناه فقال: «**يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد**» فقال له: «**يا عليّ، أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[3]، ثمّ قال صلَّى الله عليه وآله: «**أيّها الناس، مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»[4].

هذا ما رواه الترمذي عن زيد بن أرقم وزاده غيره من نقلة الأخبار ومتبعي السير والآثار فزاد، وأذكر اليوم الذي نصب فيه رسول الله

---

(١) أمالي الطوسي: ٢١١، المجلس الثامن، ح١٦.

(٢) أمالي الطوسي: ٢٠٦، المجلس الثامن، ح٣.

(٣) سنن الترمذي: ٤/ ٤٧٤، باب ٢١ مناقب عليّ عليه السلام، ٣٧٢٠.

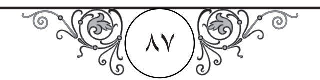
(٤) م. ن: ٤/ ٤٧١، باب ٢١ مناقب عليّ عليه السلام، ح٣٧١٣.

صـلَّى الله عليـه وآلـه عليّـاً عليـه السـلام علـماً وإمّامـا للنـاس وأكـد عليهـم البيعـة لأمـير المؤمنـين عليـه السـلام، وذكـر اسـم الموضـع الـذي قـال فيـه الحديـث المقـدم، وذكـر الزمـان وكيفيتـه لأمـير المؤمنـين عليـه السـلام وأثبتـوه في مصنفاتهـم وأوثقـوا روايتـه مـن طريـق المخالـف والموالـف، وذلـك بعدمـا أفـاض مـن عرفـات ونفـر مـن منـى قالـوا جميعـاً: فأمّـا المـكان هـو مـا بـين مكـة والمدينـة قبـل الربـذة وبعـد رابـع، وأمّـا الاسـم فغديـر خـم، وأمّـا اليـوم فهـو الثامـن عـشر مـن شـهر ذي الحجّـة الحـرام، والمـكان لم يصلـح للنـزول لعـدم المـاء والـكلأ، وإنّ أكثـر مـن حـضره ليلـفّ رداءه عـلى قدميـه، فسـمي ذلـك اليـوم يـوم غديـر خـم، واشـتهر بـين الطائفتـين باسـمه وفضلـه إلى يـوم القيامـة، فسـماه رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه غديـر عيـد وسرور بإكـمال الديـن وتمـام النعمـة ورضـا الـرب عـلى مـن عـرف حقّـه وسـخط عـلى مـن رام الغميـزة[1] فيـه، وسـماه أيضـاً يـوم موسـم فـلا عـزَّ، وهـو يـوم عظيـم تبـاشر بـه النبـيُّ الكريـم ورضي فيـه الغفـور الرحيـم، قـال الـبراء بـن عـازب[2]: كنـا مـع رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في سـفره فلـمّا خرجنـا مـن مكّـة شرفهـا الله تعـالى وجودنـا السـيد طالبـين المدينـة فبينـما نحـن نسـير وإذا قـد نـزل بنـا في غديـر خـم فنـودي فينـا: الصـلاة جامعـة، وكسـح[3] لرسـول الله صـلَّى الله

(١) الغميزة: العيب. العين: ٤/ ٣٨٦، غمز.

(٢) البراء بن عازب الأنصاري، الخزرجي، كنيته أبو عامر، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن أصحاب الإمام عليّ عليه السلام. معجم رجال الحديث: ٤/ ١٨٤، ١٦٦١.

(٣) كسح: كنس. لسان العرب: ٢/ ٥٧٠، كسح.



عليه وآله تحت شجرتين فصلّى بنا الظهر فأخذ بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال: «**أيّها الناس ألستم تعلمون أنّي أولى من كلّ مؤمن بنفسه؟**»، قالوا: بلى، قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**»(١).

«**أيّها الناس، إنّ أفضل الكلام قول لا إله إلّا الله**»، فقالوا له: مَنْ أول مَنْ قالها؟ فقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله: «**أنا أوّل من قلتها وأنا نور بين يدي الله تعالى أوحّده وأسبّحه وأمجّده وأكبّره ويتلوه شاهد منه**»، فقالوا: يا رسول الله من الشاهد الذي هو منك؟ فقال صلَّى الله عليه وآله: «**هو عليّ بن أبي طالب فإنّه أخي وابن عمّي وخليفتي ووصيّي ووزيري ووارثي وقاضي ديني وإمام أُمتي وصاحب حوضي وإمام الصادقين المؤمنين وحامل لوائي**»، فقالوا: يا رسول الله، فمن يتلوه؟ قال: «**الحسن والحسين ثمّ الأئمّة عليهم السلام إلى يوم القيامة**».

ثمّ قال: «**أيّها الناس، إنّ الصدقة علينا حرام فلا تحلّ لي ولا لأهل بيتي، لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، لعن الله من تولى غير مواليه، الولد للفراش وللعاهر الحجر وليس لوارث وصية، ألا وقد سمعتموني ورأيتموني ألا من كذب عليَّ متعمداً فليتبوَّأ مقعده في النار، ألا وإنّي فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الأُمم إلى يوم القيامة فلا تردّوا**(٢) **وجهي ألا لأستنقذت رجالاً**

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٥، ح٢٢٦. بحار الأنوار: ٣٧/ ١٩٨. الغدير محسن الأميني: ١/ ٢٧٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٩٦، باب٥٨، نوادر الكتاب، ح١٤.

من النار وليستنقذنّ من يدي أقوام، إنّ الله مولاي وأنا مولى[(١)] كلّ مؤمن ومؤمنة، ألا من كنت مولاه[(٢)] فهذا عليّ مولاه، معاشر الناس من أصدق من الله قيلاً وحديثاً، معاشر الناس إنّ الله جلّ جلاله أمرني أن أُقيم لكم عليّاً [علماً] وإماماً وخليفة ووصيّاً وأن أتخذه أخاً ووزيراً، معاشر الناس إنّ عليّاً باب الهدى بعدي والداعي إلى ربّي وهو صالح المؤمنين وحجّة الله على العالمين»[(٣)] شعراً:

يا من بمعجزه البرية تشهد ... ولقدره كلّ الخلائق تسجد

وبمدحه نطق الكتاب وشرفت ... بإياب مقدمه الصفا والمسجد

يا خير مولى قد تطاول مجده ... حتّى تقاصر عن علاه الفرد

لا زالت مصباح الهداية في الورى ... وعن الضلال بنور هديك يمتد

يا حجّة الله المهيمن في الورى ... بعد النبيِّ وخير مولى يرشد

وولاك باباً للنجاة لمن أتوا ... بك يلتجئ وشقا لمن لك يجحد

صلّى عليك الله يا من ردّ في ... الحنك اللسان بطيب ذكرك ينشد

ثمّ قال صلَّى الله عليه وآله: «﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[(٤)]، معاشر الناس، إنّ عليّاً منّي وولده ولدي، هو زوج ابنتي، أمره أمري ونهيه نهيي».

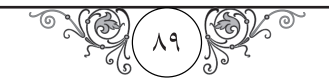
---

(١) في المصدر: تصورا.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٢٧، المجلس الثامن، ح٤٨.

(٣) م. ن: ٨٣، المجلس الثامن، ح٤.

(٤) سورة فصّلت، الآية: ٣٣.



«معاشر الناس، عليكم بعدي[١] بطاعته واجتناب معصيته، وإنَّ طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي».

«معاشر الناس، إنّ عليّ بن أبي طالب صدّيق هذه الأُمّة وفاروقها».

ومعنى الفاروق: هو الذي يفرّق بين الحقّ والباطل، «ومحدثها وهارونها وطالوتها ويوشعها وآصفها وشمعونها، وأنّه باب حطّتها وسفينة نجاتها وذو قرنيها»، فافرق أيّها السامع بينه وبين طالوتها وطاغوتها ومحدثها وجبهتها اللذين أمر الله الكفر بهما في كتابه العزيز.

ثمّ قال صلَّى الله عليه وآله: «معاشر الناس، إنّ عليّ بن أبي طالب محنة الله في الورى، وهو الحجّة العظمى، والآية الكبرى، وإمام الهدى[٢]، والعروة الوثقى، معاشر الناس، إنّ عليّاً قسيم الجنّة والنار، لا يدخل الجنّة إلّا من والاه، ولا يدخل النار إلّا من عاداه، ويخلد معاديه في النار، ولا ينزح عنها[٣]، أيّها الناس، إنّ هذا يوم الغدير يوم عيد وسرور وهو أفضل أعياد أُمّتي، وقد أمرني الله عزَّ وجلَّ أن أُنصّب عليّاً لأُمّتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين وأتمّ فيه النعمة ورضي لهم الإسلام ديناً، معاشر الناس، إنّ عليّاً منّي وأنا من عليّ، خُلق من طينتي وهو إمام الخلق بعدي، يبين لهم ما اختلفوا فيه من سنتي، وهو أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجلين، ويعسوب الدين، وخير الوصيّين، وزوج سيّدة نساء العالمين،

---

(١) زيادة عن المصدر.

(٢) في المصدر: وإمام أهل الدنيا.

(٣) أمالي الصدوق: ٨٣، المجلس الثامن، ح ٤.

وأبـو الأئمّـة المهتديـن، معـاشر النـاس، مَـنْ أحـبَّ عليّـاً أحببتـه، ومَـنْ أبغـض عليّـاً أبغضتـه، ومَـنْ وصـل عليّـاً وصلتـه، ومَـنْ قطـع عليّـاً قطعتـه، ومَـنْ جفـا عليّـاً جفوتـه، ومَـنْ والى[1] عليّـاً واليتـه، أنـا مدينـة الحكمـة وعـليّ بابهـا ولـن تؤتـى المدينـة إلّا مـن قبـل البـاب، وكـذب مَـنْ زعـم أنّـه يحبّني ويبغـض عليّـاً، معـاشر النـاس، والـذي بعثنـي بالنبـوّة واصطفـاني عـلى جميـع البريـة مـا نصبـت عليّـاً علـماً لأُمّتـي في الأرض حتّـى نـوّه الله باسـمه في سـماواته، وأوجـب ولايتـه عـلى ملائكتـه»[2]، وفي مدحـه عليـه السـلام أقـول شـعراً:

تـبـارك خـلاق الـبرايـا ببعثه	لـنـا خـير بـادٍ في الـبرايـا وحـاضر
وإكـمالـه ديـن الحنيفي عـنى به	لـنـا بـولاء المرتضـى خـير فاخر
وصيّ الـنبـيّ المصطفى خير قيّم	لـديـن الهـدى من بـعده بـالأوامـر
فللناس مـا أولى لـلـديـن مـا حنى	وللمجد ما أثـرى لـه مـن مآثري
فلو أنّ ما في الأرض من شجر لها	أبـارع وأبـحـارهـا كـالمحـابـري
وسبع الـسـماوات المعـالي وأرضـها	طروساً وأجماع الورى كالحواجري
ويسعفهم طـول الـزمـان بصرها	مضاف لها ما قد مضى في الأعاصري
لمـا بـلـغـوا مـعـشـار عـشر عشيرها	تخـبره المـولى الـرضـا مـن مفاخري

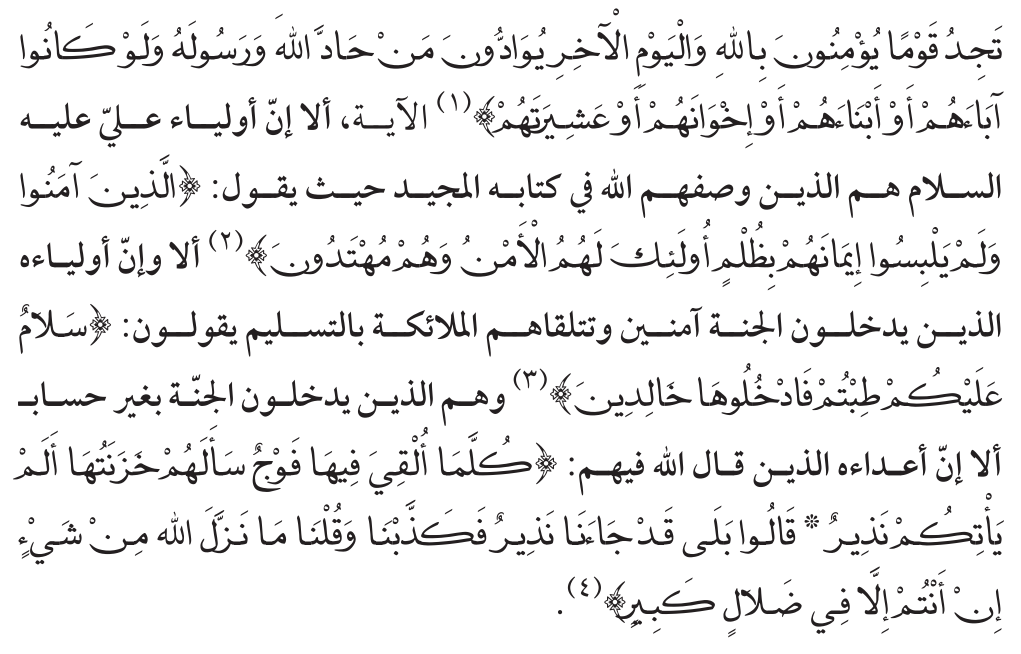
اللّهـم صـلِّ عـلى محمّـد وآل محمّـد، ثـمّ أمـره بنصـب الرحـال عـلى الأقتـاب كهيئـة المنـبر ليشرف عـلى النـاس، ثـمّ ارتقاهـا ودعـا عليّـاً فارتقـى معـه، ثـمّ خطـب خطبـة بليغـة لم يسـمع بمثلهـا، وقـال في آخرهـا: «**قـال الله تعـالى: ﴿لَا**

---

(١) في الأصل: توالي، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) أمالي الصدوق: ١٨٨، المجلس السادس والعشرون، ح٨. روضة الواعظين: ١٠٢.





تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] الآيـة، **ألا إنّ أوليـاء عـليّ عليـه السـلام هـم الذيـن وصفهـم الله في كتابـه المجيـد حيـث يقـول:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[2] **ألا وإنّ أوليـاءه الذيـن يدخلـون الجنـة آمنـين وتتلقاهـم الملائكـة بالتسـليم يقولـون:** ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[3] **وهـم الذيـن يدخلـون الجنّـة بغير حسـاب ألا إنّ أعـداءه الذيـن قـال الله فيهـم:** ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾[4].

معـاشر النـاس، إنّ عليّـاً عليـه السـلام فاتـح الحصـون وهادمهـا، وقاتـل[5] كلّ قبيلـة وهازمهـا، ألا وإنّـه المـدرك لـكلّ ثـار لأوليـاء الله، ألا إنّـه نـاصر ديـن الله ومختـاره، ألا وإنّـه وارث كلّ علـم والمحيـط[6] بـه، ألا إنّـه المخـبر عـن ربّـه، ألا إنّـه المفـوض إليـه أمـره، ألا إنّـه قـد بـشّر بـه [كلّ شيء] مـن سـلف مـن القـرون، ألا وإنّـه الحجّـة ولا حجـة عليـه ولا حجّـة بعـده، ألا إنّـه لا غالـب لـه ولا منصـور

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٤) سورة الملك، الآية: ١١.

(٥) في الأصل: قالت، وما أثبتناه من المصدر.

(٦) في المصدر: والمحيط بكل فهم.



عليـه، ألا إنّـه وليّ الله في أرضـه وحكمـه في خلقـه، وأمينـه عـلى سره وعلانيتـه.

معـاشر النـاس، [إنّي] قـد بينـت لكـم و[أ]فهمتكـم وهـذا عـليٌّ يفهمكـم بعـدي، ألا وإنّ عنـد انقضـاء خطبتـي أدعوكـم إلى مصافقتـي عـلى [يـديّ] بيعتـه والإقـرار لـه[1] ثـمّ مصافحتـه[2] مـن بعـدي، ألا وإنّي قـد بايعـت الله وعـليٌّ [قـد] بايعنـي وأنـا أُجـدد[3] عليكـم البيعـة لـه عـن الله عـزَّ وجـلَّ: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[4][5].

ثـمّ صـاح بأعـلى صوتـه ويـده في يـد عـليٍّ عليـه السـلام وقـال: «**أيّهـا النـاس، ألسـت أولى بكـم مـن أنفسـكم؟**»، **قالـوا بأجمعهـم: بـلى يـا رسـول الله**، فرفـع بضبـع[6] عـليٍّ حتّـى بـان بيـاض إبطيهـما فقـال: «**عـليّ السـبق مـن كنـت مـولاه فعـليٌّ مـولاه، اللّهـم والِ مـن والاه وانـصر مـن نـصره واخـذل مـن خذلـه وأدر الحـق معـه حيثـما دار، ألا فليبلـغ ذلـك منكـم الشـاهدُ الغائـبَ والوالـدُ الولـد**»، ثـمّ نـزل فتداركـوا عليـه وعـلى عـليٍّ بالبيعـة الأول والثـاني والثالـث والرابـع والخامـس وباقـي المهاجريـن والأنصـار وباقـي النـاس عـلى طبقاتهـم إلى أن صليـت العشـاء والعتمـة في سـاعة واحـدة ووصلـوا البيعـة والمصافحـة ثلاثـاً

(١) في الأصل: به، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) في المصدر: فصافقته.

(٣) في المصدر: أمدكم.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٥) اليقين: ٥٨٨، باب٢٩.

(٦) الضبع: وسط العضد، قيل هو تحت الإبط. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٧٣، ضبع.

ورسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول كلّما بايع قوم: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]»، وصارت المصافحة سنّة ورسماً يستعملها من ليس له فيها حقّ وما أحقه[2] بمدح من مدحه...... في مدحه يقول:

سلني فإنّي عارف من	كان بعد المصطفى
يقضي بأحكام الإله ومن	له الباري اصطفى
فهو الوصي المجتبى	ركن المشاعر والصفا
صهر النبيّ الهاشمي	أصل الولا أهل الوفا

اللّهم صلِّ على محمّد وآل محمّد، ثمّ أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله أنْ تفرد لعليٍّ خيمة وأن يجلس فيها وأن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين تأكيداً للحجّة عليهم، فأوّل من أمر أبا بكر وعمر فقال لهما: «قوماً فسلما على عليٍّ بإمرة المؤمنين»، فقالا له: أمر من الله ورسوله؟ فقال: «**نعم**»، فقاما فلمّا دخلا عليه قال أبو بكر: السلام عليك يا أمير المؤمنين، وقال عمر: بخٍ بخٍ يا عليّ بن أبي طالب، أصبحت اليوم مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثمّ هنوه بالخلافة، ثمّ أمر عثمان وعبد الرحمن أن يقوما ويسلما عليه بإمرة المؤمنين، فقالا له: أمر من الله ورسوله؟ فقال: «**نعم**»، فقاما وسلّما عليه، ثمّ أمر طلحة والزبير

---

(١) سورة النمل، الآية: ١٥.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٨٣. المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٣/ ١٤٠، ٤٦٤٤. المناقب لابن المغازلي: ٨٠، ح١٢٠. وردت مقاطع من الحديث في المصدرين المذكورين.

وسعداً أنْ يسلموا عليه بإمرة المؤمنين، فقالوا له: أمر من الله ورسوله؟ فقال: «**نعم**»، فقاما وسلَّما عليه، ثمّ أمر سلمان وأبا ذر الغفاري أن يسلموا عليه، فقاما وسلما عليه، ولم يقولا شيئاً لأنّهما لم يشكا في قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأنّه لا ينطق عن الهوى، ثمّ أمر عمّاراً والمقداد أن يسلّما عليه، فقاما وسلما عليه ولم يقولا شيئاً لأنّهما...... أمره صلَّى الله عليه وآله، ثمّ أمر خزيمة بن ثابت وأبا الهيثم بن مالك أنْ يسلِّما عليه، فقاموا وسلَّموا عليه ولم يسألاه شيئاً، ثمّ أمر يزيد بن الحصين السلمي وأخاه عمران أنْ يسلَّما عليه بإمرة المؤمنين، فبعضهم يسأل وبعضهم يسلَّم عليه من غير أن يسأل، إلى أن لم يبقَ من المهاجرين والأنصار أحد، ثمّ أمر باقي الناس والبوادي من المسلمين فدخلوا عليه يهنونه بالخلافة فوجاً فوجاً، يسلِّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففرغوا فلمّا فرغوا تراه الناس رجلاً جميلاً طيب الرائحة، فقال: (تالله ما رأيت كاليوم ما أشدّ ما أكد لابن عمّه لقد عقد له عقداً لا يحلّه إلّا كلّ كافر بالله ورسوله، ويل لمن حلّ عقده)، فالتفت عمر حين سمع كلامه، فأعجبه ما سمع ورأى فقال: يا رسول الله، ما رأيت ما قال الرجل فمن هو؟ فقال: «ذاك الروح الأمين جبرئيل عليه السلام فإيّاك أن تحله يا شقي فإنّك إن فعلت فالله ورسوله والمؤمنون براء منك»، قال ابن عباس: لقد والله وجبت بيعته في رقاب أصحابه إلى يوم القيامة، قال حذيفة وأبو ذر رحمهما الله: والله ما برحنا مكاننا حتّى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[(١)]، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الربِّ سبحانه برسالتي إليكم والولاية لعليٍّ بن أبي طالب بعدي**»، وفي مدحه عليه السلام أقول شعراً:

أيّها الشيعة الواقفون طراً	بولاء صفوة خير الأنبياء
لكم البشر والهناء بيوم	فيه للمسلمين أي هناء
ذاك يوم الغدير أي يوم	أكمل الدين فيه بالمرتضى
فهو يوم مبارك إذ فيه أيضاً	لنا الله خصّ بالإهداء
لولا المرتضى وبيعة مولانا	النبأ وصفوة الأصفياء
فله الحمد ربنا وله الشكر	على ما أولى به من النعماء
وجزى الله خيرة الخلق عنّا	كلّ خير له بيوم الجزاء
وعليه صلّى وسلِّم ما فاح	شذا ذكره بنشر الثناء

قال بريدة الأسلمي: لمّا قمنا من منازلنا نريد مضاربنا سمعت رجلاً يقول لصاحبه: ما رأيت اليوم ما فعل محمّد صلَّى الله عليه وآله بعليٍّ، لو قدر أنْ يصيّره نبيّاً لفعل؟ فقال له صاحبه: اسكت، لو فقدنا محمّداً صلَّى الله عليه وآله لم نرَ من هذا شيئاً، قال حذيفة: ثمّ إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله صلّى بنا المكتوبة وأمرنا بالرحيل، فسار النبيُّ صلَّى الله عليه وآله يومه ذلك وليلته حتّى أشرف على عقبة هرشاء فتقدّم القوم وصاروا

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

في ثنيـة العقبـة، وقـد أخـذوا بابـاً[١] وطرحـوا فيهـا[٢] حجـارة، فدعاني رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه وعـمّار بـن يـاسر وأمـرني أنْ أقـود زمـام الناقـة، وأمـر عـمّار أن يسـوقها، حتّـى إذا صرنـا في رأس العقبـة دحـرج أولئـك النفـر الدبـاب بـين قوائـم الناقـة فـكادت الناقـة أن تنفـر برسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، فصـاح بهـا: «**اسـكني يـا مباركـة فليـس عليـك بـأس**»، فـوالله الـذي لا إلـه إلّا هـو لقـد نطقـت الناقـة بلسـان فصيـح عـربي مبـين وقالـت: يـا رسـول الله لا[٣] شـلت يـد عـن يـد ولا رجـل عـن رجـل وأنـت عـلى ظهـري، فلـمّا رأوا القـوم لا تنفـر الناقـة برسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه تقدّمـوا إليهـا ودفعـوا بأيديهـم فجعلـت أنـا وعـمّار نـضرب وجـوه القـوم بأسـيافنا وكانـت ليلـة مظلمـة فتأخـروا[٤] وقـد آيسـوا ممَّـا دبـروه[٥]، قـال حذيفـة: فقلـت: يـا رسـول الله، مـن هـؤلاء القـوم الذيـن يريـدون بـك مـا تـرى؟ فقـال: «**يـا حذيفـة هـؤلاء المنافقـون في الدنيـا والآخـرة**»، فقلـت: يـا رسـول الله ألا تبعـث إليهـم رهطـاً يأتـوك برؤوسـهم؟ فقـال: «**أكـره أن تقـول النـاس دعـا قومـاً إلى دينـه فأجابـوه فقاتـل بهـم حتّـى إذا ظفـر[٦] بعـدوِّه أقبـل عليهـم وقتلهـم، ولكـنْ دعهـم فـإنّ الله لهـم بالمرصـاد وسـيمهلهم قليـلاً ثـمّ يضطرهـم إلى عـذاب غليـظ**»، فدخـل

(١) في البحار: دباباً.

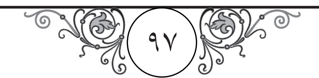
(٢) في البحار: الحصا.

(٣) في البحار: لا زلت.

(٤) في البحار: فزالوا عن.

(٥) في البحار: مما ظنّوا.

(٦) في البحار: ظهر على عدوه.



المدينة وأمير المؤمنين معه والمؤمنون فلقي أمير المؤمنين رجلاً فسلَّم عليه وهناه بالخلافة فانطلق أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً مسروراً متوجاً محبوراً"[1]، وهذا آخر ما انتهى إلينا ووجدناه مسطوراً بخطّ مؤلفها على التمام والكمال في تأكيد الحجّة لعليّ بن أبي طالب وذريته عليهم أفضل الصلاة والسلام، ونستغفر الله الكريم المنان عن الزيادة والنقصان والسهو والغلط والنسيان والحمد لله الكريم الديان وصلّى الله على خير خلقه وخاتم أنبيائه محمّد المبعوث من بني عدنان وعلى آله أضاء الرحمن، إنّه غفور منان ما صاح طائر على غصون الأشجار وما انبعث دوحة بأثمار وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين الأبرار الكرام.

قد وقف القلم عن جريانه في هذه السطور المتضمنة لمولد الحجّة عليه السلام وبيعة الغدير لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بقلم العبد الجاني والمذنب الفاني المتكل على ربّه السبحاني عبده عبد الله بن يوسف بن محمّد البحراني عفا الله عنه وعن والديه والمؤمنين والمؤمنات إنّه غفور رحيم وذلك في يوم الإثنين من الشهر المعظم شعبان في اليوم المبارك الثالث مولد الحسين عليه السلام سنة ١٣٤٢، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله بدوام الدنيا والدين

المصادر

القرآن الكريم

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨/ ٩٩.

١- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي): الشيخ أبو جعفر الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم ١٤٠٤هـ.

٢- إرشاد القلوب: أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي، انتشارات كمال الملك قم ط١ ١٤٢٦هـ.

٣- إرشاد المفيد: محمّد بن محمّد بن النعمان دار المفيد للطباعة والنشر ط٢ ١٩٩٣م.

٤- أمالي الصدوق: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت ٣٨١هـ) مؤسسة البعثة قم ط٢.

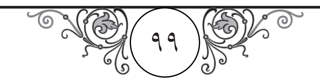
٥- أمالي المفيد: أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ) دار المفيد للطباعة والنشر ط٢ ١٩٩٣م.

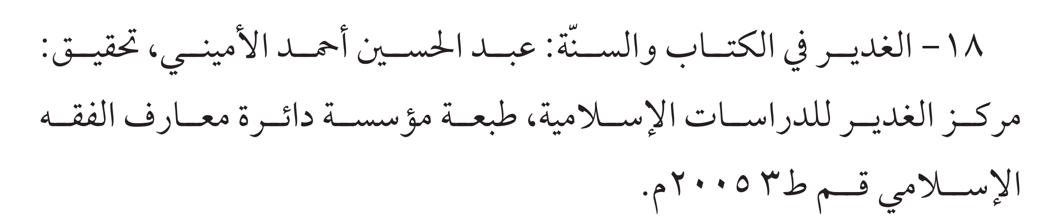
٦- الأمالي: أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ) تحقيق: مؤسسة البعثة دار الثقافة قم ط١ ١٤١٤هـ.

٧- بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي دار الكتب الإسلامية طهران.

٨- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: عماد الدين أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم الطبري تحقيق: جواد القيومي مؤسسة النشر الإسلامي قم.

٩- تاج العروس في جواهر القاموس: محب الدين محمّد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي دار الفكر بيروت ٢٠٠٥م.





١٨- الغدير في الكتاب والسنّة: عبد الحسين أحمد الأميني، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، طبعة مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي قم ط٣ ٢٠٠٥م.

١٩- القاموس المحيط: مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٩م.

٢٠- الكافي: محمّد بن يعقوب الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ) دار صعب بيروت ١٤٠١هـ.

٢١- الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمّد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠١٢م.

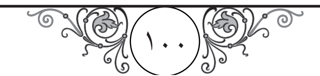
٢٢- كمال الدين وتمام النعمة: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه القمّي، مطبعة أُفق إيران ط١ ١٤٢٥هـ.

٢٣- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم ابن منظور دار صادر للطباعة والنشر بيروت ط٦ ١٩٩٧م.

٢٤- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش بيروت، المكتبة العصرية ١٤٢٧هـ.

٢٥- معجم رجال الحديث: أبو القاسم الخوئي ط١ ١٩٩٢م.

٢٦- مناقب آل أبي طالب: أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهر آشوب، تحقيق: د. يوسف البقاعي انتشارات ذوي القربى.



١٠- تأويـل الآيـات الظاهـرة: شرف الديـن عـلي الأسـترابادي، مؤسسـة النشر قـم ١٤٣١هــ.

١١- تفسـير الآصفـي: الفيـض الكاشـاني (ت ١٠٩١هــ) مطبعـة سـبهر طهـران ط١ ١٤٢٣هــ.

١٢- الخصـال: أبـو جعفـر محمّـد بـن علـيّ بـن الحسـين بـن بابويـه القمّـي مؤسسـة النـشر الإسـلامي لجماعـة المدرسـين قـم ط٤ ١٩٩٩م.

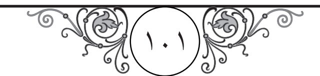
١٣- روضـة الواعظـين: محمّـد بـن الفتّـال النيشـابوري (ت ٥٠٨هــ) منشـورات دليـل مـا قـم ١٤٢٣هــ.

١٤- سـنن الترمـذي: محمّـد بـن عيسـى (ت ٢٩٧هــ) دار الكتـب العلميـة بـيروت ١٤٢١هـ.

١٥- الصحـاح تـاج اللغـة وصحـاح العربيـة: أبـو نـصر إسـماعيل بـن حمّـاد الجوهـري (ت ٣٩٣هــ)، تحقيـق: د. أسـيل بديـع يعقـوب ود. محمـد نبيـل طريـف، دار الكتـب العلميـة بـيروت ط١ ١٩٩٩م.

١٦- الطرائـف في معرفـة مذاهـب الطوائـف: رضي الديـن أبـو القاسـم علـيّ بـن موسـى بـن جعفـر بـن طـاووس الحـلي (ت ٦٦٤هــ)، مؤسسـة الأعلمـي، بـيروت ط١ ١٩٩٩م.

١٧- العـين: أبـو عبـد الرحمـن الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي (ت ١٧٥هــ)، تحقيـق: د. مهـدي المخزومـي ود. إبراهيـم السـامرائي، منشـورات مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، بـيروت ط١ ١٩٨٨م.



٢٧- مناقب عليّ بن أبي طالب: أبو الحسن عليّ بن محمّد الواسطي (ابن المغازلي ت ٤٨٣هـ) انتشارات سبط النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ط١ ١٣٨٤هـ.

٢٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٩- الهداية الكبرى: الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٣٤هـ) بيروت مؤسسة البلاغ ١٤٢٣هـ.

٣٠- اليقين: رضي الدين عليّ بن طاووس الحلي، دار العلوم، بيروت ط١ ١٩٨٩م.

الاتجاهات السياسية وأثرها على المسار التاريخي من بيعة الغدير إلى عاشوراء

د. غسان أحمد شعشوع

هدف البحث:

هذا البحث محاولة لتحليل صراع الاتجاهات السياسية التي كانت تسود الأمة في مرحلة ما بعد الغدير، مع الابتعاد عن التحليل الذي يكتفي لفهم ما حدث بتقسيم الناس إلى مؤمن ومرتد بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله، راصداً كيف أدى هذا الصراع السياسي بالأمة أن تنتقل من بيعة علي عليه السلام في الغدير إلى قتل ولده الحسين (ع) في كربلاء. وقد اعتمدت لإنجاز البحث على مجموعة من المصادر التاريخية الأصلية كالطبري والمسعودي وابن الأثير واليعقوبي وغيرهم.

تمهيد: محاربة الإسلام للقبلية.

حاول الإسلام من اليوم الأول القضاء على الروح القبلية واستبدالها بروح الجماعة المسلمة، فاعتبر المسلمين أمة والمشركين أمة أخرى وميز بينهما على أساس العقيدة. فطرح أسساً جديدة للتفاضل: لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، الناس سواسية كأسنان المشط، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وآخى بين المهاجرين والأنصار. وكان

رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه شـديداً في مواجهـة المنطـق القبـلي ومصمـماً على القضـاء عليـه، فحينـما اختصـم رجـلان واحـد مـن الأوس وآخـر مـن الخـزرج واسـتنجد كل منهـما بقومـه فاحتشـدت القبيلتـان، غضـب النبـي صـلى الله عليه وآلـه لذلـك غضبـاً شـديداً وقـال لهـم: « يـا معـشر المسـلمين ألله الله، أبدعـوى الجاهليـة وأنـا بـين أظهركـم بعـد إذ هداكـم الله إلى الإسـلام وأكرمكـم بـه، وقطـع عنكـم أمـر الجاهليـة، واسـتنقذكم بـه مـن الكفـر وألّـف بـه بينكـم ترجعـون إلى مـا كنتـم عليـه كفـاراً فعـرف القـوم أنهـا نزغـة مـن الشـيطان وكيد مـن عدوهـم فألقـوا السـلاح مـن أيديهـم وبكـوا وعانـق الرجـال مـن الأوس والخـزرج بعضهـم بعضـاً»(١). وتـدل هـذه الحادثـة عـلى أن الـروح القبليـة لم تنتـه بـل ظلـت كامنـة في النفـوس تنتظـر اللحظـة المناسـبة لتعـود إلى الظهـور وبـكل قـوة بعـد رحيـل رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه إلى الرفيـق الأعـلى. وقـد عـبر الإمـام عـلي عليـه السـلام عـن رفـض الإسـلام لمنطـق العصبيـة القبليـة، وتأسيسـه لمنطـق جديـد هـو الحـب في الله والبغـض في الله بـصرف النظـر عـن القرابـة والعشـيرة والقبيلـة، فخطـب جيشـه في صفـين محـاولاً إطفاء الـروح القبليـة التـي ظهـرت بـين صفوفـه قائـلاً: «لقـد كنـا مـع رسـول الله نقتـل آباءنـا وأبناءنـا وإخواننـا وأعمامنـا، مـا يزيدنـا إلا إيمانـاً وتسـليماً ومضيّـاً عـلى اللقـم(٢) وصـبراً عـلى مضـض الألم وجـدّاً في جهـاد العـدو... فلـما رأى

---

(١) الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرأن، تقديم الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، جزء ٤، ص ٣٣.

(٢) اللقم: معظم الطريق أو جادته.

الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت[1] وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقياً جرّانه[2] ومتبوءاً أوطانه».

أولاً: موقف المسلمين من الأمر الإلهي باستخلاف علي (ع).

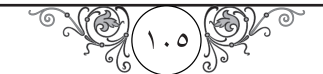
أنزل الله آية تحث الرسول على تبليغ الأمر الإلهي باستخلاف علي عليه السلام: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»([3]). نزول الآية أتى بعد تأخر الرسول في التبليغ بسبب خشيته ومعرفته أن العصبية القبلية لا زالت مستحكمة في النفوس، وأن أبناء القبائل لن يتقبلوا هذا التعيين كأمر إلهي. بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الله في غدير خم، فبايع المسلمون علياً (ع)، والمعترضون لم يجرؤوا على إظهار موقفهم علناً، لكنهم أضمروا المعارضة وبدأوا يستعدون لنقض البيعة. بوادر نقض البيعة ظهرت عند مرض الرسول وتخلف عدد من الصحابة عن الالتحاق بجيش أسامة، ومعارضة عمر بن الخطاب لكتابة رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً لأمته قبل وفاته. ذكر ابن عباس حواراً دار بينه وبين عمر بن الخطاب في أول أيام خلافته عن علي (ع)، قال عمر: «هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت نعم، قال أيزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) الكبت: الإذلال.

(٢) القاء الجرّان: كناية عن التمكن.

(٣) الإمام علي بن أبي طالب (ع)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٦٣، ص ١١١-١١٢.



نـصّ عليـه؟ قلـت نعـم، وأزيـدك، سـألت أبي عـمّا يدعيـه فقـال صـدق، فقـال عمـر لقـد كان مـن رسـول الله في أمـره ذروٌ[1] مـن قـول لا يثبـت حجـة ولا يقطـع عـذراً، ولقـد كان يربـع في أمـره وقتـاً مـا ولقـد أراد في مرضـه أن يـصرح باسـمه فمنعـتُ مـن ذلـك إشـفاقاً وحيطـةً عـلى الإسـلام، لا وربّ هـذه البنيّـة لا تجتمـع عليـه قريـش أبـداً ولـو وليَهـا لانتقَضـت عليـه العـرب مـن أقطارهـا. فعلـم رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه أني علمـت مـا في نفسـه فأمسـك، وأبـى الله إلا إمضـاء مـا حتـم»[2].

ثانيـاً: الاتجاهـات السياسـية في المدينـة عشـية وفـاة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه.

تقاسـمت المدينـة أربعـة اتجاهـات سياسـية غـداة ارتحـال رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه:

١- الاتجـاه الإسـلامي: مثّـل النزعـة الجماعيـة في الإسـلام وتبنـى المبـدأ الإسـلامي الأصيـل متمسـكاً بمثاليتـه ومتشـدداً في تطبيقـه، وممثـلاً لمصالـح الفئـات الشـعبية والفقـراء، وكان عـلى رأس هـذا الاتجـاه عـلي عليـه السـلام وعـدد مـن أصحابـه كأبي ذر وعـمار والمقـداد.

٢- الاتجـاه القبـلي الأرسـتقراطي: تشـكل مـن تحالـف ضـمّ كبـار التجـار

(١) ذرو: طرف.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧، ط١، جزء ١٢، ص ٢٠، ٢١ (أورد الرواية نقلاً عن أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد، مسنداً).

والأغنياء والزعماء القبليين الذين حكموا مكة قبل الإسلام وانكفأوا مع فتح مكة لكنهم ظلوا موجودين ويتحينون الفرصة للعودة إلى الواجهة، ويمكن اعتباره امتداداً لحلف المطيّبين[1] الذي أعلن في الجاهلية، وكان على رأسه أبو سفيان. وكان هذا الإتجاه يرى أن كل الصراع الدائر منذ ظهور الإسلام لا يعدو أن يكون امتداداً لصراع قبلي على السلطة بين بني أمية وبني هاشم، وقد عبر عن ذلك أبو سفيان حين استعرض المسلمون أمامه سراياهم أثناء دخولهم إلى مكة يوم الفتح، فقال للعباس: «لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً»[2]. ورفع هذا الاتجاه شعار العصبية لقريش، وهو في الواقع يقصد ضمنياً العصبية الأموية بالتحديد، «فإن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية»[3]. أما عصبية بني هاشم فكانت قد ضعفت منذ وفاة عبد المطلب لتفرق زعامته بين أبنائه المتفاوتين في الثروة، فابتعد بنو هاشم عن مراكز الرئاسة لمصلحة بني أمية[4].

---

(١) المطيبون: أخرجت لهم النساء طيباً فغمسوا أيديهم فيه ومسحوها بالكعبة بعد أن تعاقدوا فسمّوا بالمطيّبين: ابن الأثير علي بن احمد بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥، جزء ١، ص ٤٥٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢٤٦.

(٣) ابن خلدون عبد الرحمن المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨، جزء١، ص ٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه، جزء ٢، ص ٦٨٣ - ٦٩٩.

٣- الاتجاه الوسطي: تألف من قيادات بارزة كان لها دور في الدعوة، لكنها رفعت شعاراً قبلياً استخدمته في مقابل الأنصار وهو القرشية التي قالت بتفضيل قوم الرسول صلى الله عليه وآله من قريش لقرابتهم له على سواهم من المسلمين[(١)]، ولذلك فقد مثل هذا الشعار نقطة التقاء هذا الاتجاه مع الاتجاه القبلي الذي ينطلق من أسس مشابهة. وقد حاول الاتجاه الوسطي التوفيق بين مداراة الاتجاه الإسلامي عبر تطبيقه الإسلام وبين مداراة الاتجاه القبلي عبر فتح الباب أمام أقطابه للعودة إلى الواجهة السياسية. وكان على رأس الاتجاه الوسطي أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح.

٤- اتجاه الأنصار: حاول الأنصار الوصول إلى السلطة معتمدين على عصبيتهم كأنصار لكنهم لم يكونوا متماسكين وافتقدوا إلى زعامة موحدة، فلم يتمكنوا من مواجهة العصبية القرشية المقابلة، وكان أبرزهم سعد بن عبادة الخزرجي، الذي كان مسناً ومريضاً[(٢)] وواجهت زعامته عدة منافسين سواء من الأوس كأسيد بن خضير وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي أو من الخزرج أنفسهم كبشير بن سعد الأنصاري[(٣)].

(١) الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لا ت، جزء ٢، ص ٤٥٧، ٤٥٨.

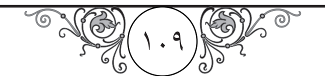
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤٤٧ وجزء ٣، ص ٢٠٩. أيضاً ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ٢٣.

ثالثاً: مؤتمر السقيفة.

١- مجريات مؤتمر السقيفة: يمكن اعتبار مؤتمر السقيفة إعلاناً رسمياً لنكث بيعة الغدير. فور وفاة الرسول صلى الله عليه وآله دعا الأنصار إلى اجتماع عقد على عجل في سقيفة بني ساعدة على أمل أن يتمكنوا من الوصول إلى الحكم، فحضر الاجتماع عدد من وجوه المهاجرين والأنصار في ظل تغييب متعمد للاتجاه الإسلامي الذي كان ممثله علي عليه السلام وأصحابه منهمكين في إجراءات دفن الرسول صلى الله عليه وآله. وفي ظل تجاهل المجتمعين -بمن فيهم الأنصار- للاتجاه الإسلامي، لم يجد عمر بن الخطاب صعوبة في إثبات أحقية قريش بالخلافة على حساب الأنصار في ظل انقسام هؤلاء على أنفسهم على أساس قبلي وانسحاب الرجل الثاني في الخزرج بشير بن سعد لمصلحة قريش قوم الرسول، بينما صرح أسيد بن خضير أنه يفضل مبايعة أبي بكر على أن يصل إلى الخلافة رجل من الخزرج[1]. نجح عمر في دفع المجتمعين إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة، الذي خطب فقدم المهاجرين نظراً لقربهم من الرسول صلى الله عليه وآله فوصفهم بأنهم «أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا يُنكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم في الإسلام... نحن الأمراء وأنتم الوزراء،

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٣٠، ٣٣١. أيضاً الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ص ٤٥٨.



لا تُفتأتـون بمشـورة ولا نقـضي دونكـم الأمـور»[1]. لقـد حـاول أبـو بكـر استيعاب الأنصـار بالاعـتراف بفضلهـم لكـن سـعد بـن عبـادة الـذي وجـد نفسـه وحيـداً غضـب ولم يبايـع، كـما أن عليـاً (ع) وبنـي هاشـم والزبـير بقـوا سـتة أشـهر دون أن يبايعـوا حتـى ماتـت فاطمـة (ع) فبايعـوه[2]. لكـن السـلطة الجديـدة اعتـبرت نتائـج السـقيفة خيـاراً عامـاً للأمـة وبيعـة ملزمـة للحـاضر والغائـب عـلى السـواء، فـكان مـا حصـل انقلابـاً أبيـض بـكل معنـى الكلمـة عـلى بيعـة الغديـر. واللافـت أن أبـا سـفيان زعيـم الاتجـاه القبـلي حـاول مبايعـة عـلي عليـه السـلام بعـد المؤتمـر قائـلاً: «مـا بـال هـذا الأمـر في أقـل حـي مـن قريـش.. أبسـط يـدك أبايعـك فـوالله لـو شـيئت لأملأنّهـا عليـه خيـلاً ورجالاً» لكـن هـذا الحـماس المفاجـئ لم يخـدع عليـاً (ع) فأجابـه: «والله إنـك مـا أردت بهـذا إلا الفتنـة، وإنـك والله طالمـا بغيـت للإسـلام شراً»[3]. وبعـد صـدّ عـلي عليـه السـلام لـه وفشـله في إثـارة حـرب أهليـة، أعلـن أبـو سـفيان دعمـه للسـلطة الجديـدة بـكل قـوة.

لقـد نظـر الاتجـاه القبـلي إلى أبي بكـر عـلى أنـه الشـخصية الأقـل خطـورة بالنسـبة إليـه، رغـم أنـه لم يكـن أحـد رمـوز هـذا الاتجـاه، وهـو لم يشـارك في

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤٥٧. أيضاً ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٢٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤٤٨. أيضاً ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٣١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٢٦. أيضاً الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤٤٩.

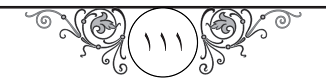
الجاهلية في تحالف الزعماء الأثرياء الوثني الذي عرف بحلف المطيبين، بل كان أحد أقطاب حلف الفضول[1] الذي قاده صغار التجار ضد حلف المطيبين، وسريعاً ما انضم إلى الإسلام. لكن شخصيته وحاجته إلى دعم هؤلاء الزعماء كانت تسمح لهم بالتأثير عليه وعلى قراره، على عكس شخصية الإمام علي عليه السلام التي لم يكن لديهم أي أمل على الإطلاق بالتأثير عليها لتراعي مصالحهم. وقد فسر علي عليه السلام بعد ذلك طبيعة الظروف التي جعلته يختار عدم التحرك للمطالبة بالخلافة التي يعتبرها حقه فقال: «أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً. وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها المؤمن حتى يلقى ربه. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهباً..»[2]

اعتمد التنصل من بيعة الغدير على تبريرات ظهرت بعد ذلك ومفادها أن لا مصلحة في وصول علي عليه السلام إلى الحكم لأنه سيلقى

---

(١) انضم إلى حلف الفضول بنو هاشم وأسد وزهر بن عبد العزى بن كلاب وتيم بن مرة الذين تعاقدوا وتحالفوا على نصرة المظلومين، وكان الرسول صلى الله عليه وآله قد شهد ولادة هذا الحلف وقال فيه «لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤١

(٢) الإمام علي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٣٩، ٤٠.



معارضة قوية من القبائل: قال عمر بن الخطاب لابن عباس «والله يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحقّ الناس بها ولكن قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنّهم بمرّ الحق لا يجدون عنده رخصة، ولئن فعل لينكُثُنّ بيعته ثم ليتحاربن»[(١)]. وفي مناسبة أخرى قال: «فلا يغرّنّ امرءاً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها»[(٢)]. وجاء في شرح ابن بطال: «قال أبو عبيد معنى الفلتة الفجأة، وإنما كانت كذلك لأنها لم يُنتظر بها العوام، وإنما ابتدرها أكابر أصحاب محمد من المهاجرين وعامة الأنصار.. »[(٣)] فالواضح أن المؤتمر كان سريعاً جداً ولم يستشر فيه كل المسلمين، بل إن فئة من «أكابر أصحاب محمد» قررت شيئاً تم فرضه على الناس فرضاً. وقد حاول عمر بن الخطاب تبرير صرف الأمر عن علي عليه السلام في كلام له مع ابن عباس فقال: «والله ما فعلنا الذي فعلناه معه عن عداوة، ولكن استصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها»[(٤)]. وقال ثانيةً: «كرهوا

---

(١) اليعقوبي احمد بن ابي يهقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، جزء ٢، ص ١٥٨، ١٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٤٤٦.

(٣) ابن بطال، العلامة أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ت ٤٤٩ هـ، شرح ابن بطال على صحيح البخاري، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥، جزء ٨، ص ٣٧٥.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٢٠٠.

أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتبجحوا[1] على قومكم بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت»[2]. وقد أجابه ابن عباس بأنه لا يجوز أن تختار قريش أمراً مخالفاً لما اختاره الله لها وهي إشارة إلى أن منصب الخلافة قد تحدد من الله في الغدير، فقال: «لو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.. وأما قولك كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم[3].

٢- ملاحظات حول «شورى» السقيفة:

- لم تشمل الشورى جميع المسلمين، وقد غيبت اتجاهاً عريضاً هو الاتجاه الإسلامي، كما أنها لم تشمل جميع أكابر أصحاب رسول الله بدليل غياب علي عليه السلام عنها.

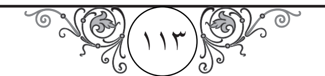
- برر عمر عزوفهم عن علي عليه السلام برفض القبائل له لأنه وترهم، وهذا ما يعني التسليم لقوة الاتجاه القبلي والرضوخ في أهم مسألة يتعلق بها مصير الإسلام وهي منصب الخلافة لأحقاد جاهلية ما زالت تحكم البعض، وكان يفترض أن الإسلام قد قضى عليها.

- اعتبر عمر أن العرب لن يقبلوا خلافة علي عليه السلام لأنهم لن

(١) تبجحوا: تتفاخروا.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٢٨٩.

(٣) المصدر نفسه، المكان نفسه.





يتحملوا شدته في الحق ولن يحتملوا أن يحكمهم واترهم، فقرر منع علي عليه السلام من تقلد الخلافة لتلافي الفتنة. وقد مثل هذا التبرير عذراً أقبح من الذنب نفسه، لأنه يعتبر أن من حقهم كصحابة أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وآله من إنفاذ رأيه، لأنهم قد شخصوا مصلحة للإسلام لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يشخصها حين استخلف علياً، وهذا يظهر بداية انحراف عقائدي يعطي لصاحبه الحق في الاجتهاد مقابل رأي رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان صادراً عن الله نفسه.

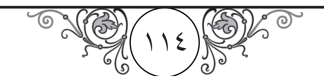
- تبنى عمر بشكل واضح فكر الاتجاه القبلي، فقوله أن قريشاً كرهت أن تجمع لكم النبوة والخلافة فتبجحوا الناس بجحاً، يؤكد أن العصبية القرشية (وأقواها الأموية) ما زالت تنظر إلى الأمر من منظار الصراع القبلي الذي كان في الجاهلية، وأن لا علاقة في نظرها للإرادة الإلهية والنبوية بما يجري، فالقرار لقريش وليس لله والرسول، وهي ترفض أن تجمع لبني هاشم شرف النبوة والخلافة.

٣- عوامل انتصار الاتجاه الوسطي:

ساعدت بعض العوامل على انتصار الاتجاه الوسطي، ومنها:

- وحدته وسرعة تحركه، وتجلى ذلك بالاتفاق على مرشح واحد له تاريخه في الإسلام، فبادر عمر إلى ترشيح أبي بكر دون أن يعبأ بما أظهره من تردد.

- الاستبعاد المقصود للاتجاه الإسلامي عن المؤتمر.



- رضا الاتجاه القبلي بوصول الاتجاه الوسطي إلى الحكم، لأنه يعتبره الأكثر اعتدالاً وبالتالي فهو الأقرب إليه ويسهل عليه اختراقه، فكان الاتجاه القبلي يعتبر أن تأمين مصالحه السياسية والاقتصادية يستوجب قبل كل شيء منع الاتجاه الإسلامي من الوصول إلى السلطة.

- موقف الأنصار السلبي من الاتجاه الإسلامي، فبعد أن فشلوا في فرض خليفة منهم، نجح عمر بن الخطاب في تطويعهم فسكتوا عن التجاهل العمدي لرأي فئة كان لها جهادها التاريخي وكانت على صلة أوثق من غيرها بالرسول صلى الله عليه وآله وجرى تغييب صوتها عن السقيفة.

- رفض علي عليه السلام اعتماد القوة أسلوباً لفرض نفسه كخليفة بعد إعلان نتائج السقيفة، لأن استعمالها كان سيؤدي إلى فتنة طويلة الأمد تطيح بالإسلام نفسه، وهو ما كان يرمي إليه أبو سفيان من خلال عرضه تقديم المساعدة لعلي (ع).

٤- نتائج السقيفة:

- منع الاتجاه الإسلامي من الوصول إلى السلطة.

- بداية تسلل قوى الاتجاه القبلي إلى السلطة، والذي بدأ بشكل بطيء وتدريجي في عهد أبي بكر وعمر (في إطلاق يد معاوية في الشام)، ليبلغ ذروته في عهد عثمان.

- بداية انحراف السلطة الفكري أولاً والسياسي والاقتصادي تالياً.



رابعاً: حروب الردة.

تمكنت السلطة الجديدة من فرض نفسها في المدينة لكنها واجهت تمرداً من القبائل خارجها. كان «المرتدون» على أقسام ثلاثة: معترضون على نتائج السقيفة دون أن يخرجوا عن الإسلام، ورافضون لأداء الزكاة كنتيجة لمعارضتهم الحكم الجديد أو لأنها تمثل تبعيتهم لقريش، ومرتدون ومتنبئون. لكن أبا بكر تعامل مع كل من عارضه من القبائل على أنه مرتد، فقام جيشه بقمع ثورات القبائل دون تمييز بين دوافعها. وهكذا قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة الذي منع الزكاة احتجاجاً على نتائج السقيفة رغم أنه لم يخرج عن الإسلام، ثم تزوج من أرملته[1]، وقضى على المتنبئين طليحة بن خويلد الأسدي في عين بزاخة[2] ومسيلمة الكذاب في عقرباء[3]، وكانت معركة مع متمردين في البحرين[4]، واغتيال للأسود العنسي الذي قاد تمرداً في اليمن[5] والأشعث بن قيس الكندي في حضرموت[6].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٥٧، ٣٥٨. وذكر الطبري أن عمر بن الخطاب ظل ساخطاً على خالد بسبب هذه الجريمة فعزله عندما ولي الخلافة، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٦٢٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٣٤٢ - ٣٤٤.

(٣) المصدر نفسه، جزء ٢، ص ٣٦٠.

(٤) المصدر نفسه، جزء ٢، ص ٣٦٨.

(٥) المصدر نفسه، جزء ٢، ص ٣٧٤.

(٦) المصدر نفسه، جزء ٢، ص ٣٨٢. أيضاً: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق،

خامساً: الفتوحات وأثرها على شكل السلطة.

بدأ الحكم الجديد حركة الفتوحات التي اتخذت بالإضافة إلى بعدها الديني المثالي بعداً دنيوياً اقتصادياً[١] تفوق في كثير من الأحيان على ما سواه. دعا الخليفة الناس من كل المناطق «يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم، فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع وأتوا المدينة من كل أوب»(٢). وقد عبّر عن هذا الواقع خالد بن الوليد حين استنفر جنوده سنة ١٢ هـ قبل إحدى معارك العراق مع الفرس، فرغّبهم في بلاد العجم وزهّدهم في بلاد العرب قائلاً: « وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء إلى الله عزّ وجل ولم يكن إلا المعاش لكان الرأي أن نقارع هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثّاقل عما أنتم عليه «[٣]. أدت الفتوحات إلى تدفق الثروات التي أسيء توزيعها من خلال التمييز في العطاء الذي ابتدعه عمر بن الخطاب، فبعد أن كان العطاء يقسم بالتساوي، أصبحت معظم الغنائم تقسم بين كبار الصحابة والقادة فنشأت أرستقراطية جديدة من بينهم(٤)، ويبدو أن عمر

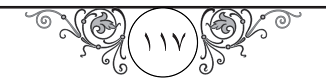
جزء ٢، ص ٢٥٠، ٢٥١، وجزء ٣، ٢٥٤، ٢٥٥.

(١) كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢، ص ٢٥.

(٢) البلاذري، أبو الحسن احمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص ١٠٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٥٥٩.

(٤) ميّز عمر العباس أولًا فجعل له ٢٥٠٠٠ وقيل ١٢٠٠٠، ثم جعل لأهل بدر ٥٠٠٠، ومن



بن الخطاب خشي مما قد يقدم عليه هؤلاء إذا انتقلوا إلى أرض الفتوحات حيث الحاميات العسكرية، فلجأ إلى التضييق عليهم بمنعهم من مغادرة المدينة لإبقائهم تحت نظره ومراقبته فأثار نقمتهم. وكان معظم أعضاء الشورى الستة الذين أناط بهم عمر اختيار خليفته من هذه الطبقة القبلية - الأرستقراطية التي يستحيل أن تقبل بوصول علي عليه السلام إلى السلطة لأنه ممثل الاتجاه الإسلامي الذي يعارض مصالحها، فصمموا على إبعاده وأتوا بعثمان بن عفان إلى السلطة بعد أن وجدوا فيه شخصاً مسناً وضعيفاً وأموي الإنتماء ليكون المدخل إلى تحقيق أهدافهم في السلطة والثراء. مثلت خلافة عثمان مرحلة جديدة من مراحل صعود التيار القبلي، فإذا أمكننا اعتبار أبي بكر وعمر ممثلين للاتجاه القرشي عموماً، فإن عثمان كان يمثل التيار الأموي تحديداً[1]. وشكل وصول عثمان إلى السلطة انتصاراً جديداً للاتجاه القبلي الأرستقراطي الذي سرعان ما تسلل برجاله وجلّهم من بني أمية إلى مفاصل الإدارة: أصبح معاوية والي دمشق

بدر إلى الحديبية ٤٠٠٠، ومن الحديبية إلى آخر حروب الردة ٣٠٠٠، ولأهل القادسية والشام ٢٠٠٠ ولأهل البلاء البارح منهم ٢٥٠٠، ولمن بعد القادسية واليرموك ١٠٠٠، وللروادف المثنى ٥٠٠، وللروادف الثليث ٣٠٠، وللروادف الربيع ٢٥٠، ولأهل هجر ٢٠٠، وألحق بأهل بدر الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان. كما ميز بين النساء فجعل لنساء النبي صلى الله عليه وآله ١٠٠٠٠، وفضل عائشة عليهن بـ ٢٠٠٠٠ فلم تأخذها، وجعل لنساء أهل بدر ٥٠٠، وبعدهن إلى الحديبية ٤٠٠ وبعدهن إلى القادسية ٣٠٠، وبعد القادسية ٢٠٠. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٠٩، ١١٠.

(١) محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠١.

وحمص والأردن، الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة وهو ممن أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنه من أهل النار، وقد كان معروفاً بالشراب وصلى بالناس الفجر في مسجد الكوفة سكراناً فعزله عثمان وأقام عليه الحد بعد أن اشتكى أمره المسلمون وعين مكانه سعيد بن العاص، عبد الله بن عامر والي البصرة، عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر[١]، وقد عرف عن الأخير أنه كان مهدور الدم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وبالإضافة إلى هؤلاء كان كاتب عثمان مروان بن الحكم الذي قبض على زمام الأمور فكان بمثابة الوزير الأول والمتصرف بالأمور نيابة عن الخليفة المسن والضعيف[٢]. كان عثمان يعتبر أن من حقه أن تكون له سلطة مطلقة على أموال الدولة يتصرف بها كما يشاء[٣] فجمع لنفسه ثروة طائلة كما أنه أطلق لأبناء الطبقة الأرستقراطية العنان بشكل غير مسبوق فتضاعفت ثرواتهم[٤]. وعلى سبيل المثال فقد بلغت غنائم غزوة

---

(١) المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٠، جزء ٢، ص ٥٧٢- ٥٧٣.

(٢) محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٠٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ١١٧، ١١٨.

(٤) بلغت ثروة عثمان حين قتل ١٥٠٠٠٠ دينار و١٠٠٠٠٠٠ درهم وضياعاً بقيمة ١٠٠٠٠٠ دينار وخيلاً كثيراً وإبلاً. وقد بنى الزبير دوراً له في البصرة ومصر والكوفة والاسكندرية وبلغ ماله ٥٠٠٠٠ دينار وخلف ١٠٠٠ فرس و١٠٠٠ عبد وأمة. وبلغت غلة طلحة من العراق في كل يوم ١٠٠٠ دينار وقيل أكثر، وامتلك عبد الرحمن بن عوف ١٠٠ فرس و١٠٠٠ بعير و١٠٠٠٠ شاة، وبلغ ربع ثمن ماله ٨٤٠٠٠ دينار، وخلف زيد بن ثابت

إفريقية سنة ٢٧ هـ ٣٠٠ قنطار من الذهب أعطيت كلها لآل الحكم أو لمروان بن الحكم(١). »أما معاوية فكان يقول أنه وكيل الله في ماله «إني أزعم أن جميع ما تحت يدي لي، فما أعطيت فقربة إلى الله وما أمسكت فلا جناح علي فيه»(٢). وهكذا أصبحت ملكية المال هي المحور والهدف وانهار ما تبقى من ملامح العهد السابق وتفسخ المجتمع فتحركت المعارضة.

سادساً: الثورة على الاتجاه التقليدي.

المعارضة ضد حكم عثمان كانت على قسمين:

١-سلمية: عاتب عثمان على هدره الأموال «ناس من الصحابة على رأسهم علي بن أبي طالب فأجاب: إن لي قرابة ورحماً، فأنكروا عليه وسألوه: فما كان لأبي بكر وعمر قرابة ورحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي، فقاموا عنه غاضبين يقولون: فهديهما والله أهدى من هديك(٣)». لكن المعارضة العلنية القاسية قادها أبو ذر الغفاري وكانت تحت شعار مكافحة استئثار

من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ومن الأموال والضياع ما قيمته ١٠٠٠٠٠ دينار، وقاربه بالثراء سعد بن أبي وقاص، المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٧٠، ٥٧١.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣١٤.

(٢) محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، مرجع سابق، ص ١١٧.

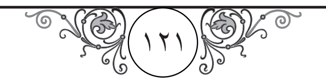
(٣) سيد قطب، العدالة الإجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٥٩.

الفئة الحاكمة بالأموال والمساواة بين المسلمين، فنفاه عثمان إلى الشام حيث ضاق واليها معاوية به ذرعاً فأعاده إلى المدينة، لينفيه عثمان مجدداً إلى الربذة بعد أن منع الناس من وداعه، فخرج معه بضعة رجال لم يأبهوا لتهديدات مستشار الخليفة مروان بن الحكم[1]. وتلاه عبد الله بن الأرقم صاحب بيت المال الذي رفض تنفيذ أوامر عثمان بإعطاء الأموال الطائلة لعدد من أقربائه، «وامتنع أن يدفع المال إلى القوم فقال له عثمان: إنما أنت خازن لنا، فما حملك على ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم كنت أراني خازن المسلمين وإنما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبداً وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر ويقال بل ألقاها إلى عثمان فرفعها إلى نائل مولاه»[2]. وكان هذا آخر موظف من ذوي المراكز الهامة من خارج أسرة الخليفة، وبذلك تم إقصاء جميع الذين حاربوا إلى جانب النبي صلى الله عليه وآله بني أمية عندما كانوا مشركين. لم تجد هذه المعارضة آذاناً صاغية من الخليفة، فسكت معظم المسلمين في المدينة بعد أن يئسوا من إمكانية التغيير. رفض عثمان كل احتجاج شعبي على سياسة حكومته، وأسس لفكرة الحق الإلهي في الحكم التي تبنتها بقوة الدولة الأموية من بعده، فقال: «ولست خالعاً قميصاً كسانيه الله تعالى»[3]. وقد غذى هذا التفكير الشعور السائد في أسرته أنها استعادت ملكاً مفقوداً وحقاً قديماً

(١) محمد جمال الدين سرور، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٦٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣٥، ٣٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٧٧.



في السلطة التي كانت لها في مكة قبل الإسلام.

٢-عسكرية: قادها جنود الأمصار حيث يعيش المجاهدون الذين صنعوا الفتوحات، فبدأوا بتسجيل اعتراضهم على المتقاسمين للسلطة والمتكالبين على أموال الغنائم. فقد خرج مالك الأشتر أولاً على رأس جنوده وطالبوا عثمان بعزل والي الكوفة سعيد بن العاص بعد أن استبد بالأموال وظهرت منه أمور منكرة وهو القائل «السواد قطين لقريش»(١). عقد عثمان اجتماعاً لاستشارة كبار معاونيه في العام ٣٤ هـ، ضم عماله عبد الله بن عامر وعبد الله بن سعد ومعاوية بن أبي سفيان وسعيد بن العاص وعمرو بن العاص لكن نصائحهم تراوحت بين إلهاء المعارضين بالحملات العسكرية وتفريق الصحابة في البلاد أو إسكاتهم بالمال أو قمعهم بالقوة اعتماداً على فرسان الشام(٢). أمر عثمان بإعادة سعيد بن العاص إلى الكوفة فمنعه الأشتر من دخولها مجدداً، فرضخ عثمان وعيّن أبا موسى الأشعري والياً عليها(٣). تفاقم الوضع وازدادت حدة المعارضة في صفوف الجند فعقد عثمان اجتماعاً ثانياً لكبار الصحابة وعلى رأسهم طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وكان إلى جانبه معاوية الذي نصح الخليفة بالانتقال إلى الشام للدفاع عن مركزه انطلاقاً منها حيث الولاء المطلق للأمويين، وكان معاوية يهدف للتمهيد لوصوله إلى الخلافة

---

(١) قطين لقريش: بستان لقريش.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٤٩.

(٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٥٧٣ - ٥٧٥.

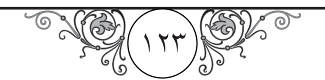
بعد تثبيت الشام كمركز لها. أما الإمام علي عليه السلام فأشار عليه بإصلاح سياسته المالية واستعادة الأموال التي وزعها على أنصاره دون وجه حق، لكن الاجتماع فشل كسابقه، لأن عثمان لم يأخذ بأي اقتراح[1]. أدى تعنت عثمان ورفضه أي مطلب إصلاحي إلى انغماس الجنود في الكوفة والبصرة والفسطاط في السياسة، لأنهم رأوا بأم العين ثمرة تضحياتهم تصب في جيوب فئة استأثرت بالسلطة دونهم. أرسلت المعسكرات الثلاثة مجموعات إلى المدينة تحت ستار موسم الحج وأجرت اتصالات بكبار الصحابة دون أن تطرح فكرة عزل الخليفة، بل كان هدفهم الضغط عليه لحمله على الإصلاح ومحاسبة المخطئين دون جدوى، فقاموا بمحاصرة الخليفة في منزله لحمله على الرضوخ لمطالبهم، واستمر الحصار ٤٠ يوماً دون أي استعمال للعنف[2]. فشل علي عليه السلام وعدد من الصحابة في تغيير موقف الخليفة الذي التزم بموقف مروان وأصحابه الداعي إلى الصمود، وكان قد وعد الصحابة بالإصلاح ثم أخلف الوعد، ثم وسّط علياً (ع) الذي قال له: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك... فوعدهم بالوفاء هذه المرة لكنه لم يفِ مجدداً[3]، وكان والي مصر عبد الله ابن أبي سرح قد قتل أحد المطالبين بالإصلاح فطالب أصحابه الخليفة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٥٦، ١٥٧. أيضاً الأسدي، سيف بن عمر الضبي، الفتنة الأولى ووقعة الجمل، جمع وتصنيف أحمد راتب عمر موسى، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٧٢، ص ٥٣.

(٢) الأسدي، سيف بن عمر الضبي، الفتنة الأولى ووقعة الجمل، مصدر سابق، ص ٦٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٧٠، ١٧١، ١٧٩.



بعزل الوالي وألحوا عليه وطلبوا منه أن يولي عليهم محمد بن أبي بكر فوافق وأعطاه كتاباً بولاية مصر لكنهم اكتشفوا كتاباً أرسله الخليفة إلى عامله على مصر يأمره فيه بقتل محمد بن أبي بكر وأصحابه، فثارت ثائرتهم. ثم تسربت معلومات إلى الثوار عن استدعاء الخليفة لجيش من الشام بهدف سحقهم، فاقتحموا دار عثمان وقتلوه في ١٨ ذي الحجة عام ٣٥ هـ[١].

سابعاً: نتيجة الثورة: وصول الاتجاه الإسلامي إلى الحكم.

١- مبايعة علي عليه السلام بالخلافة.

بعد قتلهم لعثمان سيطر العسكريون على السلطة لمدة ٥ أيام، لكنهم لم يضربوا مواقع النفوذ الأرستقراطية والقبلية التي سخرت خلافة عثمان لأهدافها، ولم يهيئوا البديل فأصبح هناك فراغ في السلطة. اتجهت أنظار الثوار إلى علي عليه السلام كشخص وحيد قادر على التغيير وعلى إسقاط النظام العائلي والفئوي السابق، في الوقت الذي لم يظهر علي عليه السلام حماسة لتولي السلطة[٢] على مجتمع ممزق ومنقسم على نفسه وعلى إدارة نخرها الفساد وعلى جيش اعتاد التدخل في السياسة. لكن علياً (ع) ومن

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق جزء ٣، ص ٣٩١، ٣٩٢-٤٠١. وقد جاء في كتاب عثمان: «إذا أتاك محمد بن أبي بكر وأصحابه فاقتلهم وأبطل كتابهم وأقر على عملك حتى يأتيك رأيي»، إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٩٨١، جزء ١، ص ٤٠ – ٤٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٩٠، ١٩٣.

موقع تكليفه الإلهي بممارسة الخلافة وفقاً لبيعة الغدير إذا بايعته الأمة وتوفر الأنصار، ولأنه يمثل الاتجاه الإسلامي الشعبي العريض الذي ينضوي تحته الفقراء والمستضعفون، لم يجد بداً من الموافقة على دعوة الثوار والقبول بالخلافة ولو في ظل أصعب الظروف، وإلا لأصبح بنظر هذا الاتجاه متهرباً من تحمل هذه المسؤولية التاريخية. بويع علي عليه السلام بالخلافة عام ٣٦ هـ في ظل انقسامات بين الصحابة وتورط الجنود في السياسة وخوف الأثرياء على امتيازاتهم. أظهر الأمويون أن عداءهم لعلي عليه السلام يعود لجذور قبلية جاهلية فامتنعوا عن البيعة بداية بدافع العصبية باعتبار أن آباءهم في الجاهلية قتلوا بسيف علي (ع)، «وبايع الناس إلا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عتبة وكان لسان القوم فقال: يا هذا إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر وكان أبوه من نور قريش، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه.. فتبايعنا على أن تضع عنا ما أصبنا وتعفي لنا عما في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب علي وقال: أما ما ذكرت من وتري إياكم، فالحقّ وَتَرَكم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله تعالى، وأما إعفائي عما في أيديكم، فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم، وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنة نبيه، فمن ضاق عليه الحق فالباطل عليه أضيق، وإن شيئتم فالحقوا بملاحقكم. فقال مروان بل نبايعك

ونقيم معك فترى ونرى»[1]. لقد رفض علي عليه السلام الإقرار بمنطق الثأر لقتلى الجاهلية موضحاً أن الحق قتلهم لشركهم ولا تجوز المطالبة بدمهم، ورفض أن يقدم أي تعهد بالتغاضي عن الأموال التي وزعت في العهد السابق بدون وجه حق، ورفض أن يتحمل مسؤولية دم عثمان، ولم يشأ إكراه هؤلاء على بيعته فترك الخيار لهم باللحاق بقومهم إذا شاؤوا. واعترض طلحة والزبير على بيعة علي عليه السلام ثم بايعاه، وقالا بعد ذلك «إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا»[2] وادعيا أنهما أكرها على البيعة[3]. وبعض الصحابة اختفوا، فمنهم من خالفوا علياً (ع) لعلمهم أنهم سيفتقدون دور الشريك في السلطة وستتعرض مصالحهم المالية للتهديد وقد شعروا منذ اللحظة الأولى بالخشية على امتيازات لم يعد سهلاً عليهم التخلي عنها لمصلحة الفئات الشعبية، ومنهم من كان خائفاً من خطورة الأوضاع ومؤثراً السلامة والابتعاد عن الأحداث وعدم التدخل فيها. ومن الذين اختفوا ولم يبايعوا: سعد بن أبي وقاص، عبد الله بن عامر، زيد بن ثابت، أسامة بن زيد، حسان بن ثابت، النعمان بن بشير وغيرهم. أما الفئات الشعبية التي عانت من التهميش طيلة العهود السابقة فكانت ضعيفة وغير منظمة ولم تعتد التعبير عن رأيها، والقوة الوحيدة المؤثرة التي ساعدت علياً (ع) جماعة الثوار وكان من أبرزهم

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، مجلد ٢، ص ١٧٨، ١٧٩. أيضاً مع بعض الاختلاف في الألفاظ: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، جزء ٧، ص ٣٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٩١، ١٩٢.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

مالـك الأشـتر النخعـي[1].

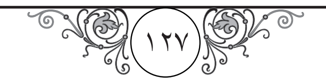
٢- نهج علي عليه السلام الإصلاحي.

حـاول عـلي عليـه السـلام إصـلاح مسـار الدولـة المهترئـة مـن خـلال تغيير الجهـاز الاداري الفاسـد بكاملـه، إصـلاح سياسـة الدولـة الإداريـة والاقتصادية وإعـادة توجيهها لخدمـة الفئـات الشـعبية، القضـاء عـلى الإثـراء غـير المشروع، وكلهـا أهـداف تطلبـت مجابهـة القـوى النافـذة المسـتفيدة مـن الوضـع السـابق. اقـترح بعضهـم السـير بشـكل تدريجـي في الإصـلاح تجنبـاً لإثـارة الخصـوم، ونصحـوا عليـاً (ع) بالتمهـل في عـزل الأمويـين مـن مناصبهـم وبالتحديـد معاويـة بـن أبي سـفيان. لكـن نقمـة الثـوار وإصرار عـلي عليـه السـلام عـلى الحكـم بالمعايـير نفسـها - معايـير العـدل - وعـدم التجزئـة في التطبيـق، جعلـه يصـدر الأمـر بعـزل كل الـولاة بمـن فيهـم معاويـة واسـتبدالهم بأسـماء لم تتـورط بالفسـاد[2]. وقـد بـدأ فـوراً عمليـة إصـلاح مـالي كبـير فـردّ إلى

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٤٥١، ٤٥٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ١٩٧، ٢٠١. قال علي عليه السلام عن لقائه بالمغيرة بن شعبة: «قال.. وإني أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت فقلت والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدني في أمري. قال فإن كنت قد أبيت علي فانزع من شيئت واترك معاوية فإن لمعاوية جرأة وهو في أهل الشام يُسمع منه ولك حجة في إثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها، فقلت لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً». الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج ٣، ص ٤٦١.



المسلمين قطائع عثمان وهي ما منحه من أراض كان الأصل فيها أن تنفق غلتها على أبناء السبيل وأشباههم، كقطائعه لمعاوية ومروان، فقال: «والله لو وجدته قد تُزوِّجَ به النساء، ومُلِكَ به الإماء، لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق[١]». وقد أعاد المساواة بين المسلمين في العطاء، وألغى جميع الفوارق والامتيازات التي اخترعها الخلفاء قبله بذرائع مختلفة حيث ميزوا بين مهاجر وأنصاري وهاشمي وعامي وبدري وغير بدري وعربي ومولى.. ولما عوتب على التسوية في العطاء بحجة ضرورة عدم إثارة معارضة الأغنياء ضده، قال: «أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور في من وُلّيت عليه؟ والله لا أطور به[٢] ما سمر سمير[٣]، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً. لو كان المال لي لسوَّيت بينهم فكيف وإنما المال مال الله؟ ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف. »[٤]

٣-الثورة المضادة على علي (ع).

المستفيدون من النظام السابق والمتضررون من إصلاحات علي عليه السلام بدأوا ثورة مضادة:

طلحة والزبير نكثا بيعتهما لعلي عليه السلام وانضمت إليهما عائشة فرفعوا شعار محاكمة قتلة عثمان رغم أنه شعار لا ينسجم مع مواقفهم

(١) الإمام علي، نهج البلاغة، مصدر سابق،، ص ٥٥.

(٢) لا أطور به: لا أمر به ولا أقاربه.

(٣) ما سمر سمير: أي مدى الدهر.

(٤) الإمام علي، نهج البلاغة، مصدر سابق،، ص ٢٣٦.

المعروفة منه، وخاصة موقف عائشة التي كانت معارضة لعثمان وابتهجت لمقتله لاعتقادها أن الخلافة ستؤول إلى طلحة الذي كان تيمياً مثلها، لكنها غيرت موقفها عندما علمت بمبايعة الناس لعلي (ع)[1]. وانتقلوا إلى البصرة بتأييد من حاكمها عبد الله بن عامر، حيث انقسم الجند فيها بدوافع وتكتلات عشائرية إلى ثلاث فئات: واحدة مع التحالف المعارض وثانية مع علي عليه السلام وثالثة آثرت الانزواء جانباً[2]. وبعد أن فشل علي عليه السلام في الوصول إلى تفاهم معهم يحقن الدماء، تمكن من القضاء عليهم في معركة الجمل في العام ٣٦ هـ، وأسفرت المعركة عن مقتل طلحة والزبير وأسر عائشة التي أعيدت إلى المدينة واعتزلت السياسة[3].

مثل الخطر الأكبر على حكم علي عليه السلام معاوية والي الشام، وكان قد أسس فيها حكماً قوياً منذ توليه ولايتها بعد الفتح، ورفع شعار الثأر لعثمان، وأصبح رأس تحالف القبائل والارستقراطية القرشية الذي استعاد نفوذه بشكل علني بعد أن كان يتمتع به بشكل مقنع خلال عهد عثمان[4].

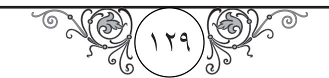
٤- معاوية وولاية الشام.

(١) طه حسين، الفتنة الكبرى علي وبنوه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٣١، ٣٢.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٤٨٠ - ٤٨٣، ٤٨٦.

(٣) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق جزء ٢، ص ١٨٣.

(٤) بلياييف، العرب والاسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة، الدار العالمية، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٩٥.



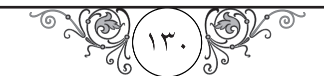


ارتبطت الشام ببني أمية مبكراً. فقبل الإسلام هاجر إليها أمية بن عبد شمس بعد أن فشل في نزاعه على النفوذ مع عمه هاشم وكان هذا أول نزاع بين البيتين[1]. وكانت علاقة قريش التجارية بالشام في رحلة الصيف عبر قافلة أبي سفيان. وعندما بدأت الفتوحات سلم أبو بكر قيادة أحد الجيوش الثلاثة إلى يزيد بن أبي سفيان الذي كان مكلفاً بفتح دمشق، ثم سلمه حكمها حتى وفاته عام ١٨ هـ، لينتقل المنصب بشكل شبه وراثي إلى أخيه معاوية، الذي أنشأ إدارة على غرار الإدارة الرومية وأسس قوة عسكرية كبيرة برية وبحرية، أغدق عليها العطاء فكانت مخلصة له وأصبح بفضلها عصياً على العزل. وكان معاوية والياً على دمشق في عهد عمر، فضم إليه عثمان الشام كلها، فأصبحت ولايته تشمل دمشق وحمص والأردن[2]. وكان معاوية يتحين الفرصة للوثوب إلى سلطة الخلافة فجاءته منذ وصول أحد أركان البيت الأموي إلى الخلافة، وقد «مضى عثمان إلى رحمة الله وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكن لها في الأرض وبخاصة في الشام وبفضل ما مكن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع مما أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام»[3]. فالحقيقة أن الدولة الأموية كانت قائمة في الشام بشكل غير رسمي في عهد عثمان، ولم يكن ينقص

(١) المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، دار ومكتبة بيبليون، بيبلوس، لبنان، لا ت، ص ٢١.

(٢) محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣) سيد قطب، العدالة الإجتماعية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٦١.



للإعلان عن قيامها رسمياً إلا موته. أتقن معاوية لعبة التحالفات القبلية فقرّب إليه الكلبيين وهم أقوى القبائل اليمنية في الشام وصاهرهم، وفي الوقت نفسه نجح في استمالة القيسيين بزعامة الضحاك بن قيس وزفر بن الحارث ونائل بن قيس فقاتلوا معه ضد علي[1]. طوع معاوية جميع زعماء القبائل في الشام ونجح في حشد قبائلهم إلى جانبه تحت شعار محاسبة قتلة عثمان مخفياً حقيقة نواياه وأطماعه.

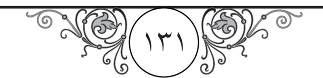
٥- الحرب مع معاوية:

امتاز حكم علي عليه السلام بإصراره على التمسك بالحق وعدم المساومة والتسويف في تطبيق الإسلام مهما كان الثمن، لكن هذا المستوى الرفيع من المبدئية واجه مشكلة وجود معاونين وأنصار وجيش دون المستوى نفسه من حيث الميول والرغبات والالتزام والطاعة حتى أن عدداً من قادته لم يتحمسوا كثيراً لقوانينه الصارمة. وكان جيش الخلافة الذي ورثه علي (ع)، مفككاً أصابه مرض التدخل في السياسة منذ مقتل عمر[2]، وخفتت الروح القتالية في صفوفه، بعد أن بلغت أوجها حين

---

(١) يوسف العش، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٩٩٨، ص ١٨٥، ١٨٦.

(٢) رد علي عليه السلام على من طالبه بإقامة الحد على قتلة عثمان «إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكونا ولا نملكهم، ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا لا، قال فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه... » ويظهر من كلامه المستوى الذي بلغه الجيش من عدم الطاعة والانضباط. الطبري، تاريخ الأمم والملوك،



كان يقاتل أعداء خارجيين أيام الفتوحات الأولى ويطمع بغنائمهم، بينما أصبح الآن يواجه أعداء داخليين.

استنفد علي عليه السلام الطرق الدبلوماسية قبل الوصول إلى الحرب فأرسل موفداً إلى معاوية لإقناعه بالامتثال لأمر الخليفة والتنحي دون إراقة الدماء. رفض معاوية واستدعى عمرواً بن العاص الذي كان معتكفاً في فلسطين وناقماً على عثمان[1]، فقدم إلى معاوية وهو يبكي عثمان وينعاه كما تبكي امرأة، فوافق معاوية على منحه ولاية مصر كثمن لتحالفه معه ضد علي (ع)، وعبّأ الجيش فأصبحت الحرب حتمية[2].

اصطدم الجيشان في صفين فرجحت كفة جيش علي عليه السلام في البداية لكن رفع المصاحف من قبل جيش معاوية أدى إلى طرح فكرة التفاوض وإعلان الهدنة. أتاح وقف الحرب الفرصة أمام جيش الشام لإعادة تنظيم صفوفه، بينما أدت الدعوة إلى التحكيم إلى ضعف الروح

مصدر سابق، ج٣، ص ٤٥٨.

(١) عزل عثمان عمرواً عن تولي الخراج فبدأ ينتقده وقد تجادل معه فتفاخرا بآبائهما في الجاهلية ثم خرج عمرو من عند الخليفة حاقداً عليه وصار يحرض علياً (ع) وابن الزبير على عثمان، ثم اعتكف في قصره في فلسطين ولم يبال بحصار الخليفة إلى أن قتل، فلما بلغه مقتله خرج باكياً ومنادياً بثأره. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣٩٢، ٣٩٣.

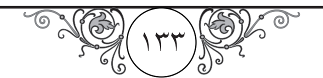
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٢٨٩، ٢٩٣. أيضاً الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٠، ص ١٥٧. أيضاً الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٥٦٠، ٥٦١.

القتالية لدى جيش الخلافة وفقدان الإنسجام الظاهري بين فرق هذا الجيش. عارض علي عليه السلام وأركانه فكرة التحكيم وحذر أصحابه من القبول بها «عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم... ويحكم والله ما رفعوها (المصاحف) إلا خديعة ووهناً ومكيدة»[١]، فهي مناورة أعطت معاوية فرصة الظهور كند سياسي للخليفة بعد أن كان مجرد والٍ متمرد على الخليفة الشرعي. لم يلتزم قادة جيش علي عليه السلام بموقفه فارتفعت الأصوات تدعو إلى القبول بالتحكيم وقد راقت هذه الدعوة للقيادات القبلية التي لا تعرف الانضباط العسكري، وأصبح رأي الأغلبية داعياً إلى التحكيم، ثم انتقل هؤلاء من إبداء الرأي والإصرار عليه إلى تهديد علي عليه السلام بمصير يشبه مصير عثمان لحمله على الرضوخ لرأيهم[٢]. وكان على رأس هؤلاء الأشعث بن قيس زعيم القبائل اليمنية وكان في الأساس عاملاً لعثمان على أذربيجان وكان عثمان قد ترك له خراجها فعزله علي (ع). وقد حاول وقف الحرب مع معاوية قبل خدعة التحكيم[٣]، فقد طلب من علي عليه السلام أن يذهب إلى لقاء معاوية لاستطلاع غرضه من التحكيم فعاد من عنده أشد اقتناعاً بالتحكيم، ما أثر على معنويات الجيش فأصبح علي عليه السلام وأركانه قلة أمام التيار الاستسلامي الذي فرض رأيه في النهاية. وقد

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣١٦.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٦١٦.

(٣) محمد عمارة، الإسلام وفلسفة الحكم، مرجع سابق، ص ١٠٧.



سمى الإمام (ع) عبد الله بن عباس ليمثله في مفاوضات التحكيم، لكن الأشعث بن قيس ومعه اليمانية تدخلوا مجدداً وفرضوا اسم أبي موسى الأشعري الذي كان قد خذّل الناس عن علي عليه السلام في الكوفة ونهاهم أن يخرجوا معه فوصفه علي عليه السلام بالعدو[1]، فقال لهم علي عليه السلام «قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، لا أرى أن أولي أبا موسى»[2]، لكنهم أصروا على موقفهم وكانت ذريعة الأشعث أن الأشعري أكثر مرونة في التفاوض وهو في منتصف المسافة بين علي عليه السلام ومعاوية[3]. وقد وضع علي عليه السلام ومعاوية وثيقتان للنقاش، فرفض عمرو أن تحتوي على لقب إمرة المؤمنين لعلي (ع)، فقام الأشعث مجدداً بالضغط على المترددين من جيش علي عليه السلام للقبول بهذا التنازل، فتنازع أصحاب علي عليه السلام منازعة شديدة في قبول أو رفض نزع صفة الخلافة عن اسم علي عليه السلام حتى تضاربوا بالأيدي، فقال الأشعث: أمحُ هذا الاسم، فهدده مالك الأشتر بالقتل واتُّهم بالتنسيق مع معاوية، ثم انتفض بوجهه عروة بن أديه أحد زعماء بني تميم وكاد أن يفتك به لكنه نجا من الضربة[4]. تكتلت حول الأشعث قبيلته كندة وأعلنت موقفها المؤيد للتحكيم، بينما تمادت قبيلة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جزء ٢، ص ١٨٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣١٨.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٣٧، ٣٨.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٦١٧-٦١٨. أيضاً الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٦، ص ٣٠، ٣١.

تميم في رفض التحكيم، وكادت الحرب تنشب بينهما وهما من أكبر القبائل في جيش علي عليه السلام الذي انقسم بين النزارية واليمنية. وعندها انتزع علي عليه السلام فتيل الحرب بين القبيلتين بإعلانه القبول بحذف لقب الخلافة عن اسمه في وثيقة التحكيم متأسياً برسول الله الذي قبل بنزع لقب الرسالة عن اسمه في صلح الحديبية[1]. وأصبحت قبيلة تميم التي عبرت عن رفضها بإطلاقها شعار «لا حكم إلا لله» نواة لما عرف لاحقاً بحركة الخوارج. عمت الفوضى معسكر علي عليه السلام الذي انقسم بين داعٍ إلى التحكيم وموسوم بالخيانة وبين رافض وساخط، كما أن بعض الذين طالبوا بالتحكيم ودافعوا عنه غيروا موقفهم ونفضوا أيديهم منه واتهموا قائدهم بالتخاذل[2]. انسحب علي عليه السلام إلى الكوفة لإعادة تنظيم جيشه بينما تجمع معارضوه في حروراء وقد بلغ عددهم ١٢٠٠٠ مقاتل[3] فحاول علي عليه السلام محاورتهم واستعاد عدداً منهم إلى معسكره، لكنهم عادوا وانفصلوا عنه عندما رأوا جديته في التزامه بمفاوضات التحكيم وانتقلوا من الاحتجاج إلى ممارسة العنف. وبعد أن بدأت المفاوضات واتضح أنها بالنسبة لمعاوية مجرد مناورات هدفها ابتزاز الخليفة وحمله على تقديم التنازلات السياسية، انتقل

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جزء ٢، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٢) يوليوس ولهوزن، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨، ص ٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣٢٥، ٣٢٦.

الخوارج إلى النهروان[١] . طال النقاش بين الحكمين في قضية عثمان، ثم اتفقا على خلع كل من علي عليه السلام ومعاوية وترك الخلافة شورى بين المسلمين، لكن كلاً منهما تكلم بشكل مختلف، فسمى الأشعري عبد الله بن عمر للخلافة، بينما سمى عمرو معاوية بن أبي سفيان[٢] . وبالمحصلة نجح ابن العاص في استدراج الأشعري إلى التنازل عن حق يتمتع به علي عليه السلام دون خصمه وهو الخلافة، وإظهار معاوية كند لعلي (ع)، ثم انفض المؤتمر على غير وفاق وعادت تباشير الحرب تلوح من جديد، وقد رأى علي عليه السلام أن كل ما جرى خرق للوثيقة التي اتفق عليها سابقاً ولحكم القرآن الذي تعهد الحكمان على الالتزام به مسبقاً[٣] .

٦-حرب الخوارج:

بعد فشل مؤتمر التحكيم انشغل علي عليه السلام في حرب الخوارج الذين قطعوا الطرقات واعتدوا على الناس فكان لا بد من استئصال خطرهم قبل العودة إلى قتال معاوية. وفعلاً فقد هزمهم علي عليه السلام في النهروان وقتل زعيمهم. لكن حرب الخوارج في العراق أتاحت الفرصة لمعاوية لتوسيع نفوذه خارج بلاد الشام فسقطت بيده مصر واليمن وبعض الحجاز والجزيرة وبدأ جيشه يشن غارات على العراق

(١) المصدر نفسه، جزء ٣، ص ٣٢٦، ٣٤١.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٤٢.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣٣٢، ٣٣٣.

منتقلاً إلى موقع الهجوم بعد أن كان في موقع الدفاع[1].

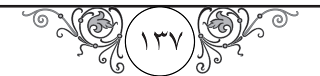
٧-نقاط الضعف في جيش علي (ع):

أظهرت الأحداث مجموعة من نقاط الضعف في جيش علي عليه السلام منعته من تحقيق النصر على معاوية. لم تكن بيعة المسلمين والجنود لعلي عليه السلام بعد عثمان امتداداً لبيعة الغدير كواجب شرعي إلهي بلغه رسول الله، بل كانت بيعة الضرورة التي يمكن نقضها في أي وقت. وفي معركة الجمل كان الالتزام بالموقف القبلي ظاهراً في الجيش وفي صفين كانت القبيلة تقاتل كوحدة ولم يقاتل الجنود كأفراد ملتزمين بموقف مبدئي يدافعون عنه. ازدادت المنازعات القبلية داخل الجيش وعمت فيه الروح الإنهزامية وكثر فيه المتخاذلون والانتهازيون. وهذا الجيش الذي بدأ يتدخل في السياسة خلال عهد عثمان رافعاً شعار الإصلاح، ثم قتل الخليفة وانغمس في صراعات الطامعين إلى السلطة، أخذت قياداته التي ذاقت طعم السلطة ولو لأيام معدودة تلجأ إلى القوة والضغط لفرض القرارات التي تراها مناسبة، ولم يعد لديها الانضباط والطاعة للخليفة الذي رشحته بنفسها، وهو ما ظهر بوضوح من خلال موقف هذه القيادات من علي عليه السلام عندما اعترض على التحكيم فضغطت عليه للقبول به متجاوزة صلاحياتها العسكرية والشرعية[2]. وما زاد

---

(١) المصدر نفسه، جزء ٣، ص ٣٥٩، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٧٩. أيضاً اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جزء ٢، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٣١٦، ٣١٧.



الطين بلة انفصال عدد كبير من الجنود بعد التحكيم، وانهماك علي عليه السلام في حربهم، ما أدى إلى نقص في عديد الجيش واضطرار علي عليه السلام طوال السنتين الأخيرتين من حياته إلى الإنهماك في إعادة بنائه على معايير موحدة من الولاء والتجانس والانضباط، فتمكن من حشد ٤٠٠٠٠ مقاتل ونجح في وقف هجمات الشاميين على العراق[١]، وكان يستعد لحرب معاوية وإنهاء تمرده، لكنه اغتيل على يد الخوارج في هذه الظروف بالذات لينهار بشهادته مشروع بناء الدولة الإسلامية. وصل علي عليه السلام إلى الحكم في ظل حرب أهلية، وقد تآمرت عليه مختلف الأطراف بما فيها تلك المحسوبة عليه والمقاتلة في صفوفه فلم يتمكن من إعادة مؤسسة الخلافة إلى طبيعتها بعد أن انهارت في عهد عثمان، وتصدى في ظل ظروف لا تشجع على الحكم ولا تسمح بإنجاز التغيير المنشود، وقد لخصها علي عليه السلام بعبارتين: «عجباً والله يميت القلب ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم»[٢]، و «لا رأي لمن لا يطاع »[٣].

ثامناً: خلافة الحسن (ع) القصيرة.

كان قيس بن سعد بن عبادة على رأس الإتجاه الذي يدعو إلى استمرار

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، جزء ١، ص ١٤٥. أيضاً ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٤٠٤.

(٢) الإمام علي، نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٨.

الحرب مع معاوية، وكان أول من بايع الحسن (ع) في عام ٤٠ هـ، وقد اشترط الحسن (ع) على من بايعه الطاعة قائلاً: «إنكم مطيعون، تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت»(١). وقد رأى البعض في هذا الكلام تلميحاً إلى إمكانية القبول بالسلم مع معاوية فحاولوا مبايعة الحسين (ع) فقالوا له: أبسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك وعلى حرب المحلّين الضالين أهل الشام فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً»(٢). وقد صدّهم الحسين (ع) لأن الحسن (ع) يمثل الخليفة الشرعي للمسلمين. وخلال بضعة أسابيع تبادل الحسن (ع) الرسائل مع معاوية(٣)، وفيما وصل معاوية بجيشه إلى مسكن، عسكر الحسن (ع) في المدائن، وشن معاوية حرباً نفسية استهدفت زعزعة معنويات جيش الحسن (ع) فأشاع في صفوفه أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وأشاع في عسكر قيس أن الحسن (ع) قد صالح. وأرسل معاوية وفداً إلى الحسن (ع) فلما خرج أعضاء الوفد من لقائه أخذوا يشيعون أنه قد وافق على الصلح، ولم يكن العسكر يشككون في صدقهم فأصابهم الاضطراب(٤). ثم أشاع أصحاب معاوية بعد ذلك خبر مقتل قيس بن سعد(٥). أصبحت ظروف الحسن (ع) أكثر صعوبة فقد انهارت الجبهة العراقية

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٤٠٢.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، مصدر سابق، جزء ١، ص ١٦٣.

(٣) الأصفهاني علي بن الحسن أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، النجف، ١٣٨٥ هـ، ص ٣٥، ٣٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢١٤، ٢١٥.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٤٠٤.

بعد شهادة علي (ع)، وظهرت خيانة قادة الجيش للحسن (ع) فتواطأ قائده عبيد الله بن عباس مع معاوية وانحاز مع فرقته إلى صفه[1] ثم انتهبت خيمة الحسن (ع) وتعرض لمحاولة اغتيال وأصيب بجراح[2]. في ظل هذه الظروف أيقن الحسن (ع) باستحالة الحرب مع معاوية فعقد معه صلحاً تنازل له فيه عن الحكم مشترطاً عليه أن يعمل بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين وأنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده وأن يكون الأمر شورى بين المسلمين بعده، وأن يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وذراريهم[3]. قال الحسن (ع) لشيعته مبرراً قرار الصلح الذي صعب على بعضهم أن يتقبله: «ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل عندما رأيت من تباطؤ أصحابي عن الحرب.. فصالحت بقياً على شيعتنا خاصة من القتل فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما»[4]. لكن معاوية لم يلبث أن نقض كل بنود الصلح وأعلن ذلك صراحة في خطبة له أمام أهل الكوفة[5].

تاسعاً: الدولة الأموية.

---

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، مصدر سابق، ص ٤٢.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مصدر سابق، جزء ٢، ص ٢١٥.

(٣) باقر شريف القرشي، حياة الإمام الحسن بن علي، دار البلاغة، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٢٦.

(٤) الدينوري، الاخبار الطوال، مصدر سابق، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٥) الأسعد بن علي، صلح الإمام الحسن (ع) من منظور آخر، دار التآخي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٥٣-٥٤.

استتب أمر الحكم رسمياً لمعاوية بعد صلحه مع الحسن (ع)، ونجح في ترسيخ قوة دولته الموجودة أصلاً تحت مسمى ولاية الشام فأصبحت تحت مسمى خلافة المسلمين، وقد امتازت هذه الدولة بعدة عناصر أمنت لها قوة ومنعة:

- اعتمادها مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، فسياسة معاوية غير مقيدة بحدود شرعية ويمكن له القيام بأي شيء للوصول إلى أهدافه.

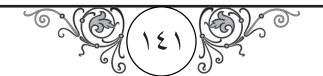
- إجادة نسج التحالفات القبلية واستمالة رؤساء القبائل بالترغيب والترهيب، وقد تمكن معاوية من استمالة القيسية واليمنية في الشام.

- لجأ معاوية إلى التنظيم العشائري لأحكام سيطرته على الكوفة التي كانت معقل المعارضة، وكانت أحياء المدينة موزعة على القبائل فكان الإنقسام القبلي فيها واضحاً وقوياً[(١)]. كان عمر قد وضع على المدينة أمراء الأجناد وقسم سكانها الى أعشار ثم إلى أسباع، وتألف كل سبع من عدة عشائر ووضع على رأسه رئيساً، وجعل على كل عشيرة عريفاً من أصحاب الشأن في الإسلام، وظل هذا التقسيم قائماً إلى أن قسمهم زياد إلى أرباع في أواخر خلافة عمر، وكانت هذه التقسيمات تتم على أسس قبلية. وكان لكل سبع أمير يتلوه أصحاب الرايات: العرفاء والنقباء والأمناء يقودون الناس ويدفعون إليهم العطاء في دورهم[(٢)]. وفرض معاوية

---

(١) هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٨٦، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٢) صالح أحمد العلي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها



على الأشراف والعرفاء ورؤساء الأسباع والأرباع أن يتواجدوا في بلاط الوالي باستمرار. وطلب معاوية من الوالي التشدد مع العرفاء ورؤساء الأرباع والناس[1]. وكان الوالي يغدق على العريف المال من جهة، لكنه من جهة أخرى كان يعاقبه على ذنب أي فرد من أبناء عرافته ويأخذه بتجاوز واخطاء أي من أبناء العشيرة، فكان العريف المقصر يسيَّر وينفى إلى مكان بعمان الزارة (في البحرين)[2]. وقد طلب الوالي من العرفاء أن يكتبوا له أسماء الغرباء الذين يدخلون الكوفة وطلبة أمير المؤمنين أي كل العناصر المعارضة، فأصبح العريف يستميت لإرضاء السلطة وقمع أي معارض من عشيرته خوفاً على نفسه وطمعاً بالمال.

– وضع بيد والي الكوفة وفي قصره بيت المال ودار الرزق بين الكوفة والسواد وكانت كل الارض الزراعية بيده وكان عطاء الجند والقبائل بيده فضمن ولاءهم.

– بنى الجيش على أسس قبلية.

– تحول الجيش الى طبقة عسكرية لها امتيازاتها الخاصة والاقتصادية، وهي مخلصة لهذا الحكم الذي يضمن لها استمرار هذه الإمتيازات،

وتنظيماتهم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٤، ص ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) ياقوت الحموي شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، القاهرة ١٩٦٠، جزء ٤، ص ١٥٠.

مع تعزيز وضع جيش الشام بشكل خاص ومنحه أعطيات تفوق بقية جنود الأمصار لأنه الأداة الأكثر إخلاصاً وهو الذي تعتمد عليه السلطة الجديدة في بقائها.

- تسييس الفتوحات واستخدامها لإرضاء الجند في الأمصار بالغنائم وإثرائهم وإبعادهم عن التدخل في السياسة وشؤون الحكم.

استند معاوية إلى كل عناصر القوة الموجودة لديه لتأمين خضوع الأمة لاختياره ابنه يزيد ولياً للعهد. في العام ٥٩ هـ، وبعد أن حصل على تأييد الزعيم القيسي الضحاك بن قيس الفهري والزعيم اليمني حسان بن بحدل الكلبي، استدعى جميع زعماء القبائل إلى قصر الخضراء في دمشق حيث قدموا البيعة ليزيد. لكن الاحتفال ظل منقوصاً لأن زعماء الحجاز تغيبوا عنه، فقد فشل مروان بن الحكم في حملهم على تأييد ولاية العهد، وكان أبرزهم الحسين بن علي عليه السلام وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر. قدم معاوية إلى المدينة للقائهم وإقناعهم أو إجبارهم على البيعة، فأغلظ لهم الكلام فغادروا إلى مكة، فلحقهم إلى هناك وحاورهم وسايرهم في البداية فلما لم يتجاوبوا وضع عليهم صاحب حرسه وأمره بقتلهم إذا عارضوا كلامه أمام الناس، ثم تكلم وادّعى أنهم قد بايعوا، «فبايع الناس وكانوا يتربصون بيعة أولئك النفر. فلما طالبوهم بعد ذلك وقالوا لهم زعمتم أنكم لا تبايعون فلم أرضيتم وأعطيتم وبايعتم؟ قالوا والله ما فعلنا. فقالوا ما منعكم أن تردوا على

الرجـل؟ قالـوا كادنـا وخفنـا القتـل»[1].

عاشراً: ثورة الحسين (ع).

كانـت وفـاة معاويـة مـؤشراً عـلى حتميـة الصـدام مـع رافـضي البيعـة ليزيد، وبشـكل خـاص مـع الحسـين (ع) وعبـد الله بـن الزبـير. تلقـى والي المدينـة أمـراً مـن يزيـد بانتـزاع البيعـة منهـم بالقـوة فانتقلـوا إلى مكـة تحاشـياً للإصطـدام مـع الـوالي[2]. في الوقـت نفسـه ظهـر أول نشـاط للحزب الشـيعي المعـارض في الكوفـة منـذ الحكـم الأمـوي لهـا مـن خـلال اجتـماع عقـده زعـماء الشـيعة في منـزل سـليمان بـن صرد الخزاعي بعـد أن بلغهـم امتناع الحسـين (ع) وابـن الزبير وابـن عمـر عـن البيعـة ليزيـد[3]. وقـد رفـض المجتمعـون الاعـتراف بالنظـام الوراثـي وبشرعيـة خلافـة يزيـد، ودلّ ذلـك عـلى قـرب انفـلات الوضـع في العـراق مـن سـيطرة الأمويـين تزامنـاً مـع خـروج الحسـين(ع) إلى مكـة ورفضـه البيعـة ليزيـد[4]. وقـد قـرر المجتمعـون دعـوة الحسـين (ع) إلى العـراق لقيـادة الحـزب الشـيعي وإعـلان الثـورة فأرسـلوا إليـه الرسـل والكتـب، وقـد وصلتـه في الوقـت الـذي علـم فيـه أن يزيـداً أصـدر أوامـره لعملائـه بقتلـه ولـو كان في الحـرم. وقـد بعـث الحسـين (ع) رسـولين إلى البـصرة والكوفـة لاسـتكمال

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٣، ص ٥٠٧، ٥١١.

(٢) المصدر نفسه، جزء ٤، ص ١٤، ١٦، ١٩.

(٣) ابن كثير أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، (١٣ جزءاً)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦، جزء ٨، ص ٢٤٧. أيضاً ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٢٠.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٢٥٨.

دراسة أوضاعها وطلب البيعة من أهلها. أما رسوله إلى البصرة فلم يلق أي تجاوب بسبب الولاء القبلي للسلطة وانتهى مصلوباً في ساحة دار الإمارة(١)، وأما رسوله إلى الكوفة مسلم بن عقيل فقد لقي تجاوباً كبيراً في البداية، لكن والي الكوفة الجديد عبيد الله بن زياد اعتمد على التنظيم العشائري الذي كان قد أسسه معاوية، ونجح في كسب ولاء معظم العرفاء والوجهاء سواء بإغداق الأموال عليهم أو بتهديدهم بحرمانهم وحرمان جنودهم من الأعطيات والمرتبات، لأن بيت المال كان بيده، وصولاً إلى تهديدهم بالقتل والنفي. كان إلى جانب ابن زياد ٢٠ من الأشراف ورؤساء الأرباع الذين خذّلوا الناس عن نصرة مسلم ونجحوا بتطويع أبناء عشائرهم وفقاً لمشيئة السلطة(٢). وهكذا تمكن ابن زياد من تنفيذ انقلاب على مسلم بن عقيل، وانحاز إليه معظم رؤساء العشائر الذين كاتبوا الحسين سابقاً، فانتهى مسلم بن عقيل إلى الوقوع في قبضته بعد أن وجد نفسه وحيداً، وتم إعدامه مع أحد أبرز قادة الحزب الشيعي هانئ بن عروة(٣)، دون أن يتسبب ذلك بأي ردة فعل في الكوفة. وقد كان ابن

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٢٣.

(٢) خاطب أحد هؤلاء الأشراف قومه قائلًا: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر ولا تعرضوا أنفسكم للقتل فإن جنود أمير المؤمنين قد أقبلت وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم من العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع وأن يأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب... الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٢٦٠، ٢٧٦، ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه، جزء ٤، ص ٢٦٠. أيضاً ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٣١ - ٣٦.

زياد حريصاً على تذكير الناس بمبدأ الطاعة الذي ركزت عليه سياسة الدولة الأموية، فبعد أن ضرب هانئاً وسجنه «صعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه.. ثم قال أما بعد أيها الناس فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرقوا فتهلكوا »[1].

أدى ذلك إلى بقاء الحسين (ع) مع أهل بيته وثلة من أنصاره وحيداً في ساحة كربلاء. وفي هذه الساحة تجلى التيار القبلي بكل قوته حيث اعتبر المعركة عملية ثأر عشائري لقتلى بني أمية في بدر، ولمقتل عثمان الذي حمله معاوية للإمام علي عليه السلام وتذرع به ليصل إلى الخلافة، حتى أنهم برروا قطع الماء عن معسكر الحسين (ع) بأنهم يريدونه أن يقتل عطشاناً كما قتل عثمان عطشاناً « قال أبو مخنف.. جاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد، أما بعد فَحُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء لا يذوقوا منه قطرة كما صُنع بالتقي الزكي المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان، قال فبعث عمر بن سعد عمروَ بن الحجاج على خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء أن يسقوا منه قطرة وذلك قبل قتل الحسين بثلاث «[2]. وفي رواية أخرى « ورد كتاب ابن زياد على عمر بن سعد أن امنع الحسين وأصحابه

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه، جزء ٤، ص ٣١١، ٣١٢.

الماء فلا يذوقوا منه حُسوة[١] كما فعلوا بالتقي عثمان بن عفان»[٢].

وقد بلغ الانحراف الفكري الذي ارتكز على النظرية التي روج لها الأمويون بالحق الإلهي في الحكم للخليفة - أي خليفة ومهما كانت مواصفاته - شأناً بعيداً حيث أصبح الحاكم المغتصب للسلطة ولياً للأمر واجب الطاعة ولو كان ظالماً وفاسقاً، بينما مثّل الخروج عليه وردعه عن ظلمه بالنسبة إليهم خروجاً عن الدين ومعصية كبيرة. وقد ظهر من خلال خطاب بعض القوم للحسين (ع) وأصحابه، قناعتهم أن الحسين(ع) بخروجه يخرج عن الطاعة ويفرق وحدة الأمة، ولذلك فهو يرتكب ذنباً يستوجب خلوده في النار، وهم إنما يجاهدونه ويتقربون إلى الله بسفك دمه. والأمثلة على ذلك خلال أحداث عاشوراء كثيرة منها: قال ابن حوزة: «يا حسين أبشر بالنار»[٣]. ولما قال الحسين (ع): «سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلي ففعلوا، فقال لهم الحصين إنها لا تقبل فقال له حبيب بن مطهر زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقبل منك يا حمار»[٤]. وقال عمرو بن الحجاج مذكراً بمبدأ الطاعة الذي قامت عليه سياسة بني أمية: «يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم، لا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام.. وسمعه

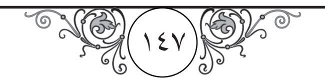
---

(١) حُسوة: جرعة بقدر ما يُحس مرة واحدة.

(٢) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، مصدر سابق، ص ٢٥٥.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، جزء ٤، ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه، جزء ٤، ص ٧٠.



الحسين فقال: يا عمرو بن الحجاج أعليّ تحرض الناس؟ أنحن مرقنا من الدين أم أنتم؟ والله لتعلمنّ لو قبضت أرواحكم ومتّم على أعمالكم أيّنا المارق»[1]. وفي مقابل منطق القبيلة والطاعة العمياء للحاكم، كان شعار الحسين (ع) الدعوة إلى الحق والسير على خطى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق. فهو لم يقل من قبلني لشرفي ومنزلتي في المسلمين وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وما إلى ذلك. بل قال إن قبوله يكون بقبول الحق فهو داعٍ من دعاته، وحينما يقبل الناس داعي الحق فإنما يقبلونه لما يحمله إليهم من الحق والخير لا لنفسه، وفي هذا تعالٍ وتسامٍ عن التنافر القبلي[2]. وعبثاً حاول الحسين (ع) وأصحابه في كل كلامهم مع القوم تذكيرهم بما يمثل الحسين (ع) من نهج القرآن والاسلام والعدل وبما يمثل يزيد من فسق وفجور وانحراف وظلم، فقد اختلطت الأمور إلى أن كاد الحق أن يطمس بسبب سطوة المال والعشيرة والسلطة، فكان الخيار الوحيد المتاح للحسين (ع) أن يرسخ وإلى الأبد، بدمائه ودماء أهل بيته وأصحابه الفارق بين التيارين بحيث يستحيل على الظلم بعد ذلك أن يكتسب أية شرعية، ويستحيل على النفاق أن يلبس ثوب الإسلام بعد أن أظهر الحسين (ع) الصورة الحقيقية لهذا الدين.

---

(١) المصدر نفسه، جزء ٤، ص ٦٧.

(٢) محمد مهدي شمس الدين، ثورة الحسين ظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية، دار الغكر، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٤٠.

حادي عشر: الخاتمة.

الانحراف الذي بدأ بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله بابتعاد بعض المسلمين عن توجيهات الرسول صلى الله عليه وآله ونقضهم لبيعة الغدير بذريعة حقهم بتشخيص المصلحة وفق ما يرونه ولو خالف تشخيص الرسول صلى الله عليه وآله وأوامره، وهذا الحق بالتشخيص أدى إلى سيطرة تيار وسطي قبلي كان بمثابة حصان طروادة استخدمته الفئة الأرستقراطية القرشية لتصل إلى الحكم أولاً، ثم لتمهد الطريق لتصل إلى السلطة الأرستقراطية الأموية تحديداً، والتي كانت تحكم مكة قبل الإسلام، لتعود وتتسلل الى الحكم وهي ترتدي هذه المرة ثوب الإسلام ولتحيي الروح القبلية من جديد بعد أن بذل رسول الله كل جهده للقضاء عليها من نفوس المسلمين. لقد كانت بداية الإنحراف عن ما خططه رسول الله صلى الله عليه وآله فلتة بتعبير عمر، لكن الله لم يق المسلمين شرّها كما تصوّر، لأن هذا الانحراف استفحل حتى وصل الأمر إلى استسهال وتشريع الإمة قتل الحسين (ع) في كربلاء. لقد حاول علي عليه السلام لجم هذا الانحراف والعودة بالدولة إلى صفائها عند تسلمه الخلافة لكنه لم يتمكن من ذلك لأن الاهتراء كان قد بلغ حداً بعيداً في الدولة التي ورثها وخاصة في صفوف الجيش الذي قطعت أوصاله الولاءات القبلية، ولأن الفئة المستأثرة بالسلطة والمستفيدة من أموال بيت المال بشكل غير مشروع كانت قد سيطرت على جميع مفاصل الدولة وخاصة في بلاد الشام. ومع انتقال الحكم إلى يزيد بدا واضحاً تحول

الخلافة إلى ملك وراثي، وقد بلغ هذا الانحراف العملي والفكري حداً لا يمكن السكوت عليه، إذ حاول بنو أمية إضفاء صبغة الإسلام على كل انحرافاتهم من خلال ادعاء الحق الإلهي في الحكم ووجوب الطاعة للحاكم وعدم الخروج عن الجماعة، وكادوا أن ينجحوا في إعطاء حكمهم صفة الشرعية. وعندها رأى الإمام الحسين (ع) انطلاقاً من مسؤوليته في حفظ الدين، أن الطريق الوحيد الذي بقي متاحاً أمامه لنزع هذه الشرعية المزيفة وإعطاء الصورة الحقيقية للإسلام المحمدي الأصيل هو إعلان الثورة مهما كان الثمن باهظاً. لقد أدرك الإمام الحسين (ع) منذ اللحظة الأولى أن قوته العسكرية لن تتمكن من التغلب على التحالف القبلي الموالي لبني أمية، لكنه أدرك أيضاً أن مسؤوليته كإمام تفرض عليه أن يسجل موقفاً تاريخياً ينتزع وإلى الأبد كل شرعية مزيفة حاول الأمويون ادعاءها، فرسم بدمائه ودماء أهل بيته وأنصاره صورة الإسلام الحقيقي التي كاد الانحراف الأموي أن ينجح في طمسها وتشويهها، فأوصل هذا الإسلام الحقيقي، إسلام جده وأبيه، إلى الأجيال القادمة. وكان حفظ الإسلام وهو هدف أهم من الحكم نفسه، الفتح والنصر الذي تحقق في كربلاء، والذي قال عنه الحسين (ع) قبل انطلاقه «ومن تخلف عنا لم يبلغ الفتح».

المصادر والمراجع

المصادر العربية:

١- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٢- ابن أبي طالب علي (ع)، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٦٣.

٣- ابن الأثير علي بن احمد بن ابي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥.

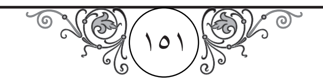
٤- ابن بطال، العلامة أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ت ٤٤٩ هـ، شرح ابن بطال على صحيح البخاري، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٥.

٥- ابن خلدون عبد الرحمن المغربي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨.

٦- إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٩٨١.

٧- ابن كثير أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، (١٣ جزءاً)، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦.

٨- الأسدي، سيف بن عمر الضبي، الفتنة الأولى ووقعة الجمل، جمع وتصنيف أحمد راتب عمر موسى، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٧٢.





٩- الأصفهاني علي بن الحسن أبو الفرج، مقاتل الطالبيين، النجف، ١٣٨٥ هـ.

١٠- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

١١- الحموي ياقوت، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، القاهرة ١٩٦٠.

١٢- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٠.

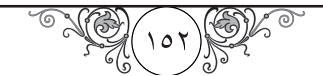
١٣- الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك ومن كان في زمن كل منهم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لا ت.

١٤- الطبري محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرأن، تقديم الشيخ خليل الميس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

١٥- المسعودي ابو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

١٦- المقريزي، النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، دار ومكتبة بيبليون، بيبلوس، لبنان، لا ت.

١٧- اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠.



المراجع العربية:

١- الأسعد بن علي، صلح الإمام الحسن (ع) من منظور آخر، دار التآخي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ٢٠٠٥

٢- جعيط هشام، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٨٦.

٣- حسين طه، الفتنة الكبرى علي وبنوه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢

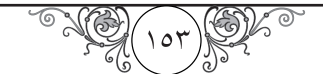
٤- سرور محمد جمال الدين، الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٦٦.

٥- شمس الدين محمد مهدي، ثورة الحسين ظروفها الإجتماعية وآثارها الإنسانية، دار الغكر، بيروت، ١٩٧٤.

٦- العش يوسف، الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٩٩٨.

٧- العلي صالح أحمد، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٨- عمارة محمد، الإسلام وفلسفة الحكم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩



٩- القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسن بن علي، دار البلاغة، بيروت، ١٩٩٣.

١٠-قطب سيد، العدالة الإجتماعية في الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٥.

المراجع الأجنبية المترجمة:

١- بلياييف، العرب والاسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة، الدار العالمية، بيروت، ١٩٧٣.

٢- كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٢.

٣- ولهوزن يوليوس، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨.

إشكالية النص في البعد التاريخي لواقعة الغدير

د. صالح عبد حسن الطائي

المقدمة

من يتفكر بذلك التجمع الكبير في الحر اللاهب عند مفترق الطرق، يجد واقعة أسس لها النبي (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى، ويدعمها المفهومان العقدي والسياسي، ويجد أن كل أحداثها الحقيقية كان يجب أن تقبل كما هي عليه دون أي تغيير أو تعديل أو تفسير، لأن كل خطوة كانت مدروسة ومقننة إلهيا. ويجد أن كل الخطوات المضادة التي مورست لتحجيمها، لم تحرفها عن مسارها فحسب، بل أخذتها إلى أبعد مما جاءت من أجله، وبالتالي أفقدتها قدسيتها وألقها ورونقها الاحتفالي الذي تحدث عنه اليهودي في تقييمه لآية اليوم أكملت لكم دينكم.

إن ما تعرضت له واقعة الغدير من تحريف وتأويل مَثَّلَ إهانة تاريخية للقرار الإسلامي ولجزء من عقيدة الإسلام، وقد بدأت هذه المأساة مع بداية التحريف، ولم تنتهي إلى يومنا الحاضر، وهنا يجب أن نعرف أن الإسلام وضع نظام حكم، وأن السياسيين نجحوا في وضع نظام آخر غلبَّوه عليه، وطبقوه فعلا، وأيدتهم عامة الناس خوفا ووجلا، لا عن قناعة ويقين.

من جانب آخر يتضح أن تمكن السياسيين من اختراق دفاعات منظومة الغدير وتاريخها، ونجاحهم في تسويق قواعد الحكم التي استنبطوها، يدل على مقدرتهم السياسية وتمكنهم من إدارة الأزمات، بدليل أن تعدد طرق روايات الغدير وتواترها، ونجاحهم في تطويعها يؤكد ذلك، ويعني من جانب آخر أن مجمل تاريخنا قد تعرض إلى إعادة بناء، لا على أسسه الحقيقية التي وضعها النبي (صلى الله عليه وآله) بل على أسس مستنبطة، وهذا يحدونا لأن نتعاون جميعنا في إعادة قراءة التاريخ وإعادة بناء وقائعه ليس انتصارا لفئة، بل خوفا من أن يغادرنا التاريخ.

من هنا بدا الحديث عن واقعة الغدير على مر التاريخ مكبلا بالإشكاليات المصطنعة من حيث بعده التاريخي، بعد أن تعرضت روايات الواقعة وروايات تاريخية مهمة أخرى إلى تغيير شامل وتفسير وتأويل متشعب، حرفها عن مقاصدها، وبعد أن تعرض المجتمع برمته إلى ما يشبه عملية غسل الدماغ القسرية، كان هدفها ترويض الفكر المسلم وجعله يقبل بالتحريف ولا يعترض حتى مع علمه بما حدث.

منهجيا اخترت أن لا أقسم البحث على فصول لكي تكون الفكرة مترابطة أكثر ودون انقطاع، ولذا استخدمت أسلوب العنونة بديلا. وقد اعتمدت المنهجين الوصفي والتحليلي في كتابة واستخلاص نتائج البحث.

أنسنة النصوص

كلاهما النص[١] والبعد التاريخي[٢] من الخطورة بمكان أنهما تم التعامل معهما بكثير من الغرابة التي تسببت بضياع الكثير من الموروث الإسلامي الصحيح، واعتماد ما انتجته العقول السياسية مناهج دينية بدلا عنه. وكلاهما تم التعامل معهما بقصدية تطغى عليها روح تنافسية لم تهتم لما سينتجه تدخلها السافر في مضامينهما من خراب للدين والمجتمع. وإذا أضفنا لها ما عرف فيما بعد باسم (تاريخية مفاهيم النصوص)[٣] لن نجد صعوبة في اكتشاف حقيقة أن لكل مفهوم بعدا اجتماعيا يؤدي تغييبه أو محوه إلى إحداث ثغرة في منظومة هرمية التاريخ والمجتمع. ولا يفوتني هنا الإشارة إلى أن للنصوص الدينية ولاسيما النص القرآني قابلية كبيرة على تجديد الفهم تبعا للبعد التاريخي، حتى مع وجود آراء ترفض هذه الحقيقة، وخير مثال على حيرتهم بشأنها إنهم يروون عن علي (عليه السلام) أنه قال لابن عباس حينما أرسله لِحِجاج الخوارج في النهروان: «لا تُخاصِمْهم بالقُرآن؛ فإنَّ القُرْآن حَمَّالُ أوجُه، ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكنْ حاجِجْهم بالسنَّة؛ فإنَّهم لن يَجِدوا عنْها مَحيصًا. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين، فأنا أعلم بكتاب الله منهم، في بيوتنا نزل! فقال: صدقت، ولكن القرآن حمال ذو وجوه، يقول، ويقولون، ولكن حاججهم بالسنن؛ فإنهم لن يجدوا عنها محيصا. فخرج ابن عباس إليهم فحاججهم بالسنن

---

(١) النص الديني الموروث.

(٢) زمانية النصوص.

(٣) أي البعد المضموني التاريخي لها.

فلـم يبـق بأيديهـم حجـة»[1].

معنـى هـذا أن فهمنـا للنـص الآن لا يمكـن أن يكـون عـلى نفـس شـاكلة فهـم الأوائـل لـه، لكـن يسـتحيل أن تجـد في مذهـب إسـلامي أو لـدى جماعـة إسـلامية امكانيـة التماهـي مـع هـذه الحقيقـة بذرائـع شـتى، ومعـه يسـتحيل أن تجـد مـن هـو عـلى اسـتعداد لأن يعيـد مناقشـة النتائـج التـي أفرزتهـا تلـك النصـوص، لأنـه لا يوجـد مـن لـه قـدرة تجـاوز فهـم الفقهـاء القدمـاء لهـا، ووفقـا لذلـك تجـد أن كل مـا يتحدثـون عنـه المعـاصرون عبـارة عـن تكـرار لمـا قالـه وسـطره الأوائـل في مؤلفاتهـم، التـي يحفهـا البعـض بنـوع مـن قدسـية لا يمكـن اختراقهـا لأي سـبب كان. نعـم أنـا مـع مـن يـرى أن نصـوص الشريعـة تتماشـى مـع كل زمـان ومـكان، ولكـن مـا أدراني أن تلـك النصـوص حقيقيـة أم مبتدعـة؟ كيـف أطمئـن لروايـة أو حديـث وكل المعطيـات تؤكـد أن هنـاك عمـل جبـار قـام بـه سياسـيون عظـماء وكبـار أعـاد بنـاء الأحـداث، ووضـع الشـكل النهائـي لهـا وفـق رؤيتـه وعقيدتـه التـي تجـد فيهـا مواطـن بعيـدة جـدا عـن جوهـر العقيـدة وروحهـا؟

مـن هنـا أرى أننـا اليـوم بحاجـة ماسـة لأن نعيـد أنسـنة النصـوص، التـي أصابهـا التوحـش ولونتهـا الغرابـة والغوايـة السياسـية والفرقيـة بالحـيرة، وأن ننزلهـا مـن هرميتهـا المصطنعـة، ونجعلهـا أقـرب إلى واقعنـا المعـاش، بعـد أن ننـزع عنهـا صفـة التاريخيـة العميقـة[2] التـي حولتهـا إلى حجـر اقتطـع مـن

---

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج١/ ٥٧.

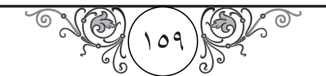
(٢) التاريخية العميقة: مصطلح من وضعي، صغته على غرار مصطلح الدولة العميقة التي تمثل

مـاضٍ سـحيق، لا يجـد لـه مكانـا في بنـاء الحـاضر. بدليـل أن الجميـع يريـدون الحفـاظ عـلى الوضـع كـما هـو عليـه، ولا تجـد بينهـم مـن يريـد التنـازل عـن هـذا الاعتقـاد بحثـا عـن الحقيقـة!.

إعادة بناء التاريخ

إن ممـا لا شـك فيـه أن كثـيرا مـن الأحـداث التاريخيـة الإسـلامية المهمـة أعيـد بناؤهـا وترتيـب أحداثهـا وتفسـير معانيهـا وفقـا لهـوى السـلطويين والحـكام والسياسـيين المتفعـين، ليـس بعـد مـوت النبي(صـلى الله عليـه وآلـه) فحسـب، بـل وحتـى أثنـاء وجـوده بينهـم مـن خـلال تناقـل شـفهي مفـبرك لبعـض الأحـداث، ممـا تسـبب بإربـاك كبـير في تاريخنـا بعدمـا اعتمـدت الأخبار المفبركـة باعتبـار أنهـا مـن أخبـار عـصر البعثـة، وممـا لا شـك فيـه أنـه يمكـن توصيـف الواقـع السـياسي الإسـلامي منـذ اللحظـات الأولى لمـوت رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) بأنـه: انجـازات عظيمـة وسـقوط شـديد، حيـث تجـد هنـاك مـن هـو ملكـي أكثـر مـن الملـك ومـن هـو متمسـك بالمـوروث خـيره وشره إلى درجـة التقديـس، ويسـعى لأن يوفـر لهـذا المـوروث أجـواءً ينشـط مـن خلالهـا في محاولـة منـه لوضـع منهجـه موضـع التطبيـق حتـى مـع علـم هـؤلاء أن كل تاريخنـا وأقولهـا بـلا خجـل يـكاد يكـون أكاذيـب غـير متفـق عليهـا.

مجموعة شبكات السلطة التي تعمل على حماية مصالحها السياسية والاقتصادية والمالية ضد أي تهديد محتمل، وتعمل على إبقاء الوضع على ما هو عليه بما يحفظ تلك المصالح المتشابكة.



إشكالية النص والتغيير

من الحقائق التي بحثتُ بشأنها طويلا، وخرجتُ بنتائج صحيحة، قُبلت أكاديميا، ونشرتُها في عدد من مؤلفاتي وبحوثي أن هناك في المجتمع الإسلامي الأول حراك سياسي معارض على مستوى عال من التنظيم والمهنية، كان فاعلا منذ الأيام الأولى للبعثة، واستمر وتطور مع اتساع حركة الإسلام، حتى أنه سبق الإسلام في بعض المراحل تنظيميا، وقد بلغ أوج تطوره في السنة الثامنة للبعثة حينما تمكن من تحشيد الأعراب وإرسالهم إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم، وليدخل من خلالهم إلى عمق المجتمع الإسلامي. وحينما تمكن واستمكن بدأ ببث الشائعات حول امكانية فتح مكة واحتمال ترحيب أهلها الكبير بهذا الفتح؛ الذي يمثل بالنسبة إليهم استمارة الانتماء إلى الإسلام والتحرك من بين صفوفه لتخريبه وتدميره، وهو ما حدث فعلا حينما سلموا مكة دون قتال، ومنذ عام الوفود وفتح مكة وقبول الطلقاء في المجتمع الإسلامي، تغيرت البوصلة إلى صالح السياسيين على حساب الإسلام.

وإن كان نشاط السياسيين في زمن البعثة فاعلا، فإنه تحول بعد موت النبي (صلى الله عليه وآله) إلى كيان مواز للإسلام ومتفوق عليه، والسبب أنه: «بموت محمد رجعت قوة الطرد المركزية القديمة لحياة العرب القبلية المستقلة الغيورة المغيظة التي لا تخضع إلى أي إدارة مركزية»[١]. وكان هذا أكبر تحشيد لقواهم ورؤاهم السياسية، دلت عليه الكثير من

(١) نتنج، العرب منذ العصر الجاهلي حتى عصر جمال عبد الناصر، ص٥٧.

الدلائـل، منهـا أن كل المـؤشرات تثبـت بـأن يـوم السـقيفة لم يكـن حدثـا فطريـا اعتباطيـا وليـد سـاعته ودون تخطيـط، فالسياسـيون كانـوا قـد أعـدوا خطـة طـوارئ كاملـة ومكونـة مـن عـدة صفحـات للتحـرك مـن خلالهـا؛ ابتـداءً مـن اتهامـه (صلى الله عليـه وآلـه) بالهجـر، مـرورا بالسـقيفة التـي كانـوا قـد أعـدوا لهـا خطبـا ومقـالات تناسـب الموقـف، ومـن ثـم اختيـار الخليفـة، والاغتيـالات السياسـية، والمقاطعـة السياسـية. وكل الـذي جـرى بعـد ذلـك وإلى يومنـا الحـاضر، كل ذلـك لم يكـن أمـرا اعتباطيـا!.

هـؤلاء السياسـيون ومعهـم عامـة المسـلمين إذا لم يكنـوا بمجموعهـم؛ فأغلبهـم كانـوا قـد حـضروا واقعـة غديـر خـم، واسـتوعبوا أحداثهـا كاملـة، وكان كل واحـد منهـم عـلى اسـتعداد لإعـادة سرد أحداثهـا بالتفصيـل الممـل، ومـع ذلـك سـكت العامـة ولم يتكلمـوا أو يعترضـوا، ولم ينوهـوا إلى مـا في ذاكرتهـم عـن الواقعـة، حتـى مـن سـئل منهـم عنهـا! كلهـم سـكتوا، وتركـوا للسياسـيين مهمـة إعـادة بنـاء الوقائـع وترتيـب الأمـور، ومـن أنبـه ضمـيره منهـم واعـترض فيـما بعـد نفـي بعيـدا أو قتلـه الجـن! وهـذا يعنـي أن هنـاك قـوة متمرسـة أكـبر منهـم جميعـا، هـي التـي كانـت توجـه الأحـداث وتتحكـم بهـا.

هنـا تجـدر الملاحظـة أن في تاريخنـا الكثـير مـن الوقائـع المهمـة والخطـيرة التـي تلاعـب بهـا السياسـيون، ليضمنـوا دوام حكمهـم وسـلامة كراسـيهم، وكانـت واقعـة الغديـر بـكل أبعادهـا إحـدى أهـم تلـك السـاحات، لأنهـا كانـت الميـدان الـذي خاضـوا فيـه أخطـر وأجـرأ وأغـرب نزالاتهـم مـن أجـل

إثبات أحقيتهم بالحكم والقيادة. وأنا هنا لا أريد تكرار ذكر روايات الغدير لأنها تخرج البحث عن غايته، ولكنني أريد التأكيد بما لا يقبل الشك أن الغدير واقعةً وأحاديثاً وروايات ومدونات وحركات وقصائد وأشعار، كلها حقيقة واقعة باعتراف جميع المسلمين، لأن أخبارها متواترة، إذ أحصى الأميني (رحمه الله) مائة وعشرة من الصحابة الذين رووا حديث الغدير[١]. وأحصى من التابعين ٨٤ تابعيا[٢]. وأحصى من طبقات الرواة ابتداء من القرن الثاني لغاية القرن الرابع عشر ٣٦٠ راوية[٣]. فضلا عن عدد كبير ممن ألَّفَ في الغدير، ولا أعتقد أن واقعة ما حظيت بكل هذه العناية مثل واقعة الغدير، ولكن هذه كلها لم تصمد أمام قوى التغيير والتصحيف والتحريف وفق منهج سياسي ناجح جدا، أدى واجبه على أحسن وجه، هذا المنهج المتطور كان مدعوما بمنهج آخر اعتمد سياسة تكميم الأفواه ومصادرة الآراء لأغراض سياسية بحتة. وحينما يجتمع المنهجان منهج المصادرة ومنهج التكميم تُقلب المفاهيم. وهذا يعني أن ما حدث في عام ١١ للهجرة لم يكن وليد ساعته، وأن هناك قوى هي التي تحكمت في تسيير الأمور وإعادة صياغة الأحداث. أما سكوت عامة المسلمين عن التحريف، فيعود إلى الخوف الشديد، لأن القوى السياسية كانت تحمل السيوف باسم الإسلام وتقتل باسم الحفاظ على وحدة

---

(١) الأميني، رواة الغدير من الصحابة والتابعين والعلماء، ص٣٠ـ ٤٩.

(٢) الأميني، رواة الغدير من الصحابة والتابعين والعلماء ص ٤٩ـ٥٩

(٣) المصدر نفسه، ص٦٠ـ ١٣٨.

المسلمين. ومنه يتضح أن كل التحريف الذي مورس ضد أغلب الوقائع؛ كان يمكن له أن يمر دون اعتراض، إلا واقعة الغدير لأنها أخذت بعدا استراتيجيا جعلها واحدة من أهم حقائق حياة المسلمين، لأنه يستحيل أن تنجح عملية تشويه تُجرى ضد حدث بلغ رواته المئات، لكن مع ذلك، مورست ضغوط شديدة، وأجريت عمليات إعادة بناء، واستخدم جيش جرار من الإعلاميين ووعاظ السلاطين والموظفين الحكوميين؛ الذين اوكلت إليهم مهمة تشويه الحقائق وتسويق الفكر السياسي ليحل محل الفكر الديني، ونجحوا فعلا في التغطية على وهج المناسبة بتفاهات يعرفون حجمها قبل غيرهم من الناس.

مصادرة الآراء بالقوة

لأن واقعة الغدير تمتاز بالقوى الداعمة التي أشرنا إليها، فقد تنوعت مضامين ضغوطات السياسيين المسلطة عليها، فهي بعد أن وضعت على دكة التشريح أمام المؤرخين الذين يحمل كل واحد منهم سلاحا يختلف عن سلاح غيره، يكتب به ما يروق له، طالما أن هدفه وغايته تختلفان عن غيره، بدأت تأخذ ظاهرا شكلا آخر يختلف عن جوهرها النقي. ونتيجة لهذا التحريف، تحولنا إلى أمة تاريخها «شخصي» أكثر منه «جمعي»، فالأمة الإسلامية تحولت من أمة اختارها الله لتقود الكون، إلى أمة خانعة لحكامها؛ الذين ينتسبون إلى أسر الحكم توارثي، حيث يأتي المؤسس فينجح في بناء مؤسسة أسرية حكومية تتيح له قيادة الأمة، وعندما يقرب موته، يوزع إمبراطورته على ورثته وخلفائه الذين سرعان ما يفقدونها، لتنشأ



غيرها سلالة حاكمة أخرى[1]. أما المتلقي؛ فكان تائها بين أكداس الرؤى والآراء والأحكام والقصص والروايات التي أنشأها المؤرخون الموظفون لدى السلطات، ودافعوا عنها دفاعهم عن قبائلهم وفرقهم وعقائدهم، وجيشوا الجيوش لحمايتها، قبالة الحجر على ما سواها، وتطبيق ذلك بالقوة التي تصل إلى القتل.

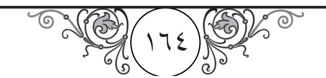
المصيبة أنه حتى مع مرور السنين والقرون، كانت تلك الرؤى غثها وسمينها تسموا في خيال الأتباع، وتزداد قدسية لتصبح فيما بعد أيقونة مقدسة لا يجوز مجرد التنويه عن أمر يعتريه الخطل موجود فيها، حيث سلاح التكفير مسلط على الألسن والرقاب، ليس الآن فحسب، بل منذ أزل تاريخنا الإسلامي، ومنه قصة رواية حديث أبي هريرة عند هارون الرشيد: «أن موسى لقي آدم، فقال له: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة؟ فقال رجل قرشي كان في المجلس: أين لقي آدم موسى؟! فغضب الرشيد، وقال: النطع والسيف، زنديق يطعن في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)[2] التي يبدو من خلالها أن القائل كان من وجوه الناس لا من عامتهم، بل من وجوه قريش تحديدا أي قريب للسلطة[3] ومع ذلك هُدد بالقتل، وهذا يعني أن رد الرشيد عليه يؤكد أنهم كانوا على استعداد

---

(١) ينظر: نتنج، العرب منذ العصر الجاهلي حتى عصر جمال عبد الناصر، ص١٣.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، باب الهاء، ج١٦/ ص١٢، والهروي، ذم الكلام وأهله، ج٤/ ص ٢٦٣، حديث: ١١٠٥.

(٣) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١٦/ ص١٢، ترجمة: ٧٢٩٩.



لقتل أي شخص يعترض سبيلهم مهما كانت منزلته!.

إن هذا الموقف الذي يبدو في ظاهره حرصا محمودا على السنة النبوية، كان الأتباع ولا زالوا يفتخرون به، ويعتبرونه من تعظيم السلف لسنة النبي، كان هو الحاكم في نتائج التاريخ الإسلامي، والمتحكم بما يدخل فيه وما يخرج منه، ولهم في ذلك الكثير من الأقوال التي تحولت إلى أحكام فقهية؛ بعد أن تحول إلى ثقافة دينية/ سياسية ممنهجة تمت بموجبها مصادرة الآراء وتغييب الحقيقة. أما مهمة المصادرة فقد تولاها رجال السياسة، فضلا عن فيلق السلطويين الداعم وموظفيهم الكبار ممن ضُخمت صورهم وتحولوا إلى رموز في ذلك المجتمع الذي غُيب ذكر المخلصين، وقُدِّم هؤلاء عليهم. تجدر الإشارة إلى أن منهج المصادرة الأصلي ليس من ابتداع هارون العباسي، لأن هناك قبل هارون سياسة كانت مطبقة منذ العقد الأول لما بعد البعثة، كانت تحكم الأفواه، وتصادر الآراء، وتتحكم بما يقال وما لا يقال، كانت بدايتها مع ساعات مرض النبي(صلى الله عليه وآله) حيث تم تجييش بعض الغوغاء وسوقهم كالقطيع إلى بيت النبي الذي كان قد طلب منهم ورقة وقلما ليكتب لهم (ما لن يضلوا بعده أبدا) أو تذكيرا بالغدير، فارتفع صوت: (أنت تهجر) أي لا تعي ما تقول، ودعم بقول: يكفينا القرآن وحده[1] ولا حاجة لنا بوصيتك،

(١) تخالف هذه المقولة ما صح عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) من أحاديث تبين أن السنة هي جزء من الوحي ويصح عليها ما يصح على القرآن، وأن النبي حثهم على رواية السنة لأنها شارحة ومقننة لأحكام القرآن، وتجد كل ذلك بالتفصيل الممل في كتاب الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري.

فكان إشارة للغوغاء ليثوروا ويعترضوا على هذا الرأي، فأغضبوا النبي، فطردهم من عنده، وقد وردت أحاديث هذه الواقعة في الأعم الأغلب من كتب الحديث، بكل أشكالها ومضامينها الحقيقية والمزيفة والمحرفة، وسأخرجها من صحيح البخاري الذي أوردها بصيغ عجيبة، وكرر ذكرها بشكل غريب في عدة أماكن من صحيحه دلالة على عميق أثرها عليه، وإصراره الكبير على تفكيكها وتضييع معناها، إذ رواها البخاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم، عن عبيد الله بن عبدالله، عن ابن عباس، قال: لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله) وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده». قال عمر: إن النبي غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا. فاختلفوا، وكثر اللغط. قال: «قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع»[1]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس في كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد[2]. وفي كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب[3]. وفي كتاب المغازي، باب مرض النبي ووفاته[4]. وفي باب قول المريض: قوموا عني[5]. وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنة،

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، ص٤٧، حديث: ١١٤، والعسقلاني، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١/ ص ٢٠٨، حديث: ١١٤.

(٢) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٦/ ص١٧٠.

(٣) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٦/ ص ٢٧٠-٢٧١، حديث: ٣١٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٨/ ص١٣٢، حديث: ٤٤٣١و ٤٤٣٢.

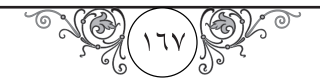
(٥) المصدر نفسه، ج١٠/ ص١٢٦، حديث: ٥٦٦٩.

بـاب كراهيـة الاختـلاف[1].

هنـا بالضبـط كانـت بدايـة مولـد منهـج التحريـف والتخويـف وتكميـم الأفـواه الرسـمي وليـس الواقعـي؛ لأن الواقعـي كان قـد ولـد قبـل هـذا التاريـخ. ثـم تطـور فيـما بعـد ليتحـول إلى سـلوك سـياسي عنيـف تسـبب بمـوت الكثـير وتشريـد آخريـن. فتحـت شـعار «حسـبنا كتـاب الله» ومقولـه «لا كتـاب مـع كتـاب الله» التـي ولـدت في اللحظـات التـي كان فيهـا رسـول الله(صـلى الله عليـه وآلـه) يصـارع المـوت، تـم العمـل عـلى تغيـير الأحـداث القريبـة، وتغيـير وقائعهـا وطمـس ملامحهـا، وخلـق ملامـح جديـدة لهـا، وأول وأهـم وأخطـر الأمـور التـي خضعـت لهـذا المنهـج كانـت قضيـة غديـر خـم التـي سـنت قانـون الحاكميـة الإسـلامي؛ لأن مـع بقـاء ذكرهـا، وتحـدث النـاس عنهـا سـوف تثـار الكثـير مـن الأسـئلة الخطـيرة، ومنهـا مسـائلة الحاكـم: مـن أيـن لـك حـق الجلـوس بهـذا المـكان وهـو مخصـص لغـيرك شرعـا وقانونـا؟ ولكـي يجنـب الحاكـم نفسـه مغبـة البحـث عـن جـواب مقنـع لهـذا السـؤال الخطـير بـدأ التفكـير الجـدي باسـتحداث منظومـة حديثيـة جديـدة تختلـف عـن المنظومـة التـي تركهـا لهـم النبي(صـلى الله عليـه وآلـه) وهـذا يعنـي أن الكثـير ممـا تركـه النبـي تعـرض إلى الضيـاع، بـل ضـاع فعـلا مـع الخطـوة التأسيسـية الأولى لمـشروع المصـادرة!. وسـعيا وراء تحكيـم دفاعـات المنهـج وضبطـه، كانـت هنـاك عـدة خطـوات مهمـة.

خطوات تطبيق المشروع

(١) المصدر نفسه، ج١٣/ ٣٣٦، حديث: ٧٣٦٦.





نظرا لسعته وخطورته وأهميته، لم يستقر مشروع التحريف على منهج واحد، وإنما جاء على شكل خطوات متكاملة، وصلت به فيما بعد إلى مرحلة الكمال، وهذا يدلل على تمكن السياسيين العرب من صنعتهم، وكانت أولى هذه الخطوات خطوة حرق السنة النبوية، بما فيها السنة التي أرخت واقعة الغدير.

١ـ حرق السنة

كان حرق السنة المكتوبة أول خطوات مشروع التحريف الخطير، أما واقعة الحرق فبالرغم من تأخرها، إلا أنهم حاولوا الرجوع بها إلى عصر البعثة، لتتحول من خطوة للتخريب إلى عمل يجيزه الشرع، وفي الأثر، عن أبي هريرة أن النبي حين سمع منهم ما يكتبونه غضب، وقال: «أكتاب غير كتاب الله؟ امحضوا كتاب الله، وأخلصوه». قال أبو هريرة: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد، ثم أحرقناه بالنار[1]. وقد فاتهم أن هذا الحديث يتعارض إلى درجة السقوط مع روايات تحدثت بعضها عن اجازة النبي لأتباعه أن يكتبوا السنة، وسعي البعض منهم لكتابتها بعد موت النبي، ففي الأثر: أراد الخليفة عمر بن الخطاب أن يكتب السنن، فاستشار فيها أصحاب رسول الله، فأشار عليه عامتهم بذلك!. بل إن الروايات تحدثت

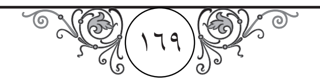
(١) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص١٠٥، حديث رقم ١٣. وتجدر الملاحظة أن أبا هريرة أسلم بعد فتح خيبر في السنة السابعة للهجرة، ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ص٤٩٨، وهذا يعني وفق هذا الحديث أنهم كانوا يكتبون السنة في الأقل على مدى سبع سنوات دون أن يفطن لهم النبي أو يعلم بذلك وهذا محال عقلا ومنطقا.



عن قيام الخليفة الأول أبا بكر بحرق ٥٠٠ حديث كانت عنده حينما استلم الخلافة، فلماذا لم يحرقها مع ما أحرق في ذلك اليوم، وخالف أمر النبي واحتفظ بها؟ إذ روت السيدة عائشة، أن أبا بكر جمع عن النبي خمسمائة حديث، ثم بات ليلته يتقلب، ولما أصبح قال: أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار، فحرقها، فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذاك[1]، وتدل هذه الواقعة على أمرين: الأول: كذب دعوى منع النبي لهم من كتابة السنة. والثاني: أن الحرق بدأ في هذا التاريخ بالذات وليس قبله.

أما الخطوة الأكبر والأخطر فتتمثل بقيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؛ الذي ادعى أنه يريد أن يكتب السنن، فاستشار فيها أصحاب رسول الله، فأشار عليه عامتهم بذلك، ولم يعترض أحد منهم بحجة أن رسول الله منع كتابتها، وأن عمر نفسه انتبه بعد شهر من ذلك وخاف أن يختلط ما كتبوه بكتاب الله، وليس بسبب منع النبي، فترك كتابتها، وقال: «إن أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً، فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً». الأهم في هذه الخطوة أنها جاءت مكملة لخطوة الحرق الأولى، إذ قام الخليفة عمر من فوره بإحراق جميع الكتب التي جُمعت فيها أحاديث النبي، فهو بعد أن بلغه أنه قد ظهر في أيدي الناس كتب، استنكرها وكرهها،

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١/ ص٥.





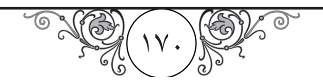
طلب منهم رؤيتها، فظنوا أنه يريد أن ينظر فيها ويقوّمها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار، ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب[1]. إن المنطق والعقل يثبت أن حرق السنة جاء لإخفاء المهم والخطير من السنن النبوية، ولاسيما روايات الغدير الصحيحة، وهو مع ذلك لم ينجح في محو أخبار خطيرة وصحيحة بقيت عالقة في أذهان المسلمين ولاسيما من حضر منهم واقعة الغدير، فاستحدثوا خطوة أخرى هي منع التحدث.

٢ـ منع التحدث بالسنة

فضلا عن الحرق، جاء منع التحدث بالسنة ليكمل المؤامرة، وكان أول من منع الناس من التحدث بالسنة هو الخليفة ابو بكر، عن ابن أبي مليكة أن ابا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم؛ وفي ابتداء خلافته، فقال: «إنكم تحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله، وحرموا حرامه»[2]. وجاءت الخطوة الثانية والأهم من قبل الخليفة الثاني الذي منع الكثير ومنهم أبا هريرة عن الرواية، بقوله: «لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس!» وفي رواية كعب: «لتتركن

(١) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٤٩، وابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥/ ص١٨٨.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ ج١ص٥.



الحديث أو لألحقنك بأرض القردة»[1]. هنا، لا يفوتنا التذكير أن أبا هريرة استوعب الدرس، وعرف عن ماذا يجب أن يتحدث، وعن ماذا يجب أن يسكت، فسُمح له بالتحدث بعد ذاك، وقد جاء أن عمر أذن له بعد ذلك في الحديث[2]. فضلا عن ذلك، حبس ثلاثة من رواة الحديث هم: ابن مسعود وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري؛ بعد أن قال لهم: «قد أكثرتم الحديث عن رسول الله»[3]. وهناك روايات أخرى ذكرت أن عمر حبس جماعة؛ منهم أبا هريرة، وقال: أقلوا الرواية عن رسول الله. وكانوا في حبسه إلى أن مات[4]. وهذا بمجمله مخالف لصحيح ما جاء عن النبي(صلى الله عليه وآله)، كما في الحديث عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «لعل أحدكم يأتيه حديث من حديثي وهو متكئ على أريكته، فيقول: دعونا من هذا، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[5]. وقوله(صلى الله عليه وآله): «نضر الله امرئٍ سمع مقالتي ووعاها فأداها كما سمعها، فرب مُبلغ أوعى من سامع»[6].

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ص٥٠١.

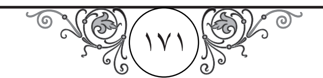
(٢) المصدر نفسه.

(٣) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١/ ص٧.

(٤) أبو يعلى، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ج/ ١ص١٥٩.

(٥) الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص١٩ـ٢٠، حديث: ٣.

(٦) البخاري، صحيح البخاري، ص٤٦، حديث: ١٠٧، والعسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١/ ص ١٩٩ـ٢٠٠، حديث: ١٠٧.



ويذكر أن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) على خلاف منهجهم كان يسعى إلى تبسيط المتداول ليفقه عامة الناس ما يقال، فهو من جهة كان يكتب الحديث في زمن البعثة، وقوله في ذلك مشهور ويتداولونه: «ما كتبنا عن رسول الله إلا القرآن وما في هذه الصحيفة»[1]. ومن جهة أخرى أمرهم في زمن خلافته بأن يحدثوا الناس بما يعرفون، ويدعون ما ينكرون، فقال: أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟[2]. علما أنهم يتداولون حديثا يتعارض كليا مع منهج المنع، والحديث عن عطاء بن رباح، عن أبي هريرة، عن النبي، قال: «من سئل عن علم عِلمهُ فكتمه، جاء يوم القيامة عليه لجام من نار»[3].

٣ـ منع كتابة السنة

هناك الكثير من الروايات التي أوردها الخطيب البغدادي تحت باب: ذكر الرواية عن رسول الله أدعي فيها أن النبي(صلى الله عليه وآله) نهى عن كتابة ما سوى القرآن، ناف عددها على التسع روايات تشترك كلها بنهي: «لا تكتبوا عني غير القرآن، فمن كتب عني غير القرآن فليمحه»[4]. ثم أورد الخطيب روايات من لم يأذن له النبي بالكتابة[5].

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١/ ص١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١٣.

(٣) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١/ ص٢ـ٣.

(٤) ينظر: الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص١٧ـ ٢١، الأحاديث: ١ـ٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٢ـ ٢٦، حديث: ١٠ـ ١٨.

وقد تولى الصحابة والتابعون الترويج لهذه الثقافة بعضهم كان مغرضا والآخر كان مخدوعا. أما أولي الأمر فهم حينما صنعوا الرواية التي تحدثت عن غضب النبي من الصحابة الذين كتبوا السنة وأمره لهم بمحوها، إنما أرادوا تسويق فكرة المنع حتى مع وجود إشارات كثيرة وصحيحة عن: ندم من مسح ما لديه: عن موسى بن عقبة، عن عروة بن الزبير، قال: كتبت الحديث ثم محوته، فوددت أني فديته بمالي وولدي وإني لم أمحه»[1]، وعن شعبة، قال منصور: وددت أني كتبت وأن علي كذا وكذا، قد ذهب عني مثل علمي»[2]. وعن انتشار كتابة السنة في زمن النبوة، وأنه(صلى الله عليه وآله) أمرهم بتقييد العلم بالكتاب وحثهم على ذلك، وأجاز من يريد أن يكتب، وأحاديثها كثيرة ذكرها الخطيب تحت عنوان «إباحة الرسول للكتاب[3] ومع هذا كانت بداية منع كتابة السنة قد بدأت مع بداية خلافة أبي بكر؛ الذي نهى عن كتابة الحديث من جهة، وانتشرت في عهدة روايات تعارض تلك الروايات التي أجاز لهم من خلالها رسول الله أي يكتبوا، ومنها: عن أبي سعيد الخدري، أن النبي، قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه». وقولهم: استأذنّا النبي في الكتابة فلم يأذن لنا»[4].

---

(١) الخطيب البغدادي، تقييد العلم، ص٦٤ـ٦٥، حديث: ٩١.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٥، حديث: ٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٧٣ـ ١٠٧، حديث: ١٠٣ـ ١٥٨.

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٨/ ص٢٩٤، حديث: ٢٦٦٤، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم.



ثلاث خطوات كانت في حقيقتها ثورة حقيقية ضد منجز ثلاثة وعشرين عاما من عمر البعثة، نجحت في تغييره وخلق منهج جديد تتبعه الأمة وتتعبد به، بل وتعترض على ما سواه، حتى وإن كان صحيحا!. وبقدر أهمية هذه الخطوات كان الحفاظ عليها مهما.

٤ـ سياسة الحفاظ على المنجز

الحفاظ على المنجز الجديد المصطنع وتسويقه، ومنع ذكر شيء من القديم الصحيح، كان همهم الشاغل، مع أنهم تأكدوا من نجاح خططهم وتمكنهم من إحداث التغيير المطلوب، واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث أي خرق، وكخطوة نهائية في مراحل تطبيق المشروع، وقف الخليفة الثالث عثمان بن عفان على المنبر، وقال: «لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر». وبعد هذا الأمر المشدد، سمح للصحابة أن يتفرقوا في الأمصار، في وقت احتاج الناس إلى الصحابة وخاصة صغارهم؛ بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوما بعد يوم، فاجتهد صغار الصحابة بجمع الحديث من كبارهم، فكانوا يأخذونه عنهم كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث[١]. وهكذا أسهم صغار الصحابة في تسويق منظومة الحديث المبتدعة الجديدة التي لا تجد لها ذكرا لواقعة الغدير إلا ما يتفق مع رؤى الحكام والسياسيين!.

وكخطوة تأكيدية داعمة ألزم معاوية في زمن حكمه الناس على رواية ما أجازه عمر دون غيره، عن ابن علية، عن رجاء بن أبي سلمة، قال:

(١) السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص٩٠.

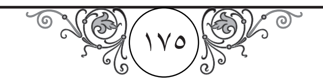
«بلغني إن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بما كان في عهد عمر، فإنه كان قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله»[1].

وبعد اكتمال المشروع ونجاح التغيير، بدأ التفكير الجاد في جمع السنة المبتكرة (الجديدة) بعد محاولات سياسية أموية من قبل ابن شهاب الزهري، الذي يبدو أنه أكره من قبل الأمويين على الكتابة لأنه كان متمسكا بقرارات منع الكتابة كما في قوله: كنا نكرهه حتى أكرهنا عليه الأمراء فلما أكرهونا عليه بذلناه للناس[2]. وربما لأنه كان يعرف أن ما سيكتبه لهم يختلف عن سنة النبي المعروفة.

تدوين السنة

وزيادة في الاحتياط ومنعا لأي خرق محتمل، واعتمادا على الراسب الاجتماعي المختلق؛ لم يبدأ التفكير الجدي في كتابة السنة المنظمة إلا بعد قرنين من الزمان، وتحديدا في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني، وحينها كان قد توفي جميع الصحابة وأغلب التابعين، ولا يوجد من له حق الحكم على رواية ما بالصحة أو الخطأ غير من أوكلت لهم مهمة ذلك العمل وهم موظفون لدى السلطة غالبا!. فضلا عن ذلك كانت السُّنة غالبا تروى بالمعنى لا بالنص الحرفي مما فتح الباب أمام طيف واسع من أنواع التحريف المتعمد أو غير المتعمد، أوجز ذلك نصر حامد

(١) التهانوي، مقدمة إعلاء السنن قواعد في علوم الحديث، ج١٩/ ص١٦٠.
(٢) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١/ ص٢٦٨.



أبـو زيـد بقولـه: «لم تـدون إلا متأخـرة، وخضعـت مـن ثـم لآليـات التناقـل الشـفهي، الأمـر الـذي يقربهـا إلى مجـال النصـوص التفسـيرية مـن حيـث أنهـا رويـت بالمعنـى لا بلفـظ النبـي[1]. بمعنـى أن كتابـة السـنة جـاءت بعـد كل تلـك الخصومـات الدمويـة التـي عصفـت بالعـالم الإسـلامي ابتـداء مـن رزيـة الخميـس إلى التخلـف عـن بيعة عـلي بـن أبي طالب(عليه السـلام) ولغايـة القرن الهجـري الثـاني، وهـي الخصومـات التـي قـال عنهـا أحمـد أمـين: «الخصومـة بـين عـلي وأبي بكـر، وبـين عـلي ومعاويـة، وبـين عبـد الله بـن الزبـير وعبـد الملـك، ثـم بـين الأمويـين والعباسـيين، كل هـذه كانـت سـبباً لوضـع كثـير مـن الحديـث»[2]. وقـد تركـت هـذه الخصومـات أثرهـا عـلى التاريـخ الإسـلامي وأعـادت تراتبيتـه ليصـب في صالـح السياسـيين، ولا صالـح أكثـر مـن تغييـب أخبـار بيعـة الغديـر والحديـث عنهـا بالقسـر والإكـراه!.

أثر منهج التخويف والمصادرة

إن حدثـا بحجـم غديـر خـم وأهميتـه وعـدد مـن حـضره وشـاهده وسـمع أحاديثـه جعلـه إشـكالية تحولـت إلى عقـدة كأداء أمـام مـن يبغـي معرفـة الحقيقـة، حيـث انقسـم المجتمـع إلى قسـمين، يـرى الأول في الغديـر تعيينـا رسـميا لخليفـة النبـي في قيـادة الأمـة. وجاهـد الثـاني ليقـضي عـلى هـذا التوجـه مدعيـا أن النبـي تـرك الأمـة همـلا بـلا راعٍ في محاولـة للبحـث عـن نظريـات جديـدة في الخلافـة. والأمـر المحير ليـس اختلافهـم في هـذه الحقيقـة وإنـما في

(١) أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص١١٧.

(٢) أمين، فجر الإسلام، ص٢٣٣.

السكوت المطبق الذي ران على الجميع، دون أن ينبري أحد ما معترضا علنا على ما يرى من تحريف ولاسيما أن واقعة مثل الغدير لا يمكن أن تمحى من الذاكرة الجمعية القريبة إلا من خلال عمل سلطوي جبار، فيسكتون ولا يعلنون الحقائق؛ وهم الذين رأوا بأم أعينهم كيف صُودرت الحقوق، وغُيرت السنن؟

إن الواقع أثبت أن حجة السياسيين لم تكن دامغة ناهضة، ولم تقنع الأمة، أو في الأقل عجزت عن إقناع طيف عريض من أبناء الأمة، بل هي سياسة القسوة والتخويف التي مورست، هي التي جعلتهم يسكتون. ثم بمرور الأيام تطبعت الجماهير على ما وجدته أمامها معتقدة أنه هو الصحيح، فصارت تتدافع نحوه، وتدافع عنه. لكن كيف تصرف السلطويون مع من خالفهم، وأراد تذكير الناس بصحيح السنة، ومن أيدهم وأخذ بصناعتهم؟

إن الإجابة عن الفرع الثاني من السؤال كانت في منتهى البساطة لأن العامة مثلما هو طبعهم على مر العصور، آثروا السلامة وأعلنوا الرغبة في الكسب فأجيبت رغباتهم، وتحولوا إلى قطيع يقوه السياسيون ويوجهونه أينما يريدون. أما الفرع الأول فإجابته تستوجب الغوص للبحث عن تعامل السلطة مع المعارضة، وكيف كانت المعارضة تتوجس الخوف من الحكام، فامتنعت على مضض عن التحدث، وهناك بهذا الصدد روايات كثيرة منها ما جاء، عن عطاء بن السائب، عن أَبِي البختري، قال: قال حذيفة: «لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم، قال: ففطن له

شـاب، فَقَـالَ: مـن يصدقـك إذا كذبـك ثلاثـة أثلاثنـا، فَقَـالَ: إن أصحـاب محمـد (صلى الله عليـه وآلـه)، كانـوا يسـألون رسـول الله عـن الخـير، وكنـت أسـأله عـن الـشر، قـال: فقيـل لـه: مـا حملـك عـلى ذلـك، فقـال: إنـه مـن اعـترف بالـشر وقـع في الخـير». بمثـل هـذه الأقـوال مهـد حذيفـة بـن اليـمان أمـين سر رسـول الله(صلى الله عليـه وآلـه) لقولـه الكاشـف الـذي ورد عـن أبي هـلال، عـن قتـادة: قـال حذيفـة: «لـو كنـت على شـاطئ نهـر، وقد مـددت يدي لأغـترف، فحدثتكـم بـكل مـا أعلـم، مـا وصلـت يـدي إلى فمـي حتـى أقتـل». وفي روايـة أخـرى: «لـو كنـت عـلى شـاطئ نهـر، و قـد مـددت يـدي لأغـترف، فحدثتكـم بـكل مـا أعلـم، مـا وصلـت يـدي إلى فمـي حتـى أقتـل»[١]. وإذا مـا كانـت هنـاك بعـض التحفظـات عـلى حذيفـة؛ الـذي لم يكـن متوافقـا مـع الحـكام، فـإن أبـا هريـرة المشـهور بولائـه للسياسـيين والحـكام وتعاونـه معهـم وسـيره في ركابهـم، كان قـد أشـار هـو الآخـر إلى مقـدار الإرهـاب والرعـب الـذي كان يشـعر بـه كل مـن يريـد روايـة خـبر يخالـف رغبـات الحكام، قـال ابن أبي ذيـب: عـن سـعيد المقـبري، عـن أبي هريـرة أنـه قـال: «حفظـت مـن رسـول الله وعاءيـن فأمـا أحدهمـا فبثثتـه في النـاس، وأمـا الآخـر فلـو بثثتـه لقطـع هـذا البلعـوم[٢]. كـما قـال: «لـو أخبرتكـم أنكـم تقتلـون إمامكـم وتقتتلـون فيـما بينكـم بالسـيوف لمـا صدقتمـوني»[٣]. وقولـه الخطـير، عـن محمـد بـن عجـلان،

(١) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٥/ ص٥٠٨، ترجمة: ١١٤٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، ص٤٨، حديث: ١٢٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ص٥٠١.

أن أبا هريرة كان يقول: «إني لأحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشج رأسي». وعن الزهري، عن أبي سلمة: سمعت أبا هريرة يقول: «ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله حتى قبض عمر». وعن معمر، عن الزهري، قال: قال عمر: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به، قال: ثم يقول أبو هريرة: «أفكنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذا لأيقنت أن المخفقة ستباشر ظهري، فإن عمر كان يقول: اشتغلوا بالقرآن فإن القرآن كلام الله»[1]. وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة، «قلت له: أكنت تحدث في زمان عمر هكذا؟ فقال: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته»[2]. ولهذا لما بعث عمر جماعة منهم إلى العراق، قال لهم: «إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث فيشغلونكم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن رسول الله»[3]. وهي دعوة صريحة إلى منع التحدث بالسيرة لأن الحديث سيمتد ليروي قصص الغدير وهذا ما يخافون منه!.

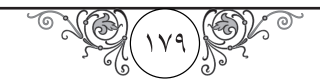
محاولات التحدي

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨/ ص٥٠٠، والفيصل، الحلقة المفقودة والدين المختطف التساؤلات المحرمة في التاريخين العربي والإسلامي الروايات المسكوت عنها في التاريخ العربي، ص٢٠٧.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج١/ ص١١ـ١٢.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج١/ ص١٨٣، حديث: ٣٤٧.



الظاهر أن قبالة الخنوع والسكوت الجمعي، كان هناك من أراد أن يبرء ذمته بقول ما يجب قوله والعمل على فضح التحريف، بعد أن شعر بالتقصير الذي ترتب على سكوته، ومن ذلك موقف الصحابي أبي بن كعب؛ الذي هدد بفضح المستور بعدما رأى ما صنع الانحراف بالدين والأمة، وبعد أن عرف أن وراثية الحكم بتلك الصيغة التي تمت بموجبها ليس من تفرعات العقيدة، وان تحكم الطلقاء بمقاليد الأمة سيوردها المهالك، وأن العودة إلى بنود واقعة الغدير هو الحل الأمثل، فأراد التوبة والتحدي بإشهار الحقيقة وإعلانها، فضرب لهم موعدا، وقال مقولته المشهورة: «لأقولن قولا لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني»[1]. ولأهمية هذه الحادثة لا بأس في ذكرها، فالمعروف أن بعض الصحابة كانوا يعرفون الخطوط الرئيسة للعبة السياسة التي كانت تخطط لاستلام الحكم بعد موت النبي، وحذف واقعة الغدير والبيعة من فكر الأمة ومن تاريخا ومن عقيدتها وموروثها، وكان من هؤلاء العارفين حذيفة بن اليمان وأبي بن كعب، وقد جاء عن البراء بن عازب إنه كان في جماعة منهم المقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وأبو ذر وحذيفة والهيثم بن التيهان؛ وذلك بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله). وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به، والله ما كَذبت ولا كُذبت. وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين. ثم قال: ائتوا أبي بن كعب. فقد علم كما علمت، قال: فانطلقنا إلى أبي. فضربنا عليه

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٣/ ص ٥٠١.

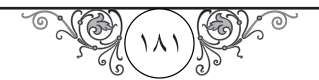
بابه؛ حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: افتح عليك بابك، فإن الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب، قال: ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفت ما جئتم له، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم، فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم، قال: فالقول ما قال، وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجري على ما هي جارية، ولما يكون بعدها شر منها، وإلى الله المشتكى[1]. وعن الحسن، قال: أخبرنا عتي بن ضمرة، قال: قلت لأبي بن كعب: ما لكم أصحاب رسول الله نأتيكم من البعد نرجو عندكم الخبر أن تعلمونا، فإذا أتيناكم استخففتم أمرنا كأنا نهون عليكم؟ فقال: والله لأن عشت إلى هذه الجمعة لأقولن فيها قولا لا أبالي استحييتموني عليه أو قتلتموني. فلما كان يوم الجمعة من بين الأيام أتيت المدينة فإذا أهلها يموجون بعضهم في بعض في سككهم فقلت: ما شأن هؤلاء الناس؟ قال بعضهم: أما أنت من أهل هذا البلد؟ قلت: لا، قال: فإنه قد مات سيد المسلمين اليوم أبي بن كعب! قلت: والله إن رأيت كاليوم في الستر أشد ما ستر هذا الرجل[2]. وفي الطبقات أيضا: «فلما كان يوم الخميس، خرجت لبعض حاجتي، فإذا السكك غاصة من الناس لا أجد سكة إلا ويلقاني فيها ناس، قال: قلت: ما شأن الناس؟»[3] وكان ذلك في زمن خلافة عثمان

---

(١) الجوهري، السقيفة وفدك، ص٧٦ـ ٧٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣/ ص٥٠٠ـ ٥٠١، والجوهري، السقيفة وفدك، ص٧٧ـ٧٨.

(٣) ابن سعد، ج٣/ ص٥٠٢.



مع أن هناك من أراد تقديم موته الى زمن خلافة عمر. قال محمد بن عمر: هذه الأحاديث في موت أبيٍّ على أنه مات في خلافة عمر فيما رأيت أهله وغير واحد من أصحابنا يقولون سنة ثنتين وعشرين بالمدينة، وقد سمعت من يقول: مات في خلافة عثمان سنة ثلاثين، وهو أثبت هذه الأقاويل عندنا، وذلك أن عثمان بن عفان أمره أن يجمع القرآن[1]. وحتى مع وجود الكثير من الإشارات التي تدل على وجود قطع في هذه الروايات إلا أن أبي بن كعب لم يمت ميتة طبيعية وهناك دلائل على أنه قتل، وربما قتلته الجن مثل غيره، ليسكت ولا يفضح المستور!.

مصير من لم يقتل

وقد اشتد التضييق على من يعترض على سياستهم أو ينوه بالاعتراض، وأخذ سبلا كثيرة وخطيرة؛ إلى درجة أنهم خرجوا على المتداول المألوف عندهم، مبتدعين قواعد فقهية جديدة وغريبة، مثل ترك حديث من يعترض، لمجرد أنه انتقد من اعتبروهم (السلف المعصوم) مثلما وقع لعمرو بن ثابت؛ الذي قوطع وتُرك حديثه الصحيح بحجة أنه كان يسب السلف[2]. ومثل تجويزهم هجران المعترض فوق ثلاث، خلافا لما هو متعارف عليه، ومن ذلك قول النووي: «فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السُّنة مع العلم، وأنه يجوز هجرانه دائمًا، أما النهي

(١) المصدر نفسه، ج٣/ ٥٠٢.

(٢) الزهراني، تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص٣٧.

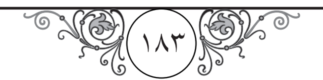
عن الهجران فوق ثلاثة أيام، فإنما هو فيمن هُجِر لحفظ نفسه ومعايش الدنيا، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائما.. وهذا الحديث مما يُؤيِّده مع نظائره له، كحديث كعب بن مالك وغيره»[1].

وفق هذه القواعد الغريبة انتشرت ثقافة الهجران لإسكات المعترضين وإرهابهم، ومن ذلك ما جاء عن أبي قتادة، قال: كنا عند عمران بن حصين في رهطٍ منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الحياء خيرٌ كلُّه» أو قال: «الحياء كلُّه خير»، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقارا لله، وفيه ضعف. فغضب عمران حتى احمرت عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله وتُعارِضُ فيه؟ وهو ما دفع ابن حجر إلى القول: «وفي الحديث جواز هجران من خالف السُّنة وترك كلامه، ولا يدخل ذلك في النهي عن الهجر فوق ثلاث؛ فإنه يتعلق بمن هُجِر لِحَظِّ نفسه»[2]. أما السبب الذي دعاهم إلى التنقيب عن مثل هذه التخريجات الغريبة، فهو حديث صحيح ينهى عن هجران المسلم للمسلم فوق ثلاث، فقد صح عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: «لا يحل لرجل أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[3]. وبالتالي أجد أن اجتهادهم الخاطئ

(١) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج١٣/ ص١٠٦

(٢) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٩/ ص٦٠٨.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، ص١٠٩٦، حديث: ٢٥٦٠.



هذا ليس التزاما بالسنة بقدر كونه وسيلة للالتفاف عليها، وتجريدها من مضامينها، بما يخدم التوجهات الفئوية.

وفي رواية أخرى عن قتادة، قال: «حَدَّث ابن سيرين رجلاً بحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال رجل: قال فلان كذا وكذا. فقال ابن سيرين: أحدثك عن النبي، وتقول: قال فلان كذا وكذا؟! لا أكلمك أبدًا». وعن حبيب بن أبي ثابت، قال: «كنا عند سعيد بن جبير، فحدَّث بحديث، فقال له رجل: من حدثك هذا، أو ممن سمعت هذا؟ فغضب ومنعنا حديثه حتى قام»[1]. وهذا يدل على تفشي ظاهرة المقاطعة والتلويح بها بوجه كل من يعترض. وهم وفقا لذلك وضعوا قاعدة تبيح التأديب بالهجران مثلما يتضح من رواية سالم بن عبد الله بن عمر أن أباه عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها»[2]، قال: فقال بلال بن عبد الله[3]: والله لنمنعهن. فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًّا سيئا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أُخبرك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقول: والله لنمنعهن؟[4]. وفي شرحه لهذه الرواية قال ابن حجر: «أُخذ من إنكار عبد الله على ولده تأديب المعترِض على السنن برأيه،

---

(١) الدارمي، المسند الجامع، ص١٧٧، حديث: ٤٤٥.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ص٢٢٠، حديث: ٤٤١و٤٤٢.

(٣) بلال بن عبد الله: هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، ص٢٢٠، حديث:٤٤٢/ ١٣٥.

وجواز التأديب بالهجران، فقد وقع في رواية أبي نجيح عن مجاهد عند أحمد «فما كلَّمه عبد الله حتى مات»[1]. ومثله عن عبد الله بن مغفل، قال: نهى النبي (صلى الله عليه وآله) عن الخذف[2]، فقال رجل لعبد الله بن مغفل: وما بأس هذا؟ فقال: إني أحدثك عن رسول الله، وتقول هذا؟ والله لا أكلمك أبداً[3]. ومثله عن أبي المخارق قال: ذكر عبادة بن الصامت أن النبي (صلى الله عليه وآله) نهى عن درهمين بدرهم، فقال فلان: ما أرى بهذا بأسا، يدا بيد. فقال عبادة: أقول قال النبي، وتقول: لا أرى به بأسا؟ والله لا يظلني وإياك سقف أبدا[4].

وإيغالا في نشر ثقافة الهجران والمقاطعة، جاء عن عطاء بن يسار أن رجلا باع كسرة من ذهب أو وَرِقٍ بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يُنهى عن مثل هذا إلاّ مثلاً بمثل. فقال الرجل: ما أرى بمثل هذا بأسا. فقال أبو الدرداء: من يعذرني من فلان؟ أُحدثه عن رسول الله ويخبرني عن رأيه؟ لا أُساكِنُكَ بأرض أنت بها[5]. وفي حادثة أخرى جاء عن الأعرج، قوله: سمعت

(١) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٢/ ص ٣٤٩.

(٢) الخَذْفُ: رميك حصاة، أو نواة تأخذها بين سبابتيك، أو تجعل مِخذَفة من خشَبة ترمي بها بين إبهامك والسبابة.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ص١٠٠٤، حديث: ٥٤٧٩، ومسلم، صحيح مسلم، ص٨٧٣، حديث ١٩٥٤، وابن بطة، الإبانة، ج١/ ص٢٥٩، حديث: ٩٦.

(٤) السندي، سنن ابن ماجة، ج١/ ص٤١٤.

(٥) ابن بطة، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ج١/ ص٢٥٧ـ٢٥٨، حديث: ٩٤.

أبا سعيد الخدري يقول لرجل: أتسمعني أحدِّث عن رسول الله أنه قال: «لا تبيعوا الدينار بالدينار والدرهم بالدرهم إلا مثلاً بمثل، ولا تبيعوا منها عاجلاً بآجل» ثم أنت تفتي بما تفتي. والله لا يؤويني وإياك ما عشت إلا المسجد[1].

منه يتضح أن أسلوب الهجران والإهمال والمقاطعة كان أحد الأسلحة المهمة التي شُهرتْ بوجه من يبغي التصحيح او الاعتراف بالحقيقة، وأن أغلب تلك الأحاديث لم تكن كما وصلتنا لأنه يستحيل أن يهجر المسلم مسلما لأمر يمكن إرشاده إلى ما هو أصح منه! وحينما يبدو الهجر مخالفا للمألوف لابد وأن تكون هناك قواعد فقهية تجيزه وتشرعنه بل وتدعمه بخطوات أخرى أشد من الهجران نفسه، مثل التعزير!.

القتل تعزيرا

من المنهجين كلاهما، منهج التصحيح ومنهج التشكيك، استنبطوا قواعد فقهية أباحت لهم هجر وتعزيز المعترض سواء كان اعتراضه عبثيا أم علميا، ومنه قول النووي: «فيه تعزير المعترض على السُّنة والمعارض لها برأيه[2]. وفقا لذلك تجد هناك الكثير من الروايات التي تحث على التعزيز، والتعزيز المقصود هو القتل بالتأكيد، منها: قال أبو السائب:

(١) ابن بطة، الإبانة، ج١/ ص٢٥٩، حديث: ٩٥.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٤/ ص١٦٢.

كنا عند وكيع، فقال لرجل عنده مِمَّن ينظر في الرأي: أشعرَ[1] رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال الرجل: فإنه قد رُوي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الإشعار مُثلة. قال: فرأيت وكيعا غضب غضبا شديدا وقال: أقول لك قال رسول الله وتقول: قال إبراهيم؟ ما أحقك بأن تُحبس، ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا[2]. وقال الحاكم: سمعته -يعني أبا بكر الصبغي- وهو يخاطب فقيهًا، فقال: حدِّثونا عن سليمان بن حرب، فقال له: دعنا مَن حدَّثنا إلى متى حدَّثنا وأخبرنا؟ فقال: يا هذا، لست أشمُّ من كلامك رائحة الإيمان، ولا يحلُّ لك أن تدخل داري، ثم هجره حتى مات[3]. وقال أبو الحسين الطبسي: سمعت أبا سعيد الأصطخري يقول: وجاءه رجل وقال له: أيجوز الاستنجاء بالعظم؟ قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: هو زاد إخوانكم من الجن. فقال له: الإنس أفضل أم الجن؟ قال: بل الإنس. قال: فلِمَ يجوز الاستنجاء بالماء وهو زاد الإنس؟ قال: فنزا عليه وأخذ بحلقه وهو يقول: يا زنديق، تُعارض رسول الله؟ وجعل يخنقه، فلولا أني أدركته لقتله»[4].

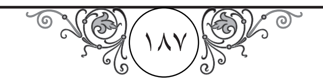
ويعني هذا أن سياسة التكميم قديمة، تعود بداياتها إلى الأيام الأولى لموت رسول الله، قال ابن القيم في تعليقه على هذه الرواية وهذا الفعل: «ولقد

(١) الإشعار: هو أن يشق أحد جني سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تعرف بها أنها هدي.

(٢) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ج٣/ ص٢٥٠.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١/ ص٣٦٧.

(٤) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج١/ ص٣٣٤.



حكم عمر بن الخطاب على من قدَّم حُكمه على نص الرسول بالسيف، وقال: هذا حُكمي فيه»[1].

رهبة منظومة التخويف

يتبين مما تقدم أن منظومة التحريف والتبديل دُعمت بمنظومة تخويف تاريخية، ولدت في وقت متقدم من عمر الإسلام، يكاد يكون بعد موت النبي(صلى الله عليه وآله) مباشرة، وكانت لهذه المنظومة هيكلية شرسة تتألف من الحاكم نفسه، ووزرائه ومعاونيه وقادة جنده، ووعاظ السلاطين من موظفيه، والفقهاء وأئمة الجوامع والجمع، والكتاب والمؤرخين وأهل السنن والصحاح وأخيرا رجال الشرطة، ومثل هكذا منظومة لا يمكن بل يستحيل اختراقها، في وقت يمكنها من خلال تجمعها الفريد أن تتحول إلى قدرة هدم وإعادة بناء جبارة. الغريب أن هذه المنظومة ازدادت قوة بمرور الأيام، وازداد تأثيرها بتغير النظم والأحكام، ففرضت تكميما صارما على الأفواه والعقول وحتى العقائد، تمكن من تحريف الحقائق ونشر أكاذيب وتفاهات، لا تجد من يرد عليها خوف التعزير! الذي يعرفوه بأنه: العقوبة المشروعة بغرض التأديب على معصية أو جناية لا حد فيها ولا كفارة، أو فيها حد، لكن لم تتوفر شروط تنفيذه، كالقذف بغير الزنا، وكالمباشرة في غير الفرج، وغير ذلك، فلا يقوم بتعزير المذنب إلا الحاكم أو السيد الذي يعزر رقيقه، أو الزوج الذي يعزر زوجته،

(١) المصدر نفسه.

والمعلم في تأديب الصبيان، والأب في تأديب ولده الصغير. وقد وضعت قواعد التعزير بعد عصر البعثة بزمن طويل، حينما قسموا العقوبات في الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أنواع: القصاص: في جرائم القتل والتعدي على الأطراف والجنايات. والحدود: وهي العقوبات المقدرة شرعا: كحد الزنى، وحد السرقة، ونحوهما. والتعزير: وهو التأديب على ذنوب لم تشرع فيها الحدود[1].

إن التعزير في واقعه نافذة لإيقاع العقوبات بأنواعها بما فيها القتل اجتهادا، فهم حتى مع ادعائهم أن «الأصل أنه لا يبلغ بالتعزير القتل، وذلك لقول الله تعالى: (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)[2] وقول النبي (صلى الله عليه وآله): «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» إلا أن بعض الفقهاء أجازوا القتل تعزيرا في جرائم معينة بشروط مخصوصة[3].

معطيات الواقعة ومنهج التحريف

لا أريد تكرار ما ذكر عن واقعة الغدير ولا التذكير باتفاق المدارس الفقهية على وقوعها، لكن لابد من تحديد مخرجاتها لاستنباط قواعد حوار علمي غير متحيز عسى أن نستشف من خلاله مقدار التغيير الذي تعرض له التاريخ:

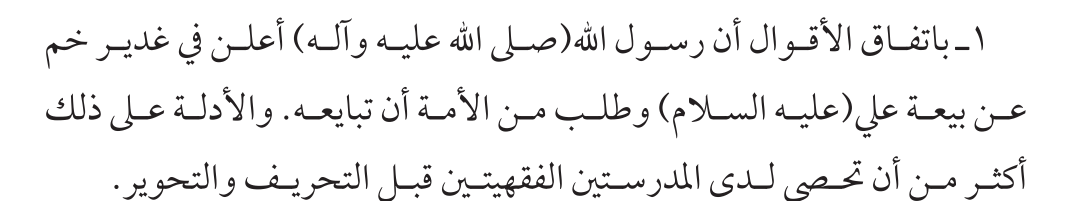
---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية ص/ ٢٣٦.

(٢) الأنعام/ ١٥.

(٣) السقاف، الموسوعة الفقهية، ج١٢/ ص٢٦٣.





١ـ باتفاق الأقوال أن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أعلن في غدير خم عن بيعة علي(عليه السلام) وطلب من الأمة أن تبايعه. والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى لدى المدرستين الفقهيتين قبل التحريف والتحوير.

٢ـ أن الحدث وقع بعد العودة من الحج، وليس اثناء الحج ولا قبله ولا في الطريق إليه، مثلما أرادوا أن يصوروا الواقعة ليحرفوها عن مقاصدها. والروايات التي تثبت هذه الحقيقة مستفيضة لدى المدرستين لا داعي لذكرها.

٣ـ أن آية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[١]، نزلت بعد المبايعة وليس قبلها، وفي منطقة غدير غم وليس في مكان آخر. ولكن هناك من ادعى بأنها نزلت في موسم الحج في محاولة منهم لفصلها عن واقعة الغدير، ومنه قولهم: قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم) نزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، والنبي (صلى الله عليه وآله) واقف بعرفات على ناقته العضباء. ولهم في ذلك أحاديث جمة منها: عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود[٢] إلى عمر بن الخطاب، فقال: «يا أمير المؤمنين، إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال: أي آية هي؟ قال: اليوم

---

(١) المائدة:٣.

(٢) جميع الروايات التي أوردها الطبري والطبراني ومسدد، ذكرت أن هذا اليهودي هو كعب الأحبار.

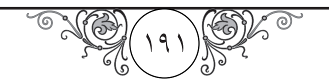
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، فقال عمر: والله، إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله والساعة التي نزلت فيها عشية يوم عرفة، في يوم جمعة»[1]. وعن عمار بن أبي عمار، قال: قرأ ابن عباس هذه الآية ومعه يهودي: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) فقال اليهودي: لو نزلت هذه الآية علينا في يوم لاتخذناه عيدا، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في عيدين اتفقا في يوم واحد: يوم جمعة؛ وافق ذلك يوم عرفة[2].

٤ـ أن هناك من ركز على بعض الكلمات الواردة في الآية والحديث لكي يعمي على قلوب وعيون المتلقين، وقد برزت ثيمتان في هذا المعنى الثيمة الأولى تفسيرهم لمعنى الموالاة؛ الذي سار بطريقين: الأول قولهم: إن الحديث لا يخص الغدير، بل واقعة أخرى كما في قولهم: «فذكر أنه لما بعث الرسول (صلى الله عليه وآله) علياً إلى اليمن كثرت الشكاة عنه، وأظهروا بغضه، فأراد النبي أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته، فقال: ومن كنت مولاه فعلي

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٢/ ص١٦، تفسير سورة المائدة، والنيسابوري، أسباب النزول، ص١٠٤ وطبعا ذكر النيسابوري قبل أن يورد الروايات قول: نزلت هذه الآية يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي بعرفات على ناقته العضباء، فأنظر إلى دقة التفاصيل بينما نجدهم ينسون واحدة من ثلاث وصايا أوصاهم بها نبيهم وهو على فراش الموت!

(٢) النيسابوري، أسباب النزول، ص١٠٥.



مـولاه اللهـم وال مـن والاه وعـاد مـن عـاداه»[1].

والثـاني أن معنـى القـول لا يعنـي الولايـة الشرعيـة، وإنـما يـدل عـلى معـان أخـرى، ومنـه قولهـم: «اختلـف أهـل العلـم في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿الْيَـوْمَ أَكْمَلْـتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ﴾ عـلى خمسـة أقـوال، قـال ابـن الجـوزي: «وفي معنـى إكـمال الديـن خمسـة أقـوال: أحدهـا: أنـه إكـمال فرائضـه وحـدوده، ولم ينـزل بعـد هـذه الآيـة تحليـل ولا تحريـم. قالـه السـدي، فعـلى هـذا يكـون المعنـى: اليـوم أكملـت لكـم شرائـع دينكـم. وهـذا مـا كذبـه الشـعبي بقولـه: كـمال الديـن هاهنـا: عـزه وظهـوره، وذل الـشرك ودروسـه، لا تكامـل الفرائـض والسـنن، لأنهـا لم تـزل تنـزل إلى أن قبـض رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه)، فعـلى هـذا يكـون المعنـى: اليـوم أكملـت لكـم نـصر دينكـم. والثـاني: أنـه بنفـي المشركـين عـن البيـت، فلـم يحـج معهـم مـشرك عامئـذ، قالـه سـعيد بـن جبـير، وقتـادة. والثالـث: أنـه رفـع النسـخ عنـه، وأمـا الفرائـض فلـم تـزل تنـزل عليـه حتـى قبـض، روي عـن ابـن جبـير أيضـا. والرابـع: أنـه زوال الخـوف مـن العـدو، والظهـور عليهـم، قالـه الزجـاج. والخامـس: أنـه أمـن هـذه الشريعـة مـن أن تنسـخ بأخـرى بعدهـا، كـما نسـخ بهـا مـا تقدمهـا[2] قالـوا هـذا حتـى مـع اعتقادهـم أنـه ليـس في هـذه الآيـة أي دليـل عـلى أنـه لم ينـزل بعدهـا حكـم شرعـي آخـر، وحتـى مـع وجـود روايـات تؤكـد أنهـا

(١) النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ١١٥ حديث: ٩٧، والبيهقي، السنن الكبرى، ج٥/ ص١٣٦.

(٢) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج١/ ص٥١٣-٥١٤.

لم تكن الأخيرة، وهناك آيات غيرها نزلت بعدها، ومنها عن البراء بن عازب، قال: «آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت (يَسْتَفْتُونَكَ)[1]. وقول عمر: «إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وإن رسول الله قبض ولم يفسرها»[2]، ومثله عن ابن عباس[3]. وعن ابن شهاب الزهري: «آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدَين»[4]. وهذا يدل دلالة كبيرة على أنهم لم يكونوا متأكدين مما يصرحون به وألا ما كانوا ليختلفوا بشأنه إلى هذا الحد؛ الذي دفع الطبري والعسقلاني إلى السعي وراء تجميع الأقوال وترتيبها بغية الوصول إلى نتيجة مقنعة، فالطبري، قال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيه والمؤمنين به، أنه أكمل لهم يوم أنزل هذه الآية على نبيه دينَهم، بإفرادهم بالبلدَ الحرام وإجلائه عنه المشركين، حتى حجَّه المسلمون دونهم لا يخالطهم المشركون. فأما الفرائض والأحكام، فإنه قد اختلف فيها: هل كانت أكملت ذلك اليوم، أم لا؟[5]. أما العسقلاني، فقال: « قوله سبحانه (اليوم أكملت لكم دينكم) ظاهره يدل على أن أمور الدين كملت عند هذه المقالة، وهي قبل موته(صلى الله عليه وآله) بنحو ثمانين يوما، فعلى

(١) البخاري، صحيح البخاري، ص٨١٤، حديث:٤٦٠٥، ومسلم، صحيح مسلم، ص٧١٤، حديث ١٦١٨.

(٢) ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، ج١/ ص٣٦١، حديث: ٢٤٦.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ص٨٠٠، حديث: ٤٥٤٤.

(٤) أبو عبيد، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، ج١/ ص٣٦٩.

(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٦/ ص٤٣٧.

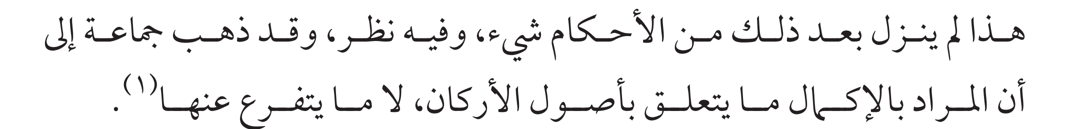
هـذا لم ينـزل بعـد ذلـك مـن الأحـكام شيء، وفيـه نظـر، وقـد ذهـب جماعـة إلى أن المـراد بالإكـمال مـا يتعلـق بأصـول الأركان، لا مـا يتفـرع عنهـا[1].

أمـا الكلمـة الأخـرى التـي أرادوا مـن خلالهـا تشـتيت تركيـز المتلقـي فهـي جملـة (اللهـم وال مـن والاه)، التـي اعتبروهـا شـبهة مـن شـبه مدرسـة أهـل البيـت، جاهـدوا لردهـا وفـق نفـس منهـج الخـلاف في آيـة الإكـمال، ومنـه قـول ابـن حجـر الهيثمـي في رده عـلى مـا أسـماه الشـبهة الحاديـة عـشرة: «قالـوا فمعنـى المـولى الأولى، أي فلعـلي عليهـم مـن الـولاء مالـه عليهـم منـه، بدليـل قولـه ألسـت أولى بكـم؛ لا النـاصر، وإلا لمـا احتـاج إلى جمعهـم، كذلـك مـع الدعـاء لـه، لأن ذلـك يعرفـه كل أحـد. وجـواب هـذه الشـبهة التـي هـي أقـوى شـبههم يحتـاج إلى مقدمـة وهـي بيـان الحديـث ومخرجيـه وبيانـه أنـه حديـث صحيـح لا مريـة فيـه، وقـد أخرجـه جماعـة كالترمـذي والنسـائي وأحمـد، وطرقـه كثـيرة جـدا، ومـن ثـم رواه سـتة عـشر صحابيـا وفي روايـة لأحمـد أنـه سـمعه مـن النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) ثلاثـون صحابيـا، وشـهدوا بـه لعـلي لمـا نـوزع أيـام خلافتـه وكثـير مـن أسـانيدها صحـاح وحسـان ولا التفـات لمـن قـدح في صحتـه، ولا لمـن رده بـأن عليـا كان باليمـن، لثبـوت رجوعـه منهـا وإدراكـه الحـج مـع النبـي، وقـول بعضهـم: إن زيـادة اللهـم وال مـن والاه الـخ موضوعـة مـردود، فقـد ورد ذلـك مـن طـرق صحـح الذهبـي كثـيرا منهـا[2].

ولكنـه بعـد كل هـذا التصريـح أورد الحديـث، ونأخـذ منـه موضـع الإشـارة:

(١) العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج١٣/ ص٢٤٦.

(٢) الهيثمي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ج١/ ص ٤٨-٤٩.



«قال الهيثمي: ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا مولاه يعني عليا اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم قال يا أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض»[1].

لكنه حتى بعد كل هذا الوضوح، لم يستسغ الاقتناع بالمضمون، وهنا جاء دور اللعب على معاني المفردات، فقال: «لا نسلم أن معنى الولي ما ذكروه، بل معناه: الناصر لأنه مشترك بين معان كالمعتق والعتيق والمتصرف في الأمر والناصر والمحبوب وهو حقيقة في كل منها وتعيين بعض معاني المشترك من غير دليل يقتضيه تحكم لا يعتد به وتعميمه في معانيه كلها لا يسوغ... وعلي سيدنا وحبيبنا على أن كون المولى بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعا... فالغرض من التنصيص على موالاته اجتناب بغضه»[2].

النتيجة

وبالتالي نجد أن واقعة الغدير تعد أحد أهم وأشهر الأحداث التاريخية الإسلامية، وهي لا تقل أهمية ورسوخا عن واقعة بدر الكبرى أو فتح

(١) المصدر نفسه، ج١/ ص٤٩.

(٢) المصدر نفسه.



مكة، فبدر كانت أهم محطة من محطات بناء الإسلام، وجاءت واقعة الغدير كآخر محطة في هيكله؛ لترسخ البناء وتحافظ عليه، وأن إشكالية النص في البعد التاريخي لواقعة الغدير جاءت بسبب المنافسة على الحكم لا أكثر، فالذين سعوا وراء السلطة وجدوا في الغدير آية وأحاديثا وواقعة أكبر اعتراضٍ يتهدد أحلامهم بالسلطة، فعقدوا العزم على محو ذكره من مجمل التاريخ الإسلامي من خلال التحريف والتدليس والتشويش والوضع والكذب، وهذا تسبب بأمرين خطيرين: الأول: تحريف الأعم الأغلب من وقائع التاريخ الأول للتغطية على كل ما له علاقة بالغدير حتى ولو من بعيد. والثاني: خلق قوتين سعت الأولى خلف الروايات الصحيحة والأقوال الموثوقة وجمعتها لتستشهد بها في دعمها لعقيدتها، وسعت الأخرى إلى زيادة التشويش للقضاء على أي بارقة أمل في أن تعرف الأمة حقيقة ما جرى في صدر الإسلام.

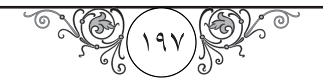
وهنا يجب أن نعترف بأن هناك إشكالية تاريخية خلقت من أجل تحريف المقاصد، فتحولت إلى عقدة كأداء في طريق معرفة الحقيقة حيث انقسم المجتمع إلى قسمين يرى الأول في الغدير تعيينا رسميا لعلي(عليه السلام) خليفة من بعد النبي، وجاهد الثاني ليقضي على هذا التوجه من خلال مجموعة نظريات سياسية. ما يجلب الانتباه أن دور الشارع الإسلامي كان غائبا أو مغيبا في هذا النزاع الشديد، فلا تجد إشارة صريحة إلى موقفه من الخلاف، وهذا أحد أكبر الأدلة على القسوة المفرطة التي مورست، والتخويف الذي دفع الناس إلى السكوت حفاظا على أنفسهم

وعوائلهم. والنتيجة أن تكرار رواية التاريخ المصطنع بما في ذلك ما نسب إلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) من سنة مكذوبة، مع دعم المفسرين ورجال التأويل والمؤرخين، جعله يبدو تاريخا رسميا للأمة، ولاسيما بعد أن وجد فصيلا من الجامدين على النصوص يدافعون عنه ويقدسونه.

من هنا بات موضوع تحرير العقل المسلم من رواسب التحريف أحد أخطر وأصعب الأمور التي تواجهنا، فنحن لا نملك وسيلة العودة إلى زمن ما قبل التحريف لنأتي لهم بما يدعم رؤانا ولا يوجد شاهد محايد يرضى بحكمه الجميع، ولذلك اصبح أمر التصحيح أحد أصعب ما علينا القيام به، مع أن ما بين أيدينا من قرائن تاريخية يجعل أمر التصحيح أيسر كثيرا مما تعتقد، إذ لو لم يكن الحديث والواقعة قد جاء تأكيدا إلزاميا على أحقية علي(عليه السلام) بالخلافة، ما كان لعلي(عليه السلام) أن يناشدهم في الرحبة ليستشهد بأقوالهم بأحقيته بالخلافة، وفي الأثر، اخبرنا الحسين بن حريث المروزي، قال: حدثنا الفضل بن موسى، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن وهب، قال: قال علي في الرحبة: أنشد بالله من سمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم يقول: إن الله وليي وأنا ولي المؤمنين، ومن كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره». قال: فقال سعيد: قام إلى جنبي ستة، وقال زيد بن يثيع: قام عندي ستة»[1].

لقد أثبتت الدراسات المحايدة أن تاريخنا تعرض إلى الهدم وإعادة البناء

(١) النسائي، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص١١٧، حديث: ٩٨.





وفق مناهج دنيوية أكثر منها دينية، وأن ذلك تسبب بخلق الكثير من التناقضات المحيرة وأن القدسية التي أضفوها على التحريف منعت الناس من التشكيك، وهذا الأمر لن يصمد كثيرا لأن معركة التصحيح قد انطلقت ولن تتوقف بما في ذلك التشكيك حتى بما يسمى: أصح كتاب بعد كتاب الله، وهذا ما يتضح من الإهداء الذي كتبه الأستاذ رشيد أيلال في كتابه، بقوله: «إلى كل من أعيته تناقضات وخرافات المرويات وحار أمره بين تمحيصها أو تقديسها أهدي هذا الكتاب[1].

إن ما حدث قد حدث، ونحن لا نملك قدرة تغيير الماضي، ولكننا نملك قدرة التحكم بالمستقبل، إذا ما أنصفنا حالنا واعترفنا بالخطأ التاريخي الجسيم الذي أرتكب، عسى أن نتيح لأبنائنا فرصة أن يتخلوا عن المماحكة التاريخية ويتفرغون لخلق التوافق فيما بينهم من أجل مستقبل يتهدد الضعفاء بالفناء، ولا يصمد فيه سوى القوي.

المراجع

أمين، أحمد،

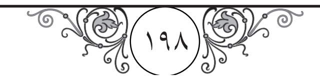
١ـ فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ١٩٦٩.

الأميني، عبد الحسين،

٢ـ رواة الغدير من الصحابة والتابعين والعلماء، المكتبة العقائدية، كتاب الكتروني.

---

(١) أيلال، صحيح البخاري نهاية أسطورة، ص٥.



أيلال، رشيد،

٣ـ صحيح البخاري نهاية أسطورة، دار الوطن، المغرب، ٢٠١٧.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل،

٤ـ صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي،

٥ـ السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت.

ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد الحنبلي،

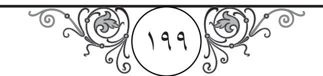
٦ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، تحقيق: رضا بن نعسان معطي - عثمان عبد الله آدم الأثيوبي - يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل - حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الراية، الجيزة مصر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

التهانوي، الشيخ ظفر أحمد العثماني، (ت: ١٢٩٤هـ)،

٧ـ مقدمة إعلاء السنن قواعد في علوم الحديث، تحقيق: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،

٨ـ زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي - دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



الجوهري، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز،

٩ـ السقيفة وفدك، تحقيق: الشيخ باسم مجيد الساعدي، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة.

ابن حنبل، أحمد، (ت: ٢٤١هـ)،

١٠ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ت).

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبدالله،

١١ـ المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت: ٤٦٣هـ)،

١٢ـ تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٣ـ تقييد العلم، تحقيق: سعد عبد الغفار علي، دار الاستقامة، القاهرة، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، (ت: ٢٥٥هـ)،

١٤ـ المسند الجامع، تحقيق: نبيل هاشم، دار البشائر الإسلامية، السعودية، ١٤٣٤هـ.

الذهبـي، أبـو عبـد الله شـمس الديـن محمـد بـن أحمـد بـن عثـمان، (ت: ٧٤٨هـ)،

١٥ـ تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦ـ سير أعلام النبلاء، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

الزهراني، محمد بن مطر،

١٧ـ تدويـن السـنة النبويـة نشـأته وتطـوره مـن القـرن الأول إلى نهايـة القـرن التاسـع الهجـري، دار الهجرة للنشـر والتوزيـع، الرياض، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

أبو زيد، الدكتور نصر حامد،

١٨ـ نقد الخطاب الديني، سينا للنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤.

ابن سعد، حمد بن سعد بن مَنِيع، (ت: ٢٣٠هـ)،

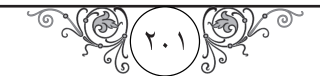
١٩ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

السيوطي، جلال الدين، (ت: ٩١١هـ)،

٢٠ـ الـدر المنثـور في التفسـير بالمأثـور، تحقيـق: الدكتـور عبـد الله بـن عبـد المحسـن التركـي، مركـز هجـر للبحـوث والدراسـات العربيـة والإسـلامية، القاهـرة، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

السندي، أبو الحسن الحنفي، (ت: ١١٣٨هـ)،

٢١- سـنن ابـن ماجـة، تحقيـق: الشـيخ خليـل مأمـون شـيحا، دار المعرفـة، بـيروت، ط٥، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.



السباعي، مصطفى،

٢٢ـ السنة ومكانتها في التشريع، دار الوراق - المكتب الإسلامي، ٢٠٠٠.

السقاف، الشيخ عَلوي بن عبد القادر،

٢٣ـ الموسوعة الفقهية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد(ت: ٣١٠هـ)،

٢٤ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

أبو عبيد، القاسم بن سلام،

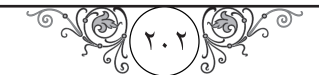
٢٥ـ فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، (د. ت).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)،

٢٦ـ جامع بيان العلم وفضله: تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ٨٥٢هـ،

٢٧ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، المكتبة السلفية، الجيزة، مصر.



الفيصل، محمد،

٢٨ـ الحلقة المفقودة والدين المختطف التساؤلات المحرمة في التاريخين العربي والإسلامي الروايات المسكوت عنها في التاريخ العربي، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ٢٠١٨.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر،

٢٩ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ ـ١٩٧٣م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (ت:٧٧٤هـ)،

٣٠ـ البداية والنهاية، تحقيق: عبد الرحمن الادقي ومحمد غازي بيضون، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٣١ـ تفسير القرآن العظيم، تحقيق: حسين بن إبراهيم زهران، دار الفكر، بيروت.

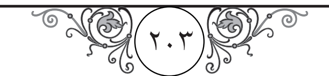
مسلم، أبو الحسين، (ت: ٢٦١هـ)،

٣٢ـ صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف، (ت: ٧٤٢هـ)،

٣٣ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري،



٣٤ـ الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

المباركفوري، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (ت: ١٣٥٣هـ)،

٣٥ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، (ت: ٤٦٨هـ)،

٣٦ـ أسباب النزول، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار صلاح الدين، القاهرة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: ٦٧٦هـ)،

٣٧ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

النسائي، ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت: ٣٠٣هـ)،

٣٨ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

نتنج، أنتوني،

٣٩ـ العرب منذ العصر الجاهلي حتى عصر جمال عبد الناصر، ترجمة: حلمي سلامة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤.

الهيثمي، أحمد بن حجر، (ت: ٩٧٤هـ)،

٤٠ـ الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة مصر.

الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن مت الأنصاري،

٤١ـ ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الله بن محمد بن عثمان الأنصاري، مكتبة الغرباء الأثرية، استانبول.

أبو يعلى، الخليل بن عبد الله بن أحمد ابن الخليل القزويني، (ت: ٤٤٦هـ)،

٤٢ـ الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: محمد سعيد بن عمر إدريس، مكتبة الرشد، السعودية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



واقعة غدير خم كيف غيّرت الواقع الإسلامي وصلتها بعاشوراء

د. ليلى علي الكيال

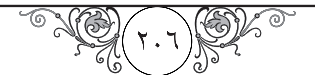
بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعز المرسلين سيدنا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1].

تعد واقعة غدير خم من قضايا الأمة الإسلامية الكبرى، من جهة ما يترتب عليها من نتائج تحدد إتجاه مسير هذه الأمة ومستقبلها، بل ومستقبل العالم بشكل عام.

فمن أمعن النظر في تفاصيل الحادثة المصيرية التاريخية، يجزم بتلك الأهمية، فقد كانت تمثل نقطة الإنطلاق والتأسيس المبرمج، والتي كانت تمثّل المرحلة الأخيرة في بناء المجتمع الإسلامي على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم)، وذلك حين بيّن لأمته ولاية علي (ع)، وكونها امتداداً لولاية الله وولاية رسوله، وضمانة لاستمرار الإسلام، فمن أراد أنّ يحافظ على طاعة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثم المحافظة على الهداية

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.



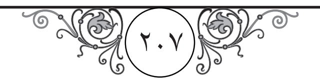
وعدم الوقوع في الضلال، عليه أنّ يعمل بموجبات الآية الكريمة قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[1].

إذًا واقعة غدير خم تعد واحدة من أهم الأحداث المصيرية في تاريخ الإسلام، فالشيعة يعتقدون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، عيّن فيها مصير العالم الإسلامي وأخذ البيعة من الأمة الإسلامية لما صرح به في ذلك اليوم لعلي (ع)؛ لذا يمكن وصف هذا الحدث التأريخي بأنه الأبرز من بين سائر الأحداث التي حدثت في عهد الرسالة وهو المنشأ الأساس للتشيع، وأيضاً حسب اعتقاد الشيعة فإن الأمة الإسلامية منذ يوم الغدير انقسمت إلى قسمين، الفئة الموالية لآل البيت (ع)، والفئة المعارضة لهم.

ونحن نتحدث عن موضوع واقعة غدير خم وما حملت من أحداث حتى وصلت إلى مقتل الإمام الحسين (ع) يوم العاشر من محرم. فهذه الصلة المتينة التي أُسس لها منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ونرى أنّ معظم مصادر المسلمين أجمعت على أحاديث كثيرة في حق الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)، التي صدرت عن رسول الله (صل الله عليه وسلم)، ونقلت هذه الأحاديث بالتواتر منها «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» (المناقب لابن شهر اشوب).

والشيعة قد بدأوا يعتقدون أنّ بعض الحوادث التاريخية ولا سيما واقعة

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.



الغدير في خم في ١٨ ذي الحجة سنة ١٠ هـ. هو ضمانة الهداية بالسنّة النبوية، وحادثة الكساء وائتمان الرسول لعلي عليه السلام على شؤون المدينة وبعض النصوص في ذلك من القرآن الكريم تؤكد إنّ الأئمة عليهم السلام قد ورد ذكرهم في واقعة غدير خم، كما تؤكد علاقة الغدير بعاشوراء ولا سيما بانقلاب المسلمين بعد وفاة النبي الأكرم (صلى الله عليه وسلم) ويؤكد هذه الصلة قول الرسول (صل الله عليه وسلم) عندما قال: «إني تارك فيكم الثقلين».

فالغدير إذًا بمحتواه الإلزامي كان مفاجأة للمسلمين، وتأكيداً على ما تقتضيه المرحلة الزمنية لما نطق به الوحي في القرآن الكريم، وما صرح به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)، أو كلف به للتعبير عن التفويض الإلهي بخلافة رسول الله، لذا جاء إعلان العهد في غدير خم توضيحاً للمنهج الإلهي، لتقرير الاستمرار في مسيرة النبوة وامتدادها والإبقاء على نهجها بصفتها آخر الرسالات السماوية.

لذا نرى وبشكل واضح أنّ موقعة غدير خم قد رسمت مسارات بقاء نهج النبوة وديمومته من غير تشويه أو تحريف في ضوء إرادة ربانية لا مجال لاختيارات البشر في تحديد معالمها.

وقد تتداخل الروايات التاريخية التي عبّرت عن غدير خم على ارتباط الإمامة بواقعة الغدير وإمتداده إلى آخر الزمان في أحاديث كثيرة، والذي عبّر عنه الرسول في أكثر من مكان إنّ الإمامة مرتبطة بأولاد علي وفاطمة (ع) وبهذا تكون الصلة متينة وقوية وتدل على ذلك بشكل واضح على أنّ

الغدير ربط الصلة كاملة بين هذه الواقعة وبين الأئمة (عليهم السلام)؛ لأنهم حجج الله على خلقه والنص الذي يتم التداول فيه على أساس أنّ خطبة الغدير قد ذكرت الأئمة (عليهم السلام) بالتسلسل التاريخي والزمني. عندما أمر الرسول المسلمين بمبايعته وأنّ علياً ولي الله من بعده والأئمة من صلبه، حيث نصبهم أئمة المسلمين، وتتفرع منه مسائل كثيرة عن هذه المعتقدات «واقعة الغدير التي لم يفهموها فهماً صحيحاً».

وبقراءة سريعة لما ذكرنا تتجلى أبعاد واقعة الغدير، وأنّ أهميتها جاءت من أهمية الأمر الرباني، الذي أريد له أن يأخذ طريقه إلى أسماع الصحابة والمؤمنين آنذاك.

من هنا نفهم أيضاً سبب الاهتمام التاريخي بحديث الغدير، إذ أهتم به كثيرٌ من المؤرخين، وكتبت فيه كثيرٌ من الكتب، إذًا من هنا تتضح لنا أهمية الدراسات التوثيقية التي رسخت في الفكر والمعتقد والتاريخ الإسلامي.

وإذا نظرنا إلى حديث الغدير الذي أمر الرسول المسلمين بموجبه بمبايعة علي عليه السلام في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠ هـ. هو ضمانة الهداية والعمل بالسنّة النبوية.

نرى هذه الحادثة تمثل المرحلة الأخيرة في بناء المجتمع الإسلامي على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم). وكونها امتداداً لولاية الله وولاية رسوله وضمانة، فمن أراد أنّ يحافظ على طاعة النبي صلى الله عليه وآله

ومن ثم المحافظة على الهداية وعدم الوقوع في الضلال، أنّ يمتثل لقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾)[1].

والضمير في قوله تعالى: «إنّ...، تطيعوهُ تهتدوا»[2].

وبخلاف ذلك فإنهم إنّ يعصوه يضلوا ويهلكوا، قال تعالى فكيف إذا جئنا من ﴿كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾. من هنا كانت الولاية يوم الغدير أفضل الفرائض حيث روى زواره عن أبي جعفر (ع) قال: «بُنى الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. فسأل: وأي من ذلك أفضل».

فقال الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن... ». ثم قال زراره الأمر هو باب الأشياء ورضا الرحمن، الطاعة للإمام بعد معرفته: «إن الله عز وجل يقول: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ . أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع دهره ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، وتكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله عز وجل شيء، ولا كان له حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن

(١) القرآن الكريم: سورة النور (٢٤)، الآية، ٥٤، ص ٣٥٧.

(٢) اقرآن الكريم: سورة النساء (٤)، الآية ٤١ و٤٢، ص ٨٥.

منهـم يدخلـه الله الجنـة بفضـل رحمتـه.

أولاً:

قولـه تعـالى: «ولم يعـرف ولايـة ولي الله فيواليـه ويكـون جميـع أعمالـه بدلالتـه إليـه». نلاحـظ مـن ذلـك أنّ النبـي قـد ذكـر الخلافـة والإمامـة مـن اول يـوم دعـا فيـه إلى التصريـح بالدعـوة إلى الإسـلام، فتعـرف حينئـذ أنّ الإمامـة جـزء مهـم مـن الرسـالة النبويـة.

وقـد شرع ذلـك رسـول الله في التصريـح بهـا، مثـل حديـث الثقلـين المتواتـر، والانتقـال إلى مرحلـة التصريـح لعمـوم المسـلمين والتـي ولـدت للنبـي بعـض المخـاوف، لمعرفتـه بطبيعـة المجتمـع ومـا يحملـه مـن رواسـب جاهليـة قـد تـؤدي بالمجتمـع الإسـلامي إلى رفـض هـذا الأمـر، لكـن الله أمـره بالتصريـح ونبـذ مخاوفـه صافيـا، فقـال: «يـا أيهـا الرسـول بلـغ مـا أنـزل إليـك... ». أي إنّ الطريـق لمعرفـة هـذه العبـادات عـلى وجهها الصحيـح هو الإمـام، مضافاً إلى أنّ اعتقـاد الولايـة هـو بنفسـه شرط في قـول العمـل كالنيـة شرط في صحـة صلاته، والسـر في ذلـك إنهـا ممـا أمـر بـه الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه، ثـم الإمـام هـو بـاب مدينـة علـم الرسـول، فـلا يعـرف علـم الرسـول إلا مـن خلالهـا ولا يأمر إلا بـما أمـر بـه الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه. فأمسـك النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بعضديـه ورفـع عليـاً (ع) مـن مكانـه حتـى حـاذت قدمـاه ركبـة النبـي صـلى الله عليـه وآلـه وشـاهد النـاس بيـاض ابطيهـما، وقـال: «مـن كنـت مـولاه فهـذا عـلي مـولاه، اللهـم وال مـن والاه، وعـاد مـن عـاداه، وانـصر مـن نصره،

وأخذل من خذله». وبعد هذا المقطع من الخطبة الشريفة أعلن النبي صلى الله عليه وآله للناس نزول ملك الوحي عليه يخبره عن إكمال الدين، واتمام النعمة بولاية أمير المؤمنين (ع): «اللهم إنك انزلت الآية في عليٍّ وليِّك عند تبيين ذلك ونصك اياه لهذا اليوم: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً[1]، وقلت: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[2]. اللهم إني اشهدك وكفى بك شهيداً أني قد بلّغت.

ثانياً:

الانقلاب على الاعقاب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتربية مسلمي الفتوح على سيرة الشيخين (١١-٢٦ هـ). يكشف الحوار في السقيفة بين أبي بكر والأنصار بشكل واضح حالة الانقلاب على الأعقاب حين قال لهم أبو بكر: «لن يُعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي في قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً»[3].

ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسباً وداراً. ومراده من ذلك: أن العرب تدين لقريش في أمر الدين، فهم أفضلهم داراً وهي مكة، وأفضلهم نسباً لأنهم من نسل اسماعيل، وليس

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣)سند أحمد ١/ ٥٦ . ٥

من شك أن هذه الميّزة لقريش قد كانت في الجاهلية وقد انتحلت لقب (آل الله) بعد موت عبد المطلب وقد كان هذا اللقب خاصاً به منذ قصة الفيل .

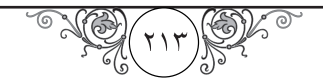
ولما جاء الإسلام هدم مكانة قريش الدينية التي حرفت دين ابراهيم ورفع من شأن محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. قال النبي صلى الله عليه وآله: إن الله عز وجل اختار العرب منهم النضر بن كنانة ثم اختار منهم قريشاً ثم اختار من قريش بني هاشم ثم اختارني من بني هاشم وقال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم...، الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[1].

وأوجب محبة أهل بيته وقرن اتباعهم باتباع كتاب الله وجعل ذلك من الضلالة. ومن الواضح أنّ منطق السقيفة قد تجاوز باستحقاق قريش للإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله بمكانتها في الجاهلية، وهذا هو الانقلاب المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2].

بصيغة الاستفهام الإنكاري للتوبيخ، ومعنى انقلبتم على أعقابكم أي ارتد، ثم رجعتم إلى خلفكم وهي الجاهلية، أي صرتم أهل جاهلية، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وآله أنهم سوف ينقلبون بعده ويرتدون على

(١) قرآن الكريم: سورة الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٣، ص ٤٢٢ . ٦

(٢) القرآن الكريم: سورة آل عمران (٣)، الآية ٨٠، ص ٩١.



أدبارهم القهقهرى فيحلئون عن خوض الكوثر فلا تخلص منهم إلا كهمل النعم.

وقد روى عنه صلى الله عليه وآله: يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها الأخرة شر من الأولى.

وروى علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء، قيل: قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً. لقد بويع الخليفتان من قريش ورفعا شعار (حسبنا كتاب الله) في قبال السنة النبوية حيث تصرفوا فيها باجتهاداتهم منعاً وكتماناً وتغييراً وسمي ذلك بـ(سيرة الشيخين) وبويع عثمان على التقيد بها وفتحت البلاد شرقاً وغرباً على ذلك.

قال الإمام علي عليه السلام يشرح ما جرى بعد النبي صلى الله عليه وآله:

«إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجال رجالاً، إلا أنّ الحق لو خلص لم يكن اختلاف، ولو أن الباطل خلص لم يتحقق على ذي حجي، لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجتمعان فيجللان معاً، فهنالك يستولى الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم الحسنى.

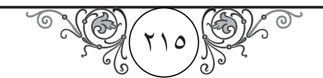
إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «كيف أنتم إذا البستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير يجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً، ثم تشتد البلية وتسبى الذرية ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصة شيعته فقال: (قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين الخلافة ناقضين لعهده مغيرين السنة).

وكان من أبرز معالِم تغيير السنة: منع نشر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته (ع)، والنهي عن السؤال في تفسير القرآن، وتحريم متعة الحج ومتعة النساء ومعاقبة المخالف، وتغيير مقام إبراهيم، وامضاء التطليقات، وأحداث الطبقية في المناكح، والعطاء، وحصر الحكم ببطون قريش، وفسح المجال لمسلمة أهل الكتاب أنّ يبثوا قصص الثوراة ومواعظهم بين المسلمين، ومسائل أخرى كثيرة.

وكان نتيجة ذلك: أنّ جهل مسلمة الفتوح أهل البيت (ع)، وسنن النبي صلى الله عليه وآله، وتولوا الخلفاء من قريش بصفتهم انهم يقودون إلى الله، وتثقفوا بثقافة الثوراة التي نقلها إليهم مسلمة أهل الكتاب حين فسح لهم المجال الخلفاء من قريش وهي ثقافة قد أصابها كثيرًا من التخريف.

ثالثاً:

(٢٧ هـ - ٤٠ هـ) نهضة علي عليه السلام الإحيائية للسنة النبوية





وهداية النصف الشرقي من مسلمة الفتوح إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وولاية (ع). وقال الإمام علي (ع): «أيها الناس، أنا الذي فقأت عين الفتنة ولم يكن ليتجرئ عليها غيري. وأيمُ الله لو لم أكن فيكم لما قوتل أهلُ الجمل ولا أهل صفين ولا أهل النهروان. وأيمُ الله لولا أنّ تتكلموا وتدعوا العمل لحدثتكم بما قضى الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله لمن قاتلهم مستبصراً في ضلالتهم عارفا بالهدى الذي نحن عليه».

الفتنة أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله بقوله (كيف أنتم إذا لبستم فتنة...)، وقوله (عليه السلام): «ولم يكن ليتجرء عليها غيري» أي لم يكن الأنصار ولا مسلمة الفتوح ليستطيعوا أنّ يقفوا أمام عملية تعطيل السنن وتحريفها من قبل قريش الحاكمة باسم الإسلام ولا مسلمة الفتوح من قبيل تحريم متعة الحج والعقوبة عليها، وكان التحريم شخصياً من عمر ثم عثمان، إلا علي عليه السلام الذي عينه النبي صلى الله عليه وآله وليا على الأمة بأمر الله تعالى: وجعل ولايته كولايته صلى الله عليه وآله الذي كلفه بالنهضة لإحياء سنته من بعده وهداية مسلمة الفتوح إليها، روى عن ابن عباس، قال: لما نزلت: «إنما أنت منذر ولكل قوم هادٍ»[1] وضع صلى الله عليه وآله يده على صدره، فقال: «أنا المنذر ولكل قوم هادٍ». وأومأ بيده إلى منكب علي (ع)، فقال: «أنت الهادي علي، بك يهتدي المهتدون بعدي».

وقوله: (وأيمُ الله ولو لم أكن فيكم لما قوتل أهل الجمل ولا أهل

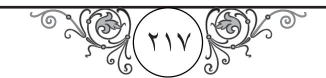
(١) سورة الرعد ٣٠، آية ٧، ص ٧.



صفين ولا أهل النهروان». والسر في ذلك أنّ الذي يقود معركة الجمل هي أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وصحابة قرشيون آخرون كان مسلمة الفتوح يرونهم أولياء نعمتهم في الدين، وكذلك أهل صفين أما أهل النهروان فهم القراء وأصحاب الجباه السود من العبادة ولكنهم بالقياس إلى علي عليه السلام فإنه كان أكثر عبادة منهم، واسبقهم طراً إلى التصديق بالنبي صلى الله عليه وآله. مضافاً إلى ذلك فإن عليا كانت لديه عهود من النبي بقتال الأضان. وقد أخبر القرآن بذلك في قوله تعالى: (يا أيها الناس آمنوا من يرتد منكُم عن دينه فسوفَ يأتي الله بقوم يُحِبّهُم ويُحبُّونَهُ أذلة على المؤمنين أعِزَّةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يَخافون لومَة لائمٍ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ والله واسِعٌ عليمٌ»، وقوله: (... ومن يرتد منكم عن دينه..)[1].

أي من ينقلب على عقبيه وهم الذين قال عنهم النبي صلى الله عليه وآله في أحاديث الحوض (فيحلؤون عن الحوض فأقول اي ربِ اصحابي؟ فيقال أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك انهم لا يزالون مرتدين على أدبارهم القهقري...) قوله: (... فسوف يأتي الله بقوم يُحبُّهم ويُحبَّونَهُ). قال

(١) سورة المائدة (٥) آية ٥٤، ص ١١٧. قال الطبري في تفسيره جامع البيان ٦/ ٣٨١، يقول من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه اليوم، فيبدله بدخوله في الكفر. - البخاري: ٨-١٤١- قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل. - قال عبد البرقي الاستذكار: ٣/ ٢١٥ وكانت الرده في ثلاثة أنواع قوم كفروا وعادوا ما كانوا عليمن عباده الأوثان. قوم آمنوا بمسلمة وهم أهل اليمامة، وطائفة منعت الزكاة وقالت مارجعنا عن ديننا ولكن شححنا على أموالنا وتأولوا على ما ذكرناه.



الطبرسي في مجمع البيان: (هم أمير المؤمنين علي عليه السلام وأصحابه، حين قاتل من قاتله من الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وروي ذلك عن عمار، وحذيفة وابن عباس، وهو المروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله (ع).

قوله (مستبصراً في ضلالتهم عارفا بالهدى الذي عليه (ضلالتهم) هي تغييرهم للسنة النبوية بتحريمهم متعة الحج، ومتعة النساء وتغييرهم مقام ابراهيم وغيرها في صلاة التراويح والطلاق والوضوء والصلاة وغيرها. و(الهدى الذي عليه (ع) وأصحابه هو عملهم بالسنة النبوية وتقيدهم بها، قال مالك الاشتر يخطب في أصحابه في معركة صفين يحثهم على الاستبسال في القتال: (إنّ هؤلاء القوم والله لن يقارعوكم إلا عن دينكم، ليطفئوا السنة، ويحيوا البدعة، ويدخلوكم في أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة)[1]. وقوله (لن يقارعوكم إلا عن دينكم) أي يقاتلونكم لأجل أنّ يردوكم عن دينكم القهقري ويدخلونكم في ضلالتهم التي اخرجكم الله منها، وقوله (بحسن البصيرة) يشير إلى قوله تعالى: (قد جاءكم بصائِرُ من رَبكُم فمن أبصّر فلنفسه ومن عَمِيَ فعليها وما أنا عليكُم بحفيظ)[2].

وقد أبصر أصحاب علي (عليه السلام) الحق مع علي (عليه السلام) لأن شعاره (ما كنت لأدع سنة رسول الله لقول أحد من الناس) وأولئك شعارهم حسبنا كتاب الله مفصولاً عن السنّة وقد غيروها باجتهاداتهم

(١)-١٠ ابن مزاحم المنقري، وقعة صفين، ص ٢٥١.

(٢)-١١ سورة الانعام (٦) آية ١٠٤، ص ١٤١.

وآرائهم. نجح علي (عليه السلام) في إحياء السنّة النبوية حين نهض سنة ٢٧ هـ وإحياء حج التمتع وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته (ع)، وانكشف للناس في النصف من البلاد الإسلامية مدى مخالفة السلطة القرشية لسّنة النبي صلى الله عليه وآله، وصارت الكوفة مركز هذه النهضة الإحيائية، وبرز علي عليه السلام في النصف الثاني من مجتمع مسلمة الفتوح إماماً ووليا ًهادياً كما نصبه النبي صلى الله عليه وآله في الغدير يدعو إلى سّنة النبي صلى الله عليه وآله، وبرز معاوية في الشام قائداً يدعو إلى سيرة الشيخين وتطبيقات عثمان لها.

رابعاً:

(٤١ هـ - ٥٠ هـ) صلح الإمام الحسن (ع) يعالج الانشقاق الأموي ويهدي النصف الغربي من مسلمة الفتوح إلى سّنة النبي وولاية علي عليه السلام استشهد علي عليه السلام على يد الخوارج وبايع أهل العراق الحسن بن علي سبط رسول الله على الكتاب والسنّة، وبايع أهل الشام معاوية على سيرة الشيخين وتطبيقات عثمان لها. ثم عرض الإمام الحسن (ع) صيغة من الصلح هي أنّ يبقى كل واحد على بلده وأن يجمد القتال، ورأى الإمام الحسن (ع) أنّ اجابة معاوية على ذلك سوف يكرس الانشقاق في الأمة، ويبقى أهل الشام على جهلهم بسّنة النبي صلى الله عليه وآله وولاية علي عليه السلام الهادية.

وعرفوا وصف ضرار له بل سمعوه منه في بلاط معاوية حين طلب منه

أنّ يصفه قائلاً: (كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشُن. كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استفتيناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبةً له. يعظِم أهل الدين ويُقرب المساكين. لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململ تململَ السَّليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غُري غيري، أبي تعرضت أم إليَّ تشوفّت.

هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعمرك قصير وخطرك حقير. آه من قلة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق. وشهدوا من معاوية بعد هذا الوصف نزف دموعه على لحيته وقوله: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك. وسمعوا جواب ضرار حين سأله معاوية: عن حزنه على علي. قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها[1]. وشهد معاوية للعراقيين بالوفاء لعلي وبفقهم وجرأتهم.

وهكذا تجانست رؤية المسلمين لعلي عليه السلام من خلال انتشار الأحاديث النبوية فيه ومن خلال سيرته العملية التي أحيا فيها سّنة النبي صلى الله عليه وآله وصار مسلمة الفتوح متساوين في ذلك مع

(١) ابن عبد البرقي الاستيعاب، ح٢/ ص ٥٢.

مجتمع الصحابة سنة عشر هجرية يوم الغدير ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة.

وخلاصة الأمر في مفاصل الفترة الزمنية الآنفة (١٠ هـ- ٥٠ هـ): أن المسلمين في غدير خم / وهم مائة ألف أو يزيدون/ في الثامن عشر من ذي الحجة سنة ١٠ للهجرة قد سمعوا مباشرة وصية النبي صلى الله عليه وآله في قوله: (يوشك أنّ أدعى فأجيب إني تارك فيكم الثقلين ما إنّ تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثم قال الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ثم أخذ بيد علي فرفعها وقال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، وفهموا منها أن وليهم الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وأن طاعة علي عليه السلام هي طاعة النبي صلى الله عليه وآله وأن طاعة النبي صلى الله عليه وآله هي طاعة الله عز وجل، وبعبارة أخرى أن القرآن يدعو إلى طاعة أوامر الله عز وجل ولا تعرف الكثير منها إلا من خلال سّنة النبي صلى الله عليه وآله فيجب إطاعة النبي صلى الله عليه وآله وبها تكون الهداية، وأن إدامة هذه الهداية تتم باتباع علي (ع)؛ لأن عليا (ع) باب مدينة العلِم المتقيد حرفياً باتباع أوامر النبي صلى الله عليه وآله مع طهارته المنصوص عليها، ومن ثم كان النبي صلى الله عليه وآله يدعو لمن يتبع عليا (ع) بأن يتولاه الله عز وجل ولمن يخالف عليا (ع) بأن عابه الله عز وجل، كما عرفوا أن الإسلام قد هدم الطبقية الدينية القرشية

ورفع شعار (إنّ اكرمكم عند الله أتقاكُم..)[1] وساوى بينه في الحقوق المدنية، فالكل سواء في العطاء والمؤمن كفئ المؤمنة فلا اعتبار للأحساب والأنساب.

في أواخر صفر سنة ١١ هجرية أي بعد سبعين يوماً من واقعة الغدير أعرض نفر من الأمة، قريش المسلمة ومن معها من الأنصار عن علي عليه السلام بصفته الولي بعد النبي صلى الله عليه وآله بنص منه صلى الله عليه وآله واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة والنبي صلى الله عليه وآله بعد لم يدفن يتداولون من يكون خلفاً له وغلبت قريش الأنصار، بقول أبي بكر: (أن هذا الأمر لن تعرفه العرب في غير قريش) مع أنّ الإسلام جاء بهدم مكانة قريش في الجاهلية وشيد بيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته، وهكذا أرتدوا على أدبارهم القهقري إلى الجاهلية وغيروا سنن النبي صلى الله عليه وآله وفتحت البلاد شرقاً وغرباً على الضلال، وتربى مسلمة الفتوح على تولي سيرة الشيخين بدلاً من سّنة النبي صلى الله عليه وآله ونُسي أمر أهل البيت (ع)، فبرزت الطبقية الدينية من جديد لقريش واصفت إليها الطبقية السياسية وصار الذي يليهم في الفضل هم العرب وجعلوهم جنود الفتح وولوهم الولايات الصغرى وتركوا الأعمال الحرفية والمهنية لأهل المدن بشكل عام.

نهض علي عليه السلام سنة ٢٧ هـ وأحي تمتع وحديث الغدير ثم بويع في (١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ) بعد أنّ قتلت قريش الخليفة عثمان

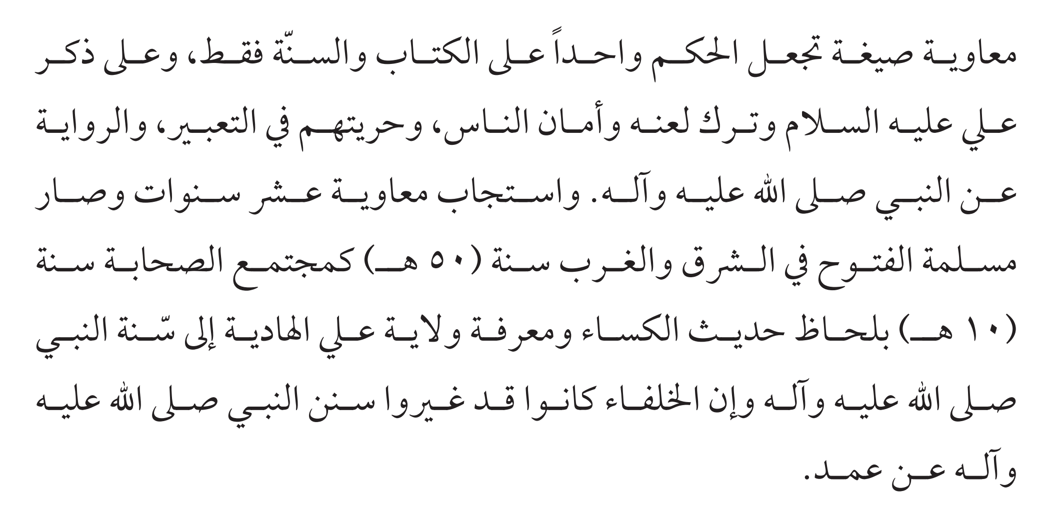
(١) قرآن الكريم: سورة الحجرات (٤٩)، الآية ١٣ـ ص ٥١٧.

لاختلافها معه وانشقاقها عليه. وألغى الطبقية بين الناس وساوى بينهم في العطاء والزواج، والمسلمون حيثما كانوا هم طبقة واحدة: أكرمهم عند الله أتقاهم.

واجتمعت قريش واتباعها على حرب علي عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان، واستشهد علي عليه السلام وقد انفتح النصف الشرقي من البلاد الإسلامية على علي عليه السلام بصفته إمام الهدى يهدي إلى سّنة النبي صلى الله عليه وآله فأخذ بقوله من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً وصارت الكوفة مركز الهداية، وبقيت الشام مركز الضلالة وقد رفع معاوية شعار سيرة الشيخين مع لعن علي عليه السلام والبراءة منه مع أحاديث كذب وصفها القصاصون لتكريس رؤية أن عليا (ع) وشيعته مفسدون في الدين والدين يهدر دماءهم ويحل أموالهم، ثم حَول معاوية جيش الشام إلى سرايا تغيرُ على أطراف الكوفة تنهب وتقتل وتشرد.

استشهد علي عليه السلام سنة ٤٠ هجرية، وبايع أهل العراق وأهل الحجاز واليمن وإيران وما والاها والده الحسن (ع) بصفته الإمام الهادي بعد النبي صلى الله عليه وآله، وبايع أهل الشام وأهل مصر وما ولاها معاوية / بصفته ثقة عمر وعثمان/ على سيرة الشيخين، ثم بادر معاوية في عرض الصلح على الحسن (ع) وحقن الدماء بأن يحكم كل طرف البلاد التي بايعته ورأى الحسن (ع) إنّ ذلك سوف يكرس الانشقاق في الأمة وجهلها بسّنة النبي صلى الله عليه وآله وأحاديثه وفي علي عليه السلام مضافاً إلى تكريس الطبقية الدينية والسياسية فعرض الحسن (ع) على



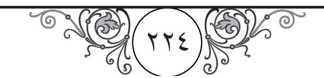


معاوية صيغة تجعل الحكم واحداً على الكتاب والسنّة فقط، وعلى ذكر علي عليه السلام وترك لعنه وأمان الناس، وحريتهم في التعبير، والرواية عن النبي صلى الله عليه وآله. واستجاب معاوية عشر سنوات وصار مسلمة الفتوح في الشرق والغرب سنة (٥٠ هـ) كمجتمع الصحابة سنة (١٠ هـ) بلحاظ حديث الكساء ومعرفة ولاية علي الهادية إلى سّنة النبي صلى الله عليه وآله وإن الخلفاء كانوا قد غيروا سنن النبي صلى الله عليه وآله عن عمد.

وهكذا استطاع علي عليه السلام بنهضته مدة ثمان سنوات وحكومته مدة خمس سنوات وابنه الحسن (ع) بصلحه مدة عشر سنوات أي مدة ثلاث وعشرين سنة أن ينشر سّنة النبي صلى الله عليه وآله في مجتمع مسلمة الفتوح ويحررا الناس من الطبقية المقيتة لقريش المسلمة ويعالجا فتنتها، كما نشر النبي صلى الله عليه وآله سّنته في مجتمع الصحابة خلال ثلاث وعشرين سنة ويعالج فتنة قريش المشركة وطبقيتها الدينية بعد موت عبد المطلب حين غيّرت دين ابراهيم.

وصار علي عليه السلام في مجتمع مسلمة الفتوح رمزاً للهداية إلى سّنة النبي صلى الله عليه وآله كما كان موقعه زمن النبي صلى الله عليه وآله شريك النبي في رمزية الهداية إلى دين «ابراهيم (إلا أن موضعي من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته، «أنا من رسول الله كالضو من الضو والذراع من العضد».

خامساً:



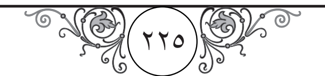
(٥٠ هـ - ٦٠ هـ). معاوية يغدر بالحسن (ع). ويفرض سيرة الشيخين ويضل الجيل الجديد من الأمة عن سّنة النبي صلى الله عليه وآله ويربيه على لعن علي عليه السلام بوصفه ملحداً في الدين وعلى تولى بني أمية بوصفهم هداة إلى الله. لم يكن معاوية لتخفى عليه أهداف الحسن (ع) من وراء الصلح، ولكنه أضمر الغدر ثم أحياء سيرة الشيخين في الحكم مع إضافة لعن علي عليه السلام وطمس ذكره إلا بسوء مع رفع شأن معاوية ويزيد ووصفهم إنهم الهداة بعد الخلفاء الثلاثة.

ولم يطق معاوية نجاح خطة الحسن (ع) وظهور أثارها خلال عشر سنوات في الأمة كلها فقد برز الحسن في مدينة جده مرجعاً دينياً وإماماً في عمل الخير لا يدانيه أحد في عصره، قال محمد بن اسحاق. ما بلغ أحد من الشرق بعد رسوله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن بن علي (عليهما السلام). كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما يمر أحد من خلق الله إلا جلس اجلالاً له ودخل بيته فيمر الناس. ونزل عن راحلته في طريق مكة فمشى فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى سعد بن أبي وقاص فقد نزل ومشى إلى جنبه[١].

لقد أحيى الحسن (ع) سيرة أبيه علي عليه السلام وتميزه في العلم وكل أعمال الخير الذي كان يقول (ينحدر عني السيل ولا يرقي إلى الطير).

وأدرك معاوية اذا توفي الحسن (ع) بعده حكم الأمة سوف لن يبقى له ولا للثلاثة من قبله أثر في المجتمع إلا الذكر السيء، فقرر معالجة

(١) المجلسي: بحار الأنوار ص ٢٥٤.



الموقف، وليس أمامه إلا الغدر بالحسن (ع) فدس له السم ثم نقض شروطه شرطاً شرطاً وأحي سيرة الشيخين في الحكم وأعاد لعن علي عليه السلام في الأمة بصفته مفسداً في الدين، ويريد به سيرة الخليفتين التي أدخلت في الدين قهراً على الأمة، وهو واقع حال نهضة علي عليه السلام فقد كشف للأمة أنّ سيرة الشيخين هي آراء شخصية خالف بها الشيخان سّنة النبي صلى الله عليه وآله وبقي من شاء أن يبقي عليه، وأي أفساد في دين الخليفتين أكثر من هذا واستعار معاوية دور علي عليه السلام الإحيائي للسّنة، فتقمصه في أحياء سيرة الشيخين واصفاً علياً (ع) بما كان علي يصف الخلفاء من قبله به، قال أبو عثمان الجاحظ إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: «اللهم إنّ أبا تراب الحد في دينك، وصد عن سبيلك فالعنوه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليما وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر»[1].

وأضاف إلى ذلك المنع في نشر فضائل علي عليه السلام ومعاقبة الممتنع أشد عقوبة، ووضع أحاديث في فضائل الشيخين وعثمان ومعاوية ويزيد.

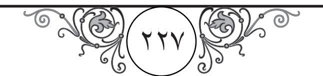
قال المدائني: «كتب معاوية إلى قضاته وولاته في الأمصار أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي عليه السلام الذين يرون فضله ويتحدثون بمناقبه شهادة». ثم كتب أيضاً: «انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فأمحوه من الديوان. ثم كتب كتاباً آخر من اتهموه ولم تقم عليه بينة فأقتلوه!. ثم كتب (أنّ برئت الذمَّة ممن روى شيئاً من فضل أبي

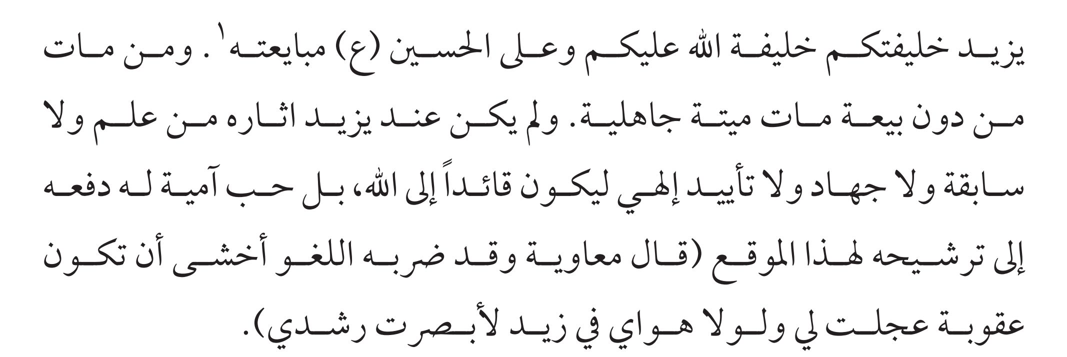
(١) شرح النهج ٤/ ٥٦.

تـراب وأهـل بيتـه) ثـم كتـب إلى عُمّالـه: «إنّ الحديـث في عثـمان قـد كثُـر وفشـا في كل بـصر وفي كل وجـه وناحيـة فـإذا جاءكـم كتـابي هـذا فأدعـوا النـاس إلى الروايـة في فضائـل الصحابـة والخلفـاء الأولـين ولا تتركـوا خـيراً يرويـه أحـد مـن المسـلمين في أبي تـراب إلاّ وتأتـوني لـه في الصحافـة فإنّ هـذا أحـبَّ إليَّ وأقُّر لعينـي وأدحـض لحجـة أبي تـراب وشـيعته وأشـدّ الهكـم عليهـم مـن مناقـب عثـمان وفضلـه). فقُّرِئـت كتبـه عـلى النـاس فرويـت أخبـار كثـيرة في مناقـب الصحابـة مفتعلـة لا حقيقـة لهـا. حتـى انتقلـت تلـك الأخبـار والأحاديـث إلى ايـدي الديانـين الذيـن لا يسـتحلون الكـذب والبهتـان فقبلـوه وروّوهـا وهـم يظنـون أنهـا حـق، ولـو علمـوا أنّهـا باطلـة لمـا رووهـا ولا تدينـوا بهـا[1]. وتربـى عـلى ذلـك الجيـل الجديـد مـن المسـلمين شرق الأرض وغربهـا إلا مـن رحـم ربـك. وأخـيراً فـرض عـلى الأمـة بيعـة ولـده يزيـد خليفـة يقودهـم إلى الله ويشـفع لهـم عنـده مسـتعيراً مـا جـرى في غديـر خـم مـن تعيـين عـلي عليـه السـلام إمامـاً وهاديـاً وشـفيعاً يقودهـم إلى الله ونصـب خيمـة لبيعتـه تـرى الجيـل الجديـد مـن عمـره (١٥ سـنة إلى عمـر ٣٠ سـنة) عـلى أنّ أئمـة الهـدى هـم الخلفـاء الثلاثـة مـن قريـش ثـم معاويـة مقرونـا بلعـن عـلي عليـه السـلام بوصفـه رمـز الضلالـة. ثـم انضـاف إليهـم يزيـد سـنة (٥٦ هــ) حـين أخـذت لـه البيعـة مـن غالبيـة النـاس مـن كل الأعـمار.

صـار معاويـة بذلـك نظـير السـامري في بنـي إسرائيـل حـين صنـع لهـم العجـل وقـال لهـم هـذا الهكـم وإلـه موسـى. كذلـك معاويـة قـال للأمـة هـذا

(١) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١١/ ٤٥-٤٦.





يزيد خليفتكم خليفة الله عليكم وعلى الحسين (ع) مبايعته[1]. ومن مات من دون بيعة مات ميتة جاهلية. ولم يكن عند يزيد اثاره من علم ولا سابقة ولا جهاد ولا تأييد إلهي ليكون قائداً إلى الله، بل حب آمية له دفعه إلى ترشيحه لهذا الموقع (قال معاوية وقد ضربه اللغو أخشى أن تكون عقوبة عجلت لي ولولا هواي في زيد لأبصرت رشدي).

وقد أنبأ أمير المؤمنين علي عليه السلام عن فتنة بني آمية بما عنده من أخبار نبوية عنها بكلمات كثيرة منها:

قال أمير المؤمنين: «إلا وأن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني آمية، فإنها فتنة عمياء مظلمة: عمت خطتها، وحضت بليتها، وأصاب البلاء من ابصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها... ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى نحن أهل البيت منها بمنجاة[2].

وقال (ع): «وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب، إذا تُلي حق تلاوته، ولا أنفقَ منه إذا حرّف عن مواضعه. ولا في البلاد شيء أنكر من

---

(١) قال موسى ما أعجلك على قومك يا موسى» (٨٣). قال فأنا تد فتنا قومك من بعدك داخلهم السامري. (٨٥). وأنظر إلى الهلك الذي ظلت عليه عاكفاً لحزقنه ثم لننسقته في اليم نسقاً.

(٢) نهج البلاغة الخطية ٩٩.

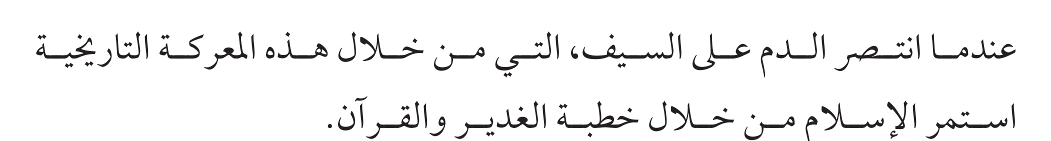
المعـروف، ولا أعـرف مـن المُنكـر، فالكتـاب يومئـذٍ وأهلـه طريـدان منفيـان، ولا صاحبـان مصطحبـان في طريـق واحـد لا يؤديهـا مـؤد. فالكتـاب وأهلـه في ذلـك الزمـان في النـاس وليسـا فيهـم.. ومعهـم وليسـا معهـم. لأن الضلالـة لا توافـق الهـدى وإنّ اجتمعـا، فاجتمـع القـوم عـلى الفُرقـة. وافترَقـوا عـلى الجماعـة كأنهـم أئمـة الكتـاب. وليـس الكتـاب إمامهُـم، فلـم يبـق عندهـم منـه إلا اسـمه. ولا يعرفـون إلا خطَّـه وزَبَـرهُ. ومـن قبـلُ مـا مثَّلـو بالصالحـين كلَّ مثلـه، وسّـموا صدقهـم عـلى الله مزيـة وجعلـوا في الحسـنة عقوبـة السـيئية... ».

سادساً:

(٦٠ هـ- ٦١ هـ) نهضة الحسـين (ع) لإحيـاء الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر وهدايـة الجيـل الـذي أضلـه معاويـة. وتحريـره مـن سـيطرة بنـي آميـة لتنطلـق بمـشروع عـلي عليـه السـلام الجديـد.

كان الحسـين (ع) هـو المعـد إلهيـاً في مواجهـة فتنـة معاويـة وضلالتـه كـما كان أبـوه عـلي عليـه السـلام مـن قبـل معـداً إلهيـاً ليقـف أمـام ضلالـة قريـش المسـلمة حـين قـال (ع) (أنـا فقـأت عـين الفتنـة ولم يكـن ليتجـرئ عليهـا غـيري).

مـا يظهـر العلاقـة القويـة بـين خطبـة الـوداع وعاشـوراء عندمـا ذكـر الأئمـة بالخطبـة والقـرآن الكريـم والتسلسـل التاريخـي للأحـداث التـي أوصلـت بالإمـام الحسـين إلى عاشـوراء لإظهـار ديـن الحـق عـلى العـالم كلـه والتـي جعلـت مـن عاشـوراء مدرسـة للإسـلام ولديمومتـه واسـتمراره عـبر الزمـن



عندما انتصر الدم على السيف، التي من خلال هذه المعركة التاريخية استمر الإسلام من خلال خطبة الغدير والقرآن.

«معاشر الناس القرآن يعرفكم أنّ الأئمة من بعده ولده، وعرفتكم أنهم مني ومنه، حيث يقول الله في كتابه: (وجعلها كلمة باقية في عقبه)[1]، وقلت لن تضلوا ما إن تمسكتهم بها، معاشر الناس، التقوى، واحذروا الساعة كما قال له عز وجل (إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم)[2]: اذكروا المماة والمعاد والحساب والموازين والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب. فمن جاء بالحسنة أثيب عليها ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب. معاشر الناس، إنكم أكثر من أنّ تصافقوني بكف واحد في وقت واحد، وقد أمرني الله عز وجل أنّ أخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقدت لعلي أمير المؤمنين، ولمن جاء من بعده من الأئمة مني ومنه،... والذين ذكرت من ذريتك من ولده بعدهُ الحسن والحسين ومن نصبه الله بعدهما».

«معاشر الناس، فبايعوا الله وبايعوني وبايعوا علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة منهم في الدنيا والآخرة كلمة باقية، يهلك الله من غدر ويرحم من وفى. (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً»[3].

(١) الزخرف: ٢٨.

(٢) النهج: ١.

(٣) الفتح: ١٠.

وفي زيـارة الإمـام الحسـين عليـه السـلام قـال الإمـام الصـادق (ع): اللهـم أني أشـهد أنّ هـذا الحسـين وليـك وابـن وليـك، وصفيـك وابـن صفيـك الفائـز بكرامتـك، اكرمتـه بالشـهادة... وأعطيتـه مواريـث الأنبيـاء وجعلتـه حجـة على خلقـك، فأعـذر في الدعـاء ومنـع النصـح وبـذل مهجتـه فيـك ليسـتنقذ عبـادك مـن الجهالـة وحـيرة الضلالـة، وقـد تـوازر عليـه في غرتـه الدنيـا وبـاع حظـه بـالأرذل الأدنـى وشرى آخرتـه بالثمـن».





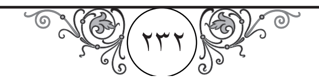
بيعة الغدير مرتكز ثورة عاشوراء

د. حسن محمد إبراهيم

تمهيد

تعـدّدت الكتابـات حـول موضـوع واقعـة غديـر خـم في ١٨ ذي الحجـة ١٠هـ/ ٦٣٢ م، نظـراً لأهميّتهـا وشـموليّة دلالتهـا الإسـلاميّة وتأثيرهـا عـلى الواقـع المسـتحدث للدولـة الإسـلاميّة بصفـة عامّـة، مـع الأخـذ بالاعتبـار دقّـة الجهـاز التنظيمـي للدولـة والحاكـم الشرعـيّ فيهـا وحساسـيته، ولا سـيّما إذا مـا كان التعيـين صـادراً مباشرة عـن الله تعـالى، بمـوازاة المفاهيـم التشريعيـة الواجـب التقيّـد بهـا، وذلـك مـن أجـل تنظيـم حيـاة الفـرد ومنـه إلى المجتمـع الإسـلامي بخاصّـة، وتنظيـم الدولـة بعامّـة، وقـد جـاء هـذا التعيـين مـن الناحيـة السياسـيّة عـلى وجـه الخصـوص، بقصـد تسـلّم السـلطة والحكـم في الدولـة الإسـلاميّة لمهمّـة تنفيـذ التشريـع الإسـلامي.

لقـد ارتبـط حديـث غديـر خـم، نظـراً لأهميّتـه وحساسـيّة مدلولاتـه الفكريّة والتنظيميّـة، بمجمـل الدّعـوة الإسـلاميّة بنـاءً عـلى مـا جـاء في الآيـة القرآنيـة الكريمـة: ﴿ يا أَيهَا الرَّسُولُ بلّغْ ماَ أُنزِلَ إِليكَ مِن ربِّك وإِن لَّم تفعل فماَ بلّغْت رِسالَته واللَّه يعْصِمُك مِن النَّاسِ إنِّ اللَّه لاَ يهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرِين ﴾



[1]، على وفق ما جاء في تفسيرات علماء المسلمين على حدٍّ سواء[2].

لن تغوص الدراسة في تفاصيل واقعة غدير خم التاريخيّة؛ لأنَّ ما كُتب عنها قد أفاض التبيان فيها، سواء أكان في كتب السُّنة أم في كتب الشيعة، إنَّما تعمد الدراسة إلى فلسفة الطاعة للولي الذي أوجب الله، من خلال التقيّد بلزوم الولاية لعليٍّ عليه السلام بما لها من دستور حياة للأُمّة الإسلاميّة، في الحياة الدنيا ومردود الرضى الربّاني في الآخرة، وتتمحور هذه العلاقة بالوليّ من ناحية إيجابيّة أو سلبيّة، سواء للمتمسّك به، أم للمعرض عنه والسالك مسلكاً آخر، فله آثار واقعيّة تمسّ الفرد بعينه، وصولاً إلى الأُمّة بأكملها.

لقد احتلّ حديث الغدير مكانة الميزان الفصل بين الإيمان والكفر بما قد أعلنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله يوم غدير خم، من وجوب الطاعة

(١) سورة المائدة، الآية ٦٦.

(٢) لمزيد من الاطلاع على المصادر والمراجع التي وثّقت حادثة غدير خم، راجع: أحمد بن علي طالب الطبرسي: الاحتجاج، تعليق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف، لا ط، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م: ١/ ٦٨-٩٠. عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م: ١/ ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٣٠. ومن روى الحديث ص ٣٥ - ٨٧. مصطفى الخسروشاهي (آية الله): معنى حديث الغدير، تحقيق: هادي الخسروشاهي، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٢٩هـ: ٢٨-٣١. محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م: الحديث ٤٤١٦/ ١٠٨٠-١٠٨١. مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبي قتيبة، دار طيبة، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م: الحديث ٢٤٠٤/ ١١٢٨.

والولاء لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، على الرغم من الأحاديث والتأكيد المستمر من الرسول صلَّى الله عليه وآله حول ولاية عليٍّ عليه السلام طيلة فترة بعثته، وأنَّه (ملعون من خالفه مرحوم من تبعه مؤمن من صدّقه)[١]، ثمَّ اعتبر الشاكّ بقوله فهو (كافر كفر الجاهلية الأُولى)[٢].

وانطلاقاً من حساسيّة التأييد والانقياد لأمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، الصادر عن الله تعالى، سواء بالتنفيذ العملي أم بالابتعاد عن التطبيق، فإنّ آثاراً بالغة الحساسيّة ترافقت معها، منها الموقف من البيعة لخلافة عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، سواء أكان موالياً له أَم مخالفاً، في مختلف مراحل مسيرته، وتكاملاً مع المواقف السياسيّة والاجتماعيّة بعده، والأحداث العاصفة بالأُمّة الإسلاميّة، مروراً ببيعة الإمام الحسن عليه السلام، واضطراره للصلح مع معاوية والتنازل عن الخلافة بشروطه سنة ٤٠هـ/ ٦٥٤م، وصولاً إلى واقعة الطفّ يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ/ ١٢/ ١٠/ ٦٨٠م، وقيام الإمام الحسين عليه السلام لاسترجاع خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله والإصلاح في أُمَّة جدّه، وهي سلسلة متواصلة من إمام معصوم إلى إمام معصوم يليه، حتى خلافة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، بما نصّت عليه بيعة الغدير بأمر من الله تعالى.

من هنا جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الترابط المباشر ما

(١) الطبرسي: الاحتجاج، مرجع سابق: ١/ ٧٤.

(٢) المرجع نفسه: ١/ ٧٥.

بين عدم الالتزام بأمر الولاية المطلقة لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام مع ما تَبِعها من أحداث وصولاً إلى تلك المرتبطة بعاشوراء، حينما مهّد لها الإمام الحسين عليه السلام في أثناء خروجه، برسم خارطة طريق واضحة الأُفق والمعالم، بعدما شهدت الأُمَّة الإسلاميّة الظلم والفساد، وصولاً إلى مرحلة ضياع المعتقد الديني الأصيل، فكان التصويب على مكامن الخلل وتوضيح الأهداف، وصدور مواقف ثابتة وكلمات راسخة حتى يومنا هذا، ومن ثمّ ختم حياته بالشهادة الخالدة إلى يوم القيامة.

أولاً: السلطة في مقام النبوّة

قبل الدخول في مشروعيّة ولاية الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، لا بُدَّ من تبيانِ مفصلٍ رئيسٍ من مفاصل الحكم في الإسلام، ومرتكزه الذي قامت عليه السلطة للنبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، من خلال الآيات القرآنيّة الكريمة، التي تفصل ما بين مقام الرَسوليّة ومقام النبوّة للنبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله، ومنه بانتقال السلطة إلى خليفته المحدّد من قبل الله تعالى، على وجهين اثنين، الأول مباشر من الله تعالى من خلال آية التبليغ بالخلافة والولاية، أمَّا الوجه الثاني، فكان من مقام النبوّة لمحمّد صلَّى الله عليه وآله، وإعلان خليفته للقيام بتسلّم مقاليد السلطة والحكم، مستنداً إلى الآيات القرآنية التي توليه هذه الصلاحية.

وتعود صلاحيّة ممارسة السلطة العملانيّة والحكم وإدارة الدولة إلى مقام النبوّة، وذلك بما نصّت عليه العديد من الآيات القرآنيّة، فقد ركّزت

تلك الآيات على شؤون السلطة والحكم للنبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وآله، فكانت بيعة الناس الثانية للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله في المدينة عند بناء الدولة، وابتداء العمل التنفيذي في مقام السلطة التنفيذيّة ورئاسة الحكم.

ويمكن الانطلاق من تلك البيعة بالتوازي مع نزول الآيات التشريعية لبناء كيان الدولة الإسلاميّة، حيث إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يتسلّم السلطة الإجرائيّة وإدارة الحكم قبلها، وقد جاءت بعض الآيات لتحضّ الرسول صلَّى الله عليه وآله على تسلم موقع السلطة من مقام النبوّة، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿النَّبِيُّ أَولى بِالْمُؤمِنينَ مِن أَنفُسِهِم...﴾[1]، وفيها مقام الولاية المطلقة ووجوب الطاعة.

كذلك نصّت الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...﴾[2]، وتعني القيادة، أي قيادة الدولة متزامنة مع القيادة العسكرية، وتضيف آية أُخرى بهذا المضمون ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ...﴾[3]، وتدخل في شؤون القتال والأَسر في الحروب التي يقودها.

من جهة أُخرى، كان منح منزلة المستشار والوزير والخليفة والحاكميّة لعليِّ بن أبي طالب عليه السلام، بمقتضى حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله «**ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون عليه السلام من موسى عليه**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

السلام، **إلَّا أنّه لا نبيَّ بعدي**»[1]، إذ رفع النبوّة فقط عن الإمام عليٍّ عليه السلام، في مقابل منحه صلاحية الحكم والخلافة، وقد أتت الآية الكريمة على مقام هارون النبيِّ من منزلته من موسى عليهما السلام ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا** ﴾[2]. وقد أجمع مختلف المحدثين والرواة من مختلف الطوائف على هذا الحديث ومكانة عليٍّ عليه السلام من النبيِّ محمّد صلَّى الله عليه وآله.

كذلك تبيّن بعض الآيات القرآنية موقعية السلطة في مقام النبوّة للنبيِّ داوود عليه السلام والنبيِّ سليمان عليه السلام، وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام.

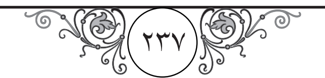
ثانياً: حديث الغدير يوجب السلطة لعليٍّ وبنيه عليهم السلام

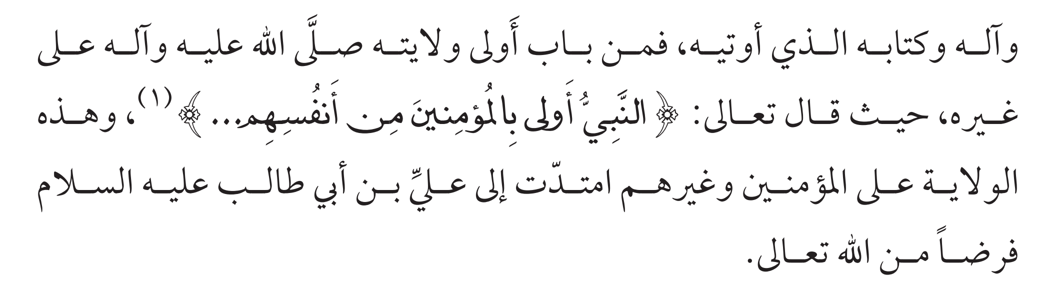
تتضمن النبوّة مقام تسلّم السلطة التي هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي التي تقوم مقام الولاية على المؤمنين، الذين هم بحسب الاصطلاح القرآني أعلى قيمة معرفيّة من غيرهم من أتباع الشرائع الأُخرى، حيث يؤمنون بكلِّ ما يؤمن به الآخرون فضلاً عن ما جاء به الرسول محمّد صلَّى الله عليه وآله، وهو الإيمان بنبوّة النبيِّ الخاتم محمّد صلَّى الله عليه

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق: الحديث ٤٤١٦ / ١٠٨٠-١٠٨١. مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، مرجع سابق: الحديث ٢٤٠٤/ ١١٢٨.

(٢) سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٣.





وآلـه وكتابـه الـذي أوتيـه، فمـن بـاب أَولى ولايتـه صـلَّى الله عليـه وآلـه عـلى غـيره، حيـث قـال تعـالى: ﴿ النَّبِيُّ أَولى بِالْمُؤمِنِينَ مِن أَنفُسِهِمْ... ﴾[1]، وهـذه الولايـة عـلى المؤمنـين وغيرهـم امتـدّت إلى عـليٍّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام فرضـاً مـن الله تعـالى.

وهنـا تـأتي طاعـة النبـوّة لمحمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه واجبـة عـلى الجميـع، فعندمـا يُفـرض ويُنَصّـب خليفـة لـه مـن بـاب ولايتـه النبويّـة، تصبـح ولايـة الـذي نصّبـه بشـكل مبـاشر أو غـير مبـاشر كولايتـه تمامـاً، مسـتمدّة مـن مقـام النبـوّة التـي هـي مقـام تسـلم السـلطة والحكـم، أي الولايـة عـلى الـدم والمـال والعـرض والأرض.

أمَّـا قولنـا للولايـة وجهـان، مبـاشر وغـير مبـاشر، فالمبـاشر تنصيبـه لعـليٍّ عليـه السـلام يـوم الغديـر، وغـير المبـاشر تنصيـب عـليٍّ عليـه السـلام الـذي مُنـح واسـع الصلاحيـات، مـن ضمنهـا تنصيـب خليفـة للنبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه المتـوفى، فـكان تنصيبـه للإمـام الحسـن عليـه السـلام، وبـدوره فالإمـام الحسـن عليـه السـلام[2] لـه أن ينصّـب خليفـة لرسـول الله محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه، وكان ذلـك الخليفـة هـو الإمـام الحسـين عليـه السـلام، سـواء أكان

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) لما كان الإمام الحسن عليه السلام له ما لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي له ما لرسول الله صلى الله عليه وآله من مقام النبوّة، فإنّ صلحه مع معاوية كصلح النبي صلى الله عليه وآله مع أبي سفيان في الحديبية.

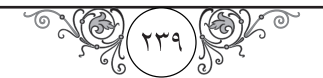
بنصِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله[١] أَم بنصّ اتفاق الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان، الذي كان من بنوده أنْ يتسلّم الحسين عليه السلام الخلافة في حال استشهاد الإمام الحسن عليه السلام وهلاك معاوية.

ولقد حدّد الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله مفهوم الالتزام بالمفاهيم الإسلاميّة، فربطها في بوتقة واحدة، لا يمكن استنساب ما يصلح لفرد أو لجماعة في ما يقابل ترك المفاهيم الأُخرى، مهما تنوّعت الأهداف أو المكاسب أو المصالح الفرديّة أو الجماعيّة على حدٍّ سواء، علماً أنَّه كان يدرك ما كان عليه قومه وأهل النفاق والشقاق بنكث البيعة والرجوع إلى الجاهليّة، لما كانت عليه أنفسهم من العداوة والبغضاء لعليٍّ عليه السلام[٢].

وبعد تبليغ الرسالة الإسلاميّة، وجعلها دستوراً قائماً للفرد والمجتمع والدولة معاً، بقيت فريضتان لاكتمال تعاليم الدين، فريضة الحج التي مهّدت لبلورة الفريضة الثانية وهي فريضة الولاية والخلافة بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله، حيث كان الإعلان عنها أمام جمع غفير من المسلمين، في تدبير مقصود الأبعاد؛ لأنَّ الموضوع يتعلّق بالخلافة والسلطة وليس فقط بالنصح والإرشاد والحبّ، أثناء اجتماع ما يقارب المئة وأربعة

(١) راجع: الطبرسي: الاحتجاج، مرجع سابق: ١/ ٦٨-٩٠.

(٢) المرجع نفسه: ٦٩.



وعشرين ألف مسلم أو أكثر، لأداء فريضة جماعيّة واحدة[1].

ذكرت كتب التاريخ حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله يوم غدير خم، حيث أعطى الخلافة للإمام عليٍّ عليه السلام، من أجل تسلّم السلطة وإقامة الحكم الإسلامي بأمر من الله تعالى، وجاء تأكيد الآية القرآنيّة: ﴿... إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّه... ﴾[2]، فتكون فلسفة إقامة حكم الله عبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله مباشرة، ومنه عبر الوصيّ، فيرتبط بذلك حكم الوليّ بحكم الله مباشرة، بعد تأكيد الله تعالى على أنَّه ﴿... وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ... ﴾[3]، وفي الثانية ﴿... هم الظالمون... ﴾[4]، وفي الثالثة ﴿... هم الفاسقون... ﴾[5]، وما دليل تكرار التوكيد إلَّا لربط الحاكم والعمل بالتشريع الربّاني ببعضهما، وتوصيف المعارضين بالكافرين والظالمين والفاسقين.

لذا من الواجب ربط الآيات القرآنيّة فيما بينها؛ لأنَّها جزء لا يتجزأ، ولا سيّما لجهة إقامة الدولة الإسلاميّة وتنصيب الخليفة والعمل بمضمون التشريع الإسلامي، وهذا ما أوضحته آية التبليغ، بفرض تنصيب عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام خليفة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، لكونها

---

(١) راجع: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: الغدير في الكتاب، مرجع سابق: ١/ ٢٧.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠؛ والآية: ٦٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

تـأتي في هـذا السـياق القـرآني.

أ/ حديث الغدير أساس الدعوة الإسلامية الشاملة

بـرز حديـث الولايـة يـوم غديـر خـم سـنة ١٠هـ، عـلى أنّـه الخطـاب الفصل لأُمَّـة النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، منطلقـاً مـن مفهـوم الولايـة النبويّـة المطلقـة عـلى النـاس، فـكان الأمـر الإلهـي للنبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه أن «... **اعهـد عهـدك وقـدم وصيّتـك واعمـد إلى مـا عنـدك مـن العلـم وميراث علـوم الأنبيـاء مـن قبلـك والسـلاح والتابـوت وجميـع مـا عنـدك مـن آيـات الأنبيـاء، فسـلّمه إلى وصيّـك وخليفتـك مـن بعـدك حجتـي البالغـة عـلى خلقـي عـليِّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام، فأقمـه للنـاس علـماً وجـدد عهـده وميثاقـه وبيعتـه**»[1]، وتـلا ذلـك نـزول آيـة التحذيـر التـي أكّـدت مقـام تنصيـب عـليٍّ عليـه السـلام في مقابـل رسـالة الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه، فجـاءت تحضّـه عـلى التبليـغ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[2].

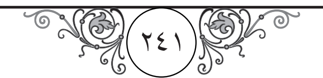
ب/ مبايعة المسلمين لعليٍّ عليه السلام والمباركة له

أجمـع المسـلمون عـلى بيعـة عـليٍّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام، إنفـاذاً لأمـر رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، وتنفيـذاً لأمـر الله تعـالى، فصـدع النبـيُّ صـلَّى

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج، مرجع سابق: ١/ ٦٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.



الله عليه وآله بإبلاغ عموم المسلمين «...**اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ...**»[1]، وقد زاد عليه «**وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ**»[2]، ثمّ كان نزول الآية القرآنيّة الكريمة ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً**﴾[3]، بما فيها من العمل التشريعي، والانتقال إلى العمل التنفيذي، حتى بلوغها مقام إتمام النعمة الإلهيّة، وموضعها من رضا الله تعالى في نشر الإسلام وتعاليمه، فيكون اكتمال دين أُمَّة محمّد صلَّى الله عليه وآله.

من هنا جاءت التهنئة من عموم المسلمين، وأقرّ وجهاؤهم بولايته، وقام عمر بن الخطّاب مؤكداً أمر الولاية لعليٍّ عليه السلام بقوله: (بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم)[4].

ثالثاً: السلطة في غير موضعها

ما إنْ عاد المسلمون إلى ديارهم وهم قائمون على بيعة الإمام عليٍّ عليه

(١) أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩م: ٢/ ٧١، و٩٣-٩٤، و٢٦٢-٢٦٣، و٢٦٨-٢٦٩.

(٢) المرجع نفسه: ٢/ ٢٦٣. محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: ١/ ١٣٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣.

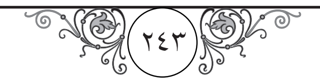
(٤) أحمد بن علي بن ثابت (المعروف بالخطيب البغدادي): تاريخ مدينة السلام، وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها (المعروف بتاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م: ٩/ ٢٢٢.

السلام، حتى انقلبوا عليها في محضر رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فكانت شرارة انطلاقة النكث بها، التي أسّست فيما بعد لاستبعاد الإمام عليٍّ عليه السلام عن الحكم، بل أخذ البيعة منه تحت الإكراه، وما كان ذلك منه إلَّا لحفظ دماء المسلمين واستمرار الدين الإسلامي في المجتمع العربي الذي كان على بدايات التأقلم في مجتمع إسلامي ودولة فتيّة جديدة، تحكمها الأحكام الشرعيّة الدينيّة التي جاء بها الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله.

وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى وجود اختلاف كبير ما بين خلافة الرسول صلَّى الله عليه وآله المنصوص عليها في الآية القرآنيّة وحديث الغدير، وبين خلافة المسلمين التي استولى عليها المتنفذون لرئاسة الحكم تحت مسمّى خليفة، فيما استمرّ الحكم وراثياً حتى نهايات العهد العباسي.

تؤكد النصوص القرآنيّة والحديثيّة على مشروعيّة خلافة عليٍّ عليه السلام وأبنائه عليهم السلام في ميادين الحكم الإسلامي كافة، بما يشمل الديني والدنيوي معاً، فهي خلافة تعمل على تطبيق المفاهيم الإسلاميّة في الجوانب الحياتيّة كافة، فتبدأ باستلام الحكم بما تشمل مفاصل الدولة وأركانها، وثمّ في الشأن الديني وتأويل الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة وتفسيرها، وسنّ التشريعات والقوانين من منطلق ما جاء به رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

أما فيما يتعلّق بالخلافة التي قامت على رئاسة الحكم، فهي لا تستند إلى شرعية قرآنية أو حديثية، إنَّما انطلقت تحت مسمى خليفة المسلمين، أو



خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وجاءت من باب الإمرة والقيادة للمسلمين بلبوس شرعي يكتنفه التسلط والقهر.

لذا لا بُدَّ من التمييز ما بين المسمّى الأَوّل المنطلق من عمق الدعوة الإسلاميّة، وبين المسمّى الثاني المنطلق من قاعدة رئاسة الحكم والإمرة.

أ/ بداية نقض البيعة

لم يكد يمرّ شهران ونيّف على بيعة المسلمين لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم، حتى بدأت بوادر الانقلاب والتفلّت منها، والتهيّؤ لمرحلة جديدة من الحكم، وذلك قبل رحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله، حينما وفدت جماعة منهم عليه، فقال: «**ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده**»، فأبى عمر، وعبّر عن رفضه مليّاً بقوله إنَّ (النبيَّ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا)[١]، فاختلف القوم فيما بينهم وكثُر اللغط، الأمر الذي دفع برسول الله صلَّى الله عليه وآله إلى طردهم من مجلسه، وقد عبّر ابن عبّاس عن خطر الفتنة الداهم، أنَّ (الرزيّة كلَّ الرزيّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله)[٢].

ب/ سقيفة بني ساعدة تؤسّس لاغتصاب الحكم من عليٍّ عليه السلام

(١) البخاري: صحيح البخاري، مرجع سابق: ٤١.

(٢) المرجع نفسه، المكان نفسه؛ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨ هـ): الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت: ١/ ٢٢.

دخلت الدولة الإسلاميّة نفق الانقسام الفعليّ بين من عاش الإيمان وثبت على الولاية والبيعة يوم الغدير، ومن كان يسعى لاستلام الحكم وقيادة الدولة، بصرف النظر عن الأحقيّة في ذلك.

فحين وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله في ٢٨ صفر ١١ هـ/ ٢٥ أيار ٦٣٢، وبينما كان الإمام عليٌّ عليه السلام منهمكاً بتجهيزه لدفنه، متعالياً عن المسائل الدنيوية، كان الأنصار، بأوسهم وخزرجهم، مجتمعين في سقيفة بني ساعدة يتداولون أمر الخلافة كي لا تخرج من حوزتهم، ثمَّ التحق بهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجرّاح وعدد من المهاجرين، فاستغلّوا الاجتماع وحاجُّوهم بشأن الخلافة، طالبين البيعة منهم، فكان الانحلال العلني الأوَّل من بيعة يوم الغدير، ودارت سجالات حامية فيما بينهم، انتهت إلى فرض عمر بيعة أبي بكر، تحت ذريعة أنَّ الله اختاره لهذا المقام وقرابته من رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فتقدّم على الحاضرين بمبايعته وسلّمه زمام الأُمور بقوله: (ابسط يدك يا أبا بكر، ما كان لأحد أن يؤخّرك عن مقامك الذي أقامك الله فيه)[1]، وهو أمر لم يكن وليد لحظته، إنَّما كان العمل عليه سابقاً بمدلول علم الرسول صلَّى الله عليه وآله (بقلة المتّقين وكثرة المنافقين وإدغال الآثمين وختل المستهزئين بالإسلام)[2]، وقد خاطب الإمام عليٌّ عليه السلام أبا بكر ببيتين

(١) هاشم معروف الحسني: سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، القسم الأول: ٢٦١.

(٢) الطبرسي: الاحتجاج، مرجع سابق: ١/ ٧٣.



شعريّين[1]:

فإن كنت بالشورى ملكت أُمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيَّبُ
وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيْمَهُم فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

اعتلى أبو بكر سدّة الحكم (١١-١٣هـ)، ثمَّ كان عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ)، ثمّ جاء عثمان بن عفّان (٢٣-٣٥ هـ)، تحت مسمّى خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله فلم يبايعهم الإمام عليٌّ عليه السلام حتى أُخرج كرهاً[2]. وقد أعلن الإمام عليٌّ عليه السلام موقفه الرافض لمبدأ الانتخاب والتعيين والشورى، الأمر الذي أدّى إلى اغتصاب خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله المفروضة له بنصّ الغدير وغيره، إلَّا أنّه أبى أن يمضي إلى فتنة بين المسلمين يؤجّج سعيرها الأُمّة بأكملها، فاكتفى بالشجب وتوضيح المقام، وأوضح ذلك في الخطبة الشقشقيّة: «**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فلان وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً**

(١) عباس القمي: بيت الأحزان، دار الحكمة، قم، ط ١، ١٤١٢هـ: ١١٩.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩م: ٢/ ٢١.

حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فلان بَعْدَهُ...»[1].

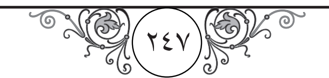
ج/ دولة الحكّام الثلاثة دون ولاية عليٍّ عليه السلام

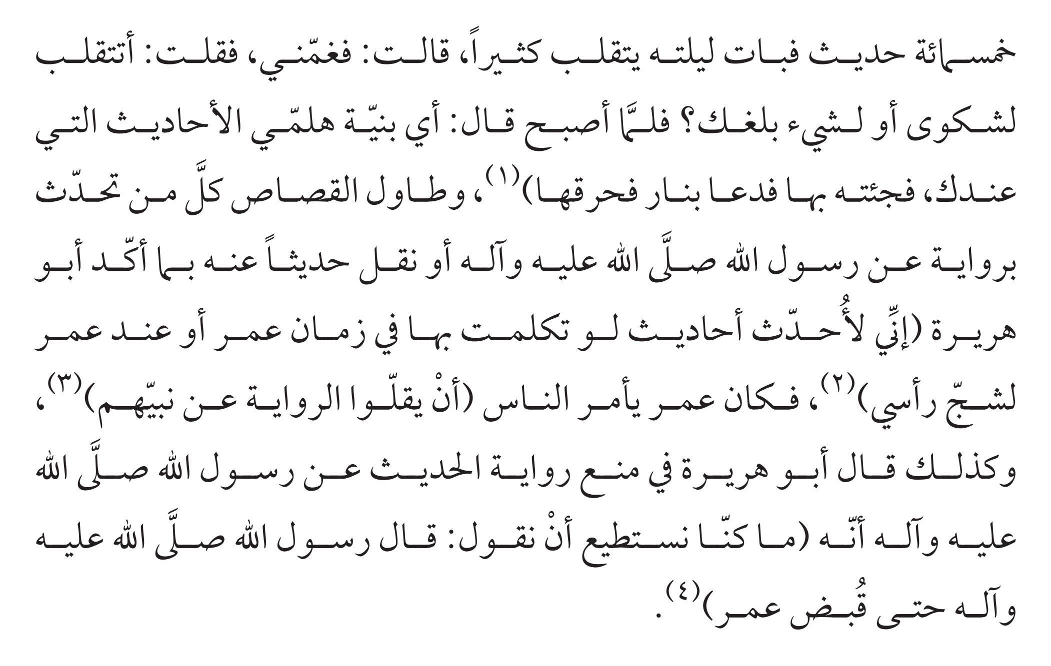
أقام الحكّام الثلاثة حكماً سياسيّاً توسّعوا من خلاله إلى بعض المناطق المجاورة لشبه الجزيرة العربية باسم (الفتوحات الإسلاميّة)، وشنّوا حروباً بهدف جمع الزكاة والأموال للسلطة، تحت ذريعة الحرب ضدّ المرتدّين، كما حصل مع مالك بن نويرة، أحد أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والإمام عليٍّ عليه السلام، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله نصّبه وكيلاً لقبض زكاة قومه وتوزيعها على الفقراء، فلمّا بلغه وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أمسك الصدقة وفرّقها في قومه[2]، ورفض مبايعة أبي بكر وأنكر عليه تسلّمه قيادة الأُمّة فكان قتله، ومن ثمّ كانت فاحشة خالد بن الوليد بزوجة مالك، التي وجدت مبرراً لها من حكّام الدولة.

من جهة أُخرى، وفي حدث بالغ الأهميّة بانعكاساته السلبية على الأُمّة الإسلاميّة، فقد أقدم كلٌّ من أبي بكر وعمر بن الخطاب على جمع أحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله والمرويات عنه ومن ثمّ تمّ إحراقها، كما روت عائشة بأنّه (جمع أبي الحديث عن رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وكانت

(١) راجع: خطبة الشقشقية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م: ٤٠-٤٧.

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ: ٥/ ٥٦٠.





خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت: فغمّني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح قال: أي بنيّة هلمّي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها)[١]، وطاول القصاص كلَّ من تحدّث برواية عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أو نقل حديثاً عنه بما أكّد أبو هريرة (إنِّي لأُحدّث أحاديث لو تكلمت بها في زمان عمر أو عند عمر لشجّ رأسي)[٢]، فكان عمر يأمر الناس (أنْ يقلّوا الرواية عن نبيّهم)[٣]، وكذلك قال أبو هريرة في منع رواية الحديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنّه (ما كنّا نستطيع أنْ نقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله حتى قُبض عمر)[٤].

وتشكّل هذه الممارسات عمليّة طمس للأحكام والتشريع الإسلامي الذي كان يستند على مرويّات الرسول صلَّى الله عليه وآله وأحاديثه، ما أدّى إلى ضياع سلسلة فكريّة ومرتكزات أساسيّة أهمها في الخلافة الإسلاميّة، والعديد من الأحكام الشرعيّة بمختلف جوانبها.

رابعاً: عليٌّ عليه السلام يستعيد خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله ويقيم الدولة الإسلاميّة

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان (المعروف بالذهبي): تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١/ ٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م: ٨/ ١١٥.

(٣) الذهبي: تذكرة الحفاظ، مرجع سابق: ١/ ٦.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، مرجع سابق: ٨/ ١١٥.

بعد مقتل عثمان بن عفّان سنة ٣٥هـ، استعاد الإمام عليٌّ عليه السلام خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، (٢٥ ذو الحجة ٣٥-٢١ رمضان ٤٠ هـ/ حزيران ٦٥٦-كانون الثاني/ ٦٦١)[١]، بمبايعة المسلمين، فأقام الحدود من مصادر التشريع الإسلامي، وعمل على نشر التعاليم الدينيّة.

المؤامرات في وجه عليٍّ عليه السلام

لم يسلم أمير المؤمنين عليه السلام من الفتن والمؤامرات التي حيكت ضدّه والعمل على إفشال حكمه للسيطرة على مقاليد الحكم، فشهد عهده الذي قارب الخمس سنوات، ثلاث حروب داخل الدولة الإسلامية.

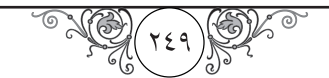
١- حرب الجمل

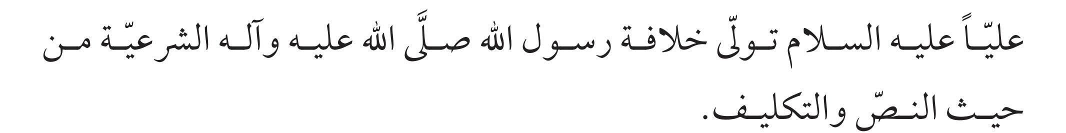
كانت حرب الجمل (٣٦ هـ/ ٦٥٦م) أُولى المعارك الداخليّة، بقيادة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوّام وعائشة بنت أبي بكر بذريعة الأخذ بالثأر لقتل عثمان، وتعدُّ (أوّل حركة خروج على الرئاسة الشرعيّة للدولة)[٢]، وقد وصفها الحديث النبويّ أنّها حرب (الناكثين)[٣]، ولا سيّما أنَّ الإمام

(١) راجع: محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م: ٣/ ١٧٣.

(٢) محمد بن زكريا الغلابي البصري: وقعة الجمل، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م: ٧.

(٣) علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م: ٢/ ٦٢٦.





عليّاً عليه السلام تولّى خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله الشرعيّة من حيث النصّ والتكليف.

وكانت عائشة تعمل على تحريض المسلمين لقتال عليٍّ عليه السلام حينما أرسلت برسالة إلى زيد بن صوحان العبدي، لمّا نزل عليٌّ عليه السلام بالبصرة، تطلب منه (فأقم في بيتك، وخذّل الناس عن عليٍّ، وليبلغني عنك ما أحبّ، فإنّك أوثق أهلي عندي والسلام)، فكتب إليها: (من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أمَّا بعد، فإنَّ الله أمرك بأمر وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرّي في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك، فأمرتني أن أصنع خلاف ما أمرني الله، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعتِ ما أمرني الله به، فأمرك عندي غير مطاع، وكتابك غير مجاب، والسلام)[1]، في المقابل وضع الإمام عليٌّ عليه السلام قواعد سلوكيّة في الحرب، ألزم عناصره باتباعها[2]، لما تحمل من أخلاقيات إسلاميّة عالية في القتال والأسر، وقد انتهت هذه الحرب بانتصار عليٍّ عليه السلام ومقتل طلحة والزبير وعودة عائشة إلى المدينة.

٢- حرب صفّين

عندما تسّلم الإمام عليٌّ عليه السلام سدّة الخلافة، عمل على إصلاح الدولة بعزل بعض الولاة وتعيين آخرين، حيث وضع سنناً للتعامل

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ٦/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢٢٨.

بين الولاة والناس، وقد وردت في (نهج البلاغة) العديد من الرسائل التي أرسلها لولاته[1]، أبرزها وصيّته لمالك بن الأشتر[2]، طالباً منه أن لا يكون عليهم «**سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنّهم صنفان: إمَّا أخ لك في الدين، وإمَّا نظير لك في الخلق**»[3].

وبعدما انتهى الإمام عليٌّ عليه السلام من حرب الجمل، عمل على إقالة معاوية من ولاية الشام، بعدما استخلفه أبو بكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان، وكان تولّى مدة عشرين سنة[4]، فرفض معاوية أمر الإمام عليٍّ عليه السلام، فكانت حرب صفّين في شهر صفر ٣٧ هـ/ تموز ٦٥٧ م، التي وصفها الرسول صلَّى الله عليه وآله بحرب (القاسطين)[5]، وانتهت في شهر رمضان من العام التالي، بعد سقوط آلاف القتلى، بطلب معاوية بعد وقوع الهزيمة في جيشه، بمشورة عمرو ابن العاص، فأمر برفع المصاحف على رؤوس الرماح، والعودة بالتحكيم إلى القرآن الكريم، فكانت خديعة قاسية انطلت على معظم المتقاتلين، الأمر الذي دفع

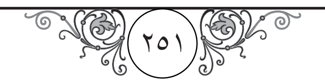
(١) راجع رسائل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لولاته: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مصدر سابق: ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢ وغيرها.

(٢) راجع عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لمالك بن الأشتر: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مصدر سابق،: ٥٨٣-٦١٠.

(٣) المصدر نفسه: ٥٨٤.

(٤) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م: ١٥٦.

(٥) المسعودي: مروج الذهب، مرجع سابق: ٢/ ٦٢٦.



بالإمـام علـيٍّ عليـه السـلام إلى وقـف الحـرب.

ويُعـرف عـن معاويـة وعمـرو بـن العـاص أنّهـما مـن دهـاة العـرب[(١)]، فيـما كان كلام لأمـير المؤمنـين عليـه السـلام في وصـف معاويـة أنَّـه «**وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَة فَجْرَةٌ، وَكُلُّ فَجْرَة كَفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِر لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللهِ مَا أَسْتَغْفَلُ بالْمَكِيدَةِ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بالشَّدِيدَةِ**»[(٢)].

٣- حرب النهروان

حـرب النهـروان، أو حـرب الخـوارج، صفـر ٣٨ هــ/ تموز ٦٥٨ م، وأُطلق عليهـا حـرب (المارقـين)[(٣)]، جـرت ضـدّ الذيـن تمـرّدوا عـلى حكـم الإمـام علـيٍّ عليـه السـلام، وعاثـوا في الأرض فسـاداً بعـد التحكيـم الـذي أطلقـه معاويـة في حـرب صفّـين، ورأى الإمـام عليـه السـلام في شـعارهم (لا حكـم إلَّا لله) عـلى أنَّـه (كلمـة حـقٍّ يُـراد بهـا باطـل)[(٤)]، ثـمَّ خطـب فيهـم: «**لكـم عندنـا ثـلاث خصـال: لا نمنعكـم مسـاجد الله أن تصلّـوا فيهـا، ولا نمنعكـم**

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، مرجع سابق: ٨/ ١٠٩.

(٢) راجع كلام الإمام علي بن أبي طالب في معاوية: نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مصدر سابق: ٤٣٥.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، مرجع سابق: ٢/ ٦٢٦.

(٤) محمد الريشهري: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ: ٦/ ٣٤٢.

الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدأُكم بحرب حتى تبدؤونا بها، وأشهد لقد أخبرني النبيُّ الصادق صلَّى الله عليه وآله عن الروح الأمين عن ربِّ العالمين أنَّه لا يخرج علينا منكم فرقة - قلّت أو كثرت إلى يوم القيامة - إلَّا جعل الله حتفها على أيدينا، وأنَّ أفضل الجهاد جهادكم، وأفضل الشهداء من قتلتموه، وأفضل المجاهدين من قتلكم؛ فاعملوا ما أنتم عاملون، فيوم القيامة يخسر المبطلون، ولكلِّ نبإ مستقر وسوف تعلمون[1]»[2].

وكان الإمام عليٌّ قد أخبر عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنَّه **«سيخرج قوم يتكلّمون بكلام الحقّ لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الحقّ خروج السهم - أو مروق السهم - سيماهم أنَّ فيهم رجلاً مخدج اليد، في يده شعرات سود، فإنْ كان فيهم فقد قتلتم شرَّ الناس»[3].**

انتهت معركة النهروان بهزيمة مدّوية للخوراج، فلم يسلم منهم أكثر من عشرة أشخاص منهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي قاتل أمير المؤمنين[4]، في حين أنَّه لم يبلغ عدد القتلى من جيش الإمام عليٍّ العشرة[5].

---

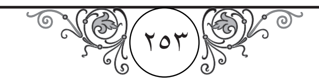
(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٧.

(٢) محمد الريشهري: موسوعة الإمام علي عليه السلام، مرجع سابق: ٦/ ٣٤٢.

(٣) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، دار الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م: ٢/ ٣٧٦.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، مرجع سابق: ٢/ ٦٢٨.

(٥) المرجع نفسه، المكان نفسه؛ البلاذري: أنساب الأشراف، مرجع سابق: ٢/ ٣٧٣.





تمثّل هذه الحروب والمؤامرات في وجه عليٍّ عليه السلام المنطلق الثاني للنكث العلني ببيعة الغدير، بعدما كان الأول في اجتماع السقيفة، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله قد أخبره بأنَّه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على تأويل القرآن[1]، بعد أمره لهم أنْ «**اسمعوا وأطيعوا لمن ولّاه الله الأمر، فإنَّه نظام الإسلام**»[2]، فكان ذلك بتآمر تامّ وواضح لإضعافه وإنهاكه، الأمر الذي أدى إلى استشهاده فيما بعد سنة ٤٠ هـ/ ٦٦١م.

خامساً: خلافة الإمام الحسن عليه السلام من خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله في الغدير

عمل أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام بما تستلزمه أحكام الشرع الديني والخلافة التي نصّت عليها واقعة غدير خم، فكان أنْ أعلن ولده الحسن المجتبى عليه السلام خليفته، بما يتضمّن الحكم الإلهي لذلك، وما نطق به رسول الله صلَّى الله عليه وآله. تلك الخلافة المنبعثة من أُصول واقعة غدير خم حينما طلب من الناس أجمعين أن يُقرّوا ويقولوا (إنّا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلّغت عن ربنا وربك في أمر عليٍّ عليه السلام وأمر ولده عليه السلام من صلبه من الأئمة عليهم السلام، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا على ذلك نحيا ونموت ونبعث ولا نغيّر ولا نبدّل ولا نشكّ ولا نرتاب ولا نرجع عن

---

(١) الطبرسي: الاحتجاج، مرجع سابق: ١/ ١٧٤.

(٢) الشيخ المفيد: الأمالي، تحقيق: حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م: ١٤.



عهد ولا ننقض الميثاق نطيع الله ونطيعك وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام وولده الأئمة عليهم السلام الذين ذكرتهم من ذريّتك من صلبه بعد الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام الذين قد عرفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربّي عزَّ وجلَّ، فقد أدّيت ذلك إليكم وأنّهما سيدا شباب أهل الجنة، وأنّهما الإمامان بعد أبيهما عليٍّ عليه السلام وأنا أبوهما قبله، وقولوا: أطعنا الله بذلك وإيّاك وعليّاً عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والأئمة عليهم السلام الذين ذكرت عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأمير المؤمنين عليه السلام من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما»[1]، ثمَّ أردف قائلاً لهم أن «... **اتّقوا الله وبايعوا علياً أمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والأئمة عليهم السلام...**»[2]، وكان قد أوضح عدد الأئمة من بنيه أنَّ «**الأئمة بعدي عددهم عدد نقباء موسى عليه السلام، اثنا عشر إماماً**»[3]، فضلاً عن كثير من أحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله حول إمامتهما بقوله «**ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا**»[4].

وما ورد فيهما أيضاً في تثبيت الخلافة أنَّ «**ملَكاً نزل من السماء على صفة الطير، فقعد على يد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله فسلّم عليه بالنبوّة**

(١) الطبرسي: الاحتجاج، مرجع سابق: ١/ ٨٢.

(٢) المرجع نفسه، المكان نفسه.

(٣) الشيخ المفيد: النكت في مقدمات الأصول، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م: ٤٨.

(٤) المرجع نفسه، المكان نفسه.

وعلى يد عليٍّ فسلَّم عليه بالوصية، وعلى يد الحسن والحسين فسلَّم عليهما بالخلافة...»[1].

إنَّ منطلق خلافة الإمام الحسن عليه السلام لرسول الله صلَّى الله عليه وآله هي بداية خلافة سلسلة الأئمة المعصومين بعد عليٍّ عليه السلام، وقد استلم الحسن عليه السلام مقاليد الحكم والخلافة على ما كان عليه والده، من تنفيذ الأحكام الشرعيّة، وإقامة الحدود، والأخذ بسياسة واضحة المعالم لإدارة الدولة على وفق المبتنيات الإسلامية.

وما يلفت النظر لدى معظم كُتّاب التاريخ، هو حذف مدّة حكم الإمام الحسن عليه السلام للدولة الإسلامية من التداول في السياق التاريخي للدولة الإسلامية، والاكتفاء بحكم الخلفاء الثلاثة الأوائل إضافة إلى خلافة الإمام عليٍّ عليه السلام، تحت مصطلح (الخلافة)، في حين أنَّ خلافة الإمام الحسن عليه السلام إلى أنْ صالَحَ معاوية، بلغت ستة أشهر وثلاثة أيام[2]، وقد ورد في بعض المصادر عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنَّ (الخلافة ثلاثون سنة ثمّ تكون مُلكاً)، حيث تبلغ حتى نهاية ولايته تمام (ثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً من أول عهد أبي بكر)[3]،

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، مطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م: ٣/ ١٦٢.

(٢) علي بن محمد أحمد المالكي (المعروف بابن الصباغ): الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ: ٢/ ٧٣٢.

(٣) المرجع نفسه: ٢/ ٧٣٢-٧٣٣.

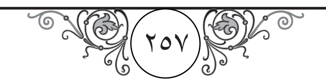
ما يسلتزم اعتبار إجمال فترة الخلافة تمتد حتى نهاية خلافة الإمام الحسن عليه السلام، باعتباره الخليفة الخامس، إذا ما تمّ جمع سنوات الخلافة منذ بداية حكومة أبي بكر عام ١١ هـ/ حتى نهاية خلافة الإمام الحسن عليه السلام عام ٤١ هـ، هذا مع الأخذ بالاعتبار أنَّ حكم الإمام الحسن عليه السلام يأتي في سياق الشقّ العملاني لخلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله بما نصّ عليه حديث الغدير وغيره، وذلك ما يُنتج مظلوميّة كبرى بحقّ الإمام الحسن عليه السلام وعدم إيفائه حقّه في خلافة النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله.

أ: البيعة للحسن عليه السلام

بعد استشهاد أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، خطب الإمام الحسن عليه السلام في الناس معرفاً بنفسه قائلاً: «**أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله تعالى مودتهم في كتابه فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ فالحسنة مودتنا أهل البيت**»[1].

ثمَّ طلب عبد الله بن عباس المبايعة من الناس للحسن عليه السلام،

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، تحقيق: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥م: ٣٣. الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٧هـ: ١/ ٤٠٧.



فاستجابوا له (وتبادروا إلى البيعة له بالخلافة)[1]، في الكوفة والبصرة والحجاز واليمن وفارس والعديد من المناطق الأُخرى التي كانت على بيعة والده عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام[2].

ب: ظروف صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية واغتصاب الخلافة منه

إنَّ الظروف الميدانية التي عايشها الإمام الحسن عليه السلام[3]، لم تكن لتسمح له بالبقاء في سدة الحكم، وإنَّما تنازل عن قيادة الدولة التي تولاها مدّة لا تزيد عن سبعة أشهر، سنة ٤٠هـ، لما كان من حساسية مفرطة في اجتناب المعارك العسكرية مع معاوية، حفاظاً على دماء المسلمين، مجيباً إنِّي «**لو أردت بما فعلت الدنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب مني، ولكنِّي أردت صلاحكم، وكفّ بعضكم عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه، حتى يستريح بر، أو يستراح من فاجر**»[4]، وقد بيّن ذلك بقوله لمعاوية: «**تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأُمَّة وألفتهم**»[5]، وأوضح أحقيته في الخلافة «**وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنَّك تعلم أنِّي أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كلِّ أواب حفيظ**

---

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م: ٢/ ٨-٩.

(٢) أحمد محمد إسماعيل: صلح الحسن، غدير عز ولغز جهاد، دار الهادي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م: ٧٥.

(٣) راجع: أحمد محمد إسماعيل: صلح الحسن، مرجع سابق: ١٤٣-١٤٨.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، مصدر سابق: ١٦/ ١٥.

(٥) المصدر نفسه: ١٦/ ١٤.

ومن له قلب منيب واتق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر ممَّا أنت لاقيه به، فادخل في السّلم والطاعة ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منك»[١].

لم يكن الإمام الحسن عليه السَّلام ليتنازل عن الخلافة الحقّة له إلَّا كُرهاً، بسبب الظروف القاسية التي عايشها، فهي خلافة منصوص عليها في المرويات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وكثرة الأحاديث عنه، ثمّ أسند الخلافة من بعده إلى الإمام الحسين عليه السلام، عملاً بهذه الصلاحية.

ج: مكيدة معاوية

تعدّدت بنود صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية[٢]، فشملت عناوين عدّة منها: استعادة السلطة إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد معاوية[٣]، فإن لم يكن حيّاً فإلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام[٤].

لم يتسلّم معاوية الحكم عبر الانتخاب أو الجماعة أو الشورى، ولم تستند حكومة معاوية إلى رضا الأُمّة أو مشورتها، إنَّما فُرضت عليها بقوّة السلاح

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، مرجع سابق: ٣٦.

(٢) راجع: أحمد محمد إسماعيل: صلح الحسن عليه السلام، مرجع سابق: ١٥٠-١٥٨. باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن عليه السلام، دار البلاغة، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م: ٢/ ٢٣٣-٢٣٨.

(٣) جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، مرجع سابق: ١٥٣.

(٤) راجع: باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن عليه السلام، مرجع سابق: ٢/ ٢٣٤.

والخديعة، وقد عبّر بنفسه عن هدفه لاستلام الحكم، مجاهراً بذلك: (والله إنِّي ما قاتلتكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكّوا، وإنَّكم تفعلون ذلك، وإنَّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، فقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون)(1)، ثمَّ أعلن نكثه لصلح الإمام الحسن عليه السلام وعدم الوفاء به، وأنَّ (كلَّ شيء أعطيته الحسن بن عليٍّ تحت قدميَّ هاتين لا أفي به)(2).

وكان الإمام الحسن عليه السلام قد وصف معاوية بما فيه من صفات تبيّن حقيقة أمره، التي لا تسمح له لأنْ يكون حاكماً للأُمّة الإسلامية، على غرار ما كان الإمام عليٌّ عليه السَّلام قد وصفه به، بأن «**هيهات هيهات لشرّ ما علوت يا بن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رجلان بين مطيع ومكره، فالطايع لك عاصٍ لله، والمكروه معذور بكتاب الله، وحاشى لله أن أقول أنا خير منك فلا خير فيك، ولكنَّ الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل**»(3)، وذلك بعدما فاخر معاوية بنفسه بأنَّ الناس قد أجمعوا عليه ولم يجمعوا على الإمام عليه السلام.

وتعدُّ مكيدة معاوية واستلامه الحكم المنطلق الثالث العلني للنكث ببيعة الغدير، وإنَّ عوامل انطلاق ثورة الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بدأت تتجمع منذ اجتماع السقيفة وصولاً إلى بيعة يزيد بن معاوية سنة

(1) باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسن عليه السلام، مرجع سابق: ٢/ ٢٥٤.

(2) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، مرجع سابق: ٤٥.

(3) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، مرجع سابق: ٣/ ١٨٦.

٦٠ هـ، مروراً بمفاصل الحكام الثلاثة الأوائل وحكم معاوية، وما نتج عنه من مفاسد على الأُمَّة، فانطلقت ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام من شرارة إلزاميّة بيعته ليزيد التي أبى أنْ يرضخ لها، وطالب باسترجاع أحقيّته بخلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

سادساً: خلافة الإمام الحسين عليه السلام من خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله في الغدير

نصّ حديث الخلافة يوم الغدير على تسلسل الخلفاء من ذريّة عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، فهي حقّ مثبت لهم في سياق الآيات القرآنيّة التي نصّت على ولاية عليٍّ عليه السلام، ومنه لولده الحسن عليه السلام، ومنه إلى أخيه الحسين عليه السلام، بموجب نصّ التعيين عن الله مباشرة، ونصّ تعيين النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وآله الوارد في سياق صلاحية مقام النبوّة، ومن ثمَّ من مقام الصلاحيّة المعطاة للإمام المعصوم في أصل تعيين خليفته، فكان انتقال خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله من إمام معصوم إلى إمام معصوم آخر بعد الوفاة، إذ إنّه لم تجتمع صلاحية الحكم والخلافة في إمامين معصومين معاً في الوقت نفسه، وإنْ كان هناك إمامان أو أكثر، معصومون على قيد الحياة.

لم يبلغ الإمام الحسين عليه السلام سدّة الحكم بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام لوجود معاوية حياً، غير أنَّ معاوية أسند ولاية العهد لولده يزيد، بعد نقضه لبنود الصلح، وطلب البيعة من الإمام الحسن

عليه السلام فرفض فدسَّ له السم[1]، ما أدّى إلى استشهاده سنة ٤٩ هـ/ ٦٦٩م[2]، ثمَّ عمل يزيد على أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام بالقوة، ما شكّل منطلق ثورة الإمام الحسين عليه السلام في وجهه.

أ: رفض البيعة ليزيد

بعد أن استولى يزيد على مقاليد الحكم، طلب من والي المدينة الوليد بن عتبة أخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، فرفض بمقولته المشهورة «... **إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة...** »[3].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، مرجع سابق: ٤٨.

(٢) تعدّدت الروايات حول استشهاد الإمام الحسن عليه السلام ما بين العام ٤٩ و٥٠ و٥١ هـ. راجع: البلاذري: أنساب الأشراف، مرجع سابق: ٣/ ٦٤. الكليني: الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣هـ: ١/ ٤٦١-٤٦٢. الشيخ المفيد: الإرشاد، مرجع سابق: ٢/ ١٥. تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي: إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م: ٥/ ٣٦١. يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م: ١/ ٣٨٩.

(٣) السيد ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، نشر أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٧هـ:

وقد حدّد الموقف الشرعي لكلّ إنسان من الأنظمة الجائرة، مستعيداً بيعة الغدير وممهّداً لثورة عاشوراء، وعلى الأثر غادر الإمام عليه السلام المدينة متوجهاً إلى مكة معلناً موقفه «**إنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمَّة جدي صلَّى الله عليه وآله أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي عليٍّ ابن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أَولى بالحق**»[1].

وأثناء وجوده في مكة، أرسل أهل الكوفة كتباً تحضّه على القدوم وتسلّم السلطة، منادين أنَّه (ليس علينا إمام غيرك فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحقّ)[2].

توافر في هذه الأثناء عاملان أساسيان لخروج الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة، أولّهما أحقيّته بخلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله والعمل على تأدية واجب تسلّم مقاليد السلطة، أمَّا العامل الثاني، فهو توفّر العنصر البشري الناصر له[3]، والمؤيّد لإقامة الدولة الإسلامية فيها، الأمر الذي لم يحظَ به الإمام الحسن عليه السلام.

.١٧

(١) محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م: ٤٤/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) السيد ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، مرجع سابق: ٢٣.

(٣) راجع: أبو مخنف الأزدي: مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم: ١٥-١٧. الطبري: تاريخ الطبري، مرجع سابق: ٣/ ٤٢٥-٤٢٦.

ب: عاشوراء عماد الإصلاح في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله

لم يلتزم أهل الكوفة بالمواثيق والعهود التي قطعوها للإمام الحسين عليه السلام، فجاءت مجريات الأحداث على وقع ثقيل، لتدفع بالإمام عليه السلام إلى التوجّه عنوة نحو كربلاء.

وخطب الإمام الحسين عليه السَّلام خطبته الأُولى في أصحابه، إنَّ «**هَذِهِ الدُّنْيَا قَدْ تَغَيَّرَتْ وَ تَنكَّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصَابَّةِ الْإِنَاءِ وَ خَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يُنْتَهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ الله مُحِقّاً، فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا حَيَاةً وَلَا الْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَماً**[1]، **إِنَّ النَّاسَ عَبِيدُ الدُّنْيَا وَالدِّينُ لَعْقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ يَحُوطُونَهُ مَا دَرَّتْ مَعَايِشُهُمْ فَإِذَا مُحِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدَّيَّانُون....**»[2]، وقد تمَّ تأكيد هدفه المعلن لخروجه، مع إعلانه عن الثمن المقابل لتحقيق الأمر الرباني واستعادة خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، الذي يبلغ حدَّ الشهادة.

وفي خضّم الأزمة الحالكة بين الإمام الحسين عليه السلام من جهة، وجيش يزيد من جهة أُخرى، برزت حينها بيعة الأصحاب للإمام الحسين عليه السلام إنفاذاً لبيعة يوم الغدير، وامتازوا بخصائص فريدة جعلتهم أفضل الشهداء الذين لم يجتمع لنبيٍّ أو وصيٍّ مثلهم، حيث تجلّت البيعة بالشهادة بين يدي ابن بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وخليفته،

(١) وفي روايات أخرى: «**فَإِنِّي لاَ أَرَى الْمَوْتَ إِلاَّ سعادة والْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِيَن إِلاَّ بَرَماً**».

(٢) المجلسي: بحار الأنوار، مرجع سابق: ٧٥/ ١١٦-١١٧.

فعبّر عن ذلك بقوله: «... **إنِّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني خيراً**... »[1].

لقد كانت عاشوراء الحسين عليه السلام الحلقة الأقوى في ترسيخ الدين الإسلامي، فهو محمديّ الوجود وحسينيّ الخلود؛ لأنَّها انطلقت من أُسس ثابتة تقوم على الولاء وإيفاء البيعة للولي، وتنفيذ أوامر الله باستخلاف خليفة لرسوله صلَّى الله عليه وآله، كان الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله قد أعلنا ذلك على الملأ، وكانت ثورة عاشوراء تهدف إلى العودة لمبايعة خليفة الله في أرضه بما قد أمر به.

استنتاج

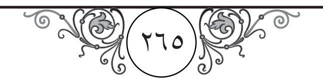
يتبيّن للقارئ أنَّ بيعة الغدير تمثّل الركن الأساس في الدين الإسلامي، بموجب تأكيد الله تعالى عليها، وبما جاء من أحاديث ومرويات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله، على مدى فترة بعثته البالغة ثلاثة وعشرين عاماً، قدّم خلالها كلَّ ما يلزم لتوثيق الخلافة وتثبيتها فيهم للإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وبنيه المعصومين عليهم السلام.

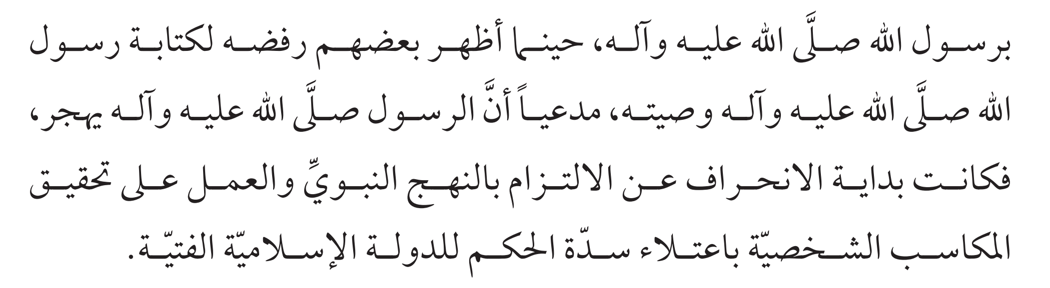
ساور رسول الله الخوف من أن تنحرف أُمَّتُه عند إلزامها البيعة لعليٍّ عليه السَّلام، وتعود إلى الجاهلية، فكان الردُّ الرباني بأنّ ﴿... **وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**...﴾.

بيد أنَّ النكث بالبيعة انطلق عملياً بعد أيام منها، أثناء اللقاء الأخير

---

(١) الشيخ المفيد: الإرشاد، مرجع سابق: ٢/ ٩١.





برسول الله صلَّى الله عليه وآله، حينما أظهر بعضهم رفضه لكتابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وصيته، مدعياً أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله يهجر، فكانت بداية الانحراف عن الالتزام بالنهج النبويِّ والعمل على تحقيق المكاسب الشخصيّة باعتلاء سدّة الحكم للدولة الإسلاميّة الفتيّة.

بعد وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله مباشرة، خرج الأنصار إلى اجتماع سقيفة بني ساعدة، ولحق بهم أبو بكر وعمر وغيرهما، فكان المنطلق الأوّل لاهتزاز معالم الدولة الإسلاميّة، من حيث تنصيب خليفة على وفق مبدأ التعيين، مبتعدين عن مبدأ البيعة في الغدير، ومن ثم كان مبدأ الوصيّة من الأَوّل للثاني، الذي جاء أيضاً مناقضاً لوصيّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، الأمر الذي أحدث المزيد من الانشقاق في الأُمَّة، ومن ثمَّ جعلها الثاني شورى بقواعد تجعل منها مرتكزاً لوصول الثالث إلى سدّة الحكم دون عليٍّ عليه السلام.

وممَّا لا شكَّ فيه، أنَّ الابتعاد عن أداء البيعة والولاية لعليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام، وتسلّم أبي بكر الحكم، شكّل سبباً وجوديّاً لولاية معاوية بن أبي سفيان على بلاد الشام، حيث ولّاه أبو بكر قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبي سفيان، لفتح بلاد الشام، ثمَّ استخلفه عمر بن الخطاب والياً على الأردن، ثمَّ دمشق بعد هلاك أخيه.

وحينما استولى عثمان على الحكم، عيّنه والياً على بلاد الشام كلِّها، الأمر الذي مكنّه من السيطرة الكاملة على تلك البلاد، ما بين الترغيب والترهيب، وتشكيل قاعدة أساسيّة لحكم بني أُميّة فيها.

وبوصول الإمام عليٍّ عليه السلام إلى الحكم، سارع إلى عزل الولاة الفاسدين، على رأسهم معاوية، فكانت بداية الصراع العسكري الذي تجلّى في حرب صفين بين النهج الإسلامي المتمثل ببيعة الغدير والنهج الأُموي القائم على استملاك الحكم بالقوة، ما انعكس سلباً وأثر تأثيراً واضحاً على المجتمع الإسلامي، فكانت حرب النهروان ضدَّ الخوراج الذين انطلقوا من مكر معاوية.

وبعد استشهاد الإمام عليٍّ عليه السلام، وتولي الإمام الحسن عليه السلام مقاليد الحكم، اضطرّ إلى التنازل لمعاوية تحت تأثير ظروف صعبة أحاطت به، أهونها عدم وجود الناصر والملتزم بالبيعة والخلافة له، فكان الصلح هو الخيار الوحيد المتاح، الأمر الذي دفع بمعاوية إلى المزيد من الاستبداد ونقض بنود الصلح، واعتلاء معاوية سدّة الحكم بشكل رسمي.

وبنقض معاوية لما تعهّد به، من إعادة السلطة إلى الإمام الحسين عليه السلام، وتولية ولده يزيد لولاية العهد، حيث عمل على أخذ البيعة بالقوّة، الأمر الذي أنتج ثورة عاشوراء، التي كان منطلقها عدم الوفاء والولاء لبيعة الغدير لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وما كان من فساد واستبداد أُمويٍّ وضياع تعاليم الدين الإسلامي، بما جاهر يزيد بفسقه حتى بلغ نكران نزول الوحي والدين الإسلامي، مجاهراً بذلك متمثّلاً بقول ابن الزبعرى(١):

(١) قيل إنَّ هذه الأبيات ليزيد بن معاوية، أنشدها حين أُدخل رأس الإمام الحسين الشريف



لعبت هاشم بالملك فلا … خبر جاء ولا وحي نزل

ليت أشياخي ببدر شهدوا … جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً … ثمَّ قالوا يا يزيد لا تشل

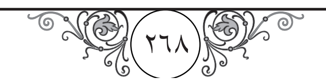
فجزيناه ببدر مثلاً … وأقمنا ميل بدر فاعتدل

لست من خندف إن لم أنتقم … من بني أحمد ما كان فعل

من هنا، أصبح من اللازم القول إنّ وجوب البيعة يوم غدير خم للإمام عليٍّ عليه السلام وبنيه عليهم السلام، يتعلق بعموم المسلمين، ولا يقتصر بزمان ولا بمكان، ولازمه الاستمرار حتى خروج المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وإلى قيام الساعة، ضمن سلسلة الأحكام الإلهيّة، مع ربط مخالفتها بتدمير منهج الحكم الإسلامي، حيث لم يتوقف مردود بيعة الغدير، إيجاباً أو سلباً، على حكم الإمام عليٍّ عليه السلام فقط، إنَّما تأتّى عن نقضها تداعيات استشهاد الأئمة المعصومين عليهم السلام وهذا ما جرى لاحقاً.

من هنا، يعود ارتباط ثورة عاشوراء بأُصول الحكم والخلافة التي أولاها الله تعالى لنبيّه صلَّى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، وعدم ثبات المسلمين على البيعة الأُولى يوم غدير خم، فكانت عاشوراء صدى ولاية الإمام عليٍّ عليه السلام ودعوة الرسول صلَّى الله

عليه. وقيل أيضاً إنَّها ليست ليزيد وإنَّما هي لابن الزبعرى (الشاعر الجاهلي) وتمثل بها يزيد. راجع: جواد شبّر: أدب الطف أو شعراء الإمام الحسين عليه السلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م: ١/ ٢٤٦-٢٤٧. ابن نما الحلي: مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩ - ١٩٥٠م: ٨٠.



عليه وآله «**اللهم والِ من والاه**»، وكانت نصراً للمؤمنين من حيث دعوة الرسول صلَّى الله عليه وآله نفسها «**وانصر من نصره**»، لأنَّ دعاءه صلَّى الله عليه وآله مستجاب عند الله تعالى، وفي المقابل، كان الخذلان نصيب أعدائه الذين هم أعداء الله استجابة للدعاء نفسه «**وعادِ من عاداه... واخذل من خذله**»، ودليل النصر الإلهي في عاشوراء هو أنَّ الدين الإسلامي المرتكز على بيعة الغدير قائم وثابت حتى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م.

إسماعيل، أحمد محمد: صلح الحسن، غدير عز ولغز جهاد، دار الهادي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

الأزدي، أبو مخنف: مقتل الحسين عليه السلام، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم.

الأصفهاني، أبو الفرج: مقاتل الطالبيين، تحقيق: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط ٢، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م.

الأميني النجفي، عبد الحسين أحمد: الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، ط ١،

١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٩ م.

ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أشرف على تحقيقه: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩.

ابن الحجاج، مسلم: صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبي قتيبة، دار طيبة، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م.

ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، مطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦م.

ابن الصباغ، علي بن محمد أحمد المالكي: الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.

ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، نشر أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م.

البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٢ م.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر: أنساب الأشراف، تحقيق: الشيخ

محمد باقر المحمودي، دار الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

الحسني، هاشم معروف: سيرة الأئمة الاثني عشر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

الحلي، ابن نما: مثير الأحزان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٦٩ - ١٩٥٠ م.

الخسروشاهي، مصطفى (آية الله): معنى حديث الغدير، تحقيق: هادي الخسروشاهي، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

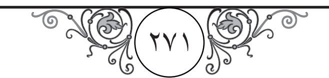
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت: تاريخ مدينة السلام، وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريدها (المعروف بتاريخ بغداد)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.

الذهبي، محمّد بن أحمد بن عثمان: تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الريشهري، محمد: موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥ هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م.

شبّر، جواد: أدب الطف أو شعراء الإمام الحسين عليه السلام، مؤسسة



الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت.

السيد ابن طاووس: اللهوف في قتلى الطفوف، نشر أنوار الهدى، قم، ط ١، ١٤١٧هـ.

الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب:

الاحتجاج، تعليق محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف، لا ط، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م.

إعلام الورى بأعلام الهدى، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ.

الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأُمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

الغلابي البصري، محمد بن زكريا: وقعة الجمل، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، ط ١، ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

القرشي، باقر شريف: حياة الإمام الحسن عليه السلام، دار البلاغة، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.

القزويني، محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

القمي، عباس: بيت الأحزان، دار الحكمة، قم، ط ١، ١٤١٢ هـ.

المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

الكليني، محمد بن يعقوب: الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ هـ.

المجلسي، محمد باقر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٥م.

الشيخ المفيد:

الأمالي، حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

النكت في مقدمات الأُصول، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

الإرشاد، دار المفيد، بيروت، ط ٢، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد: إمتاع الأسماع بما للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ/ ١٩٩٩ م.

عيد الغدير في التاريخ دراسة في بعض المذاهب الاسلامية

م. م. هيفاء عليوي محيسن الساعدي

المقدمة

الحمد لله الذي مّن علينا بنعمة الولاية لنبيه وال بيته صلوات الله عليهم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد واله الطيبين واللعن الدائم على أعدائهم الى قيام يوم الدين.

تعد واقعة غدير خم من اهم قضايا الأمة الإسلامية، من جهة ما يترتب عليها من نتائج تحدد اتجاه مسير هذه الأمة ومستقبلها، بل ومستقبل العالم بشكل عام. فمن امعن النظر في تفاصيل الحادثة وظروفها الموضوعية والتاريخية يجزم بتلك الأهمية، فقد كانت تمّثل نقطة الانطلاق والتأسيس المبرمج والمخطط للحقبة الزمانية بعد النبوة، تلك الحقبة التي اسست لمجتمع تأطر بقواعد وتشريعات الهية نزل بها النبي صلى الله عليه وآله ان تستثمر نتائج تلك التجربة الإسلامية الرائعة بعد وفاته، من خلال استمرار التطبيق الصحيح للشريعة، فكان لا بدّ ان تكون هناك شخصية قد تربّت وترعرعت في حياة النبي صلى الله عليه وآله لتكون قادرة على تسنّم الخلافة والإمامة من بعده.

ولخطورة هذه المسالة، وتأثيرها المباشر على سلامة مسيرة الشريعة الإسلامية فكانت عناية رسول الله بها بالغة، واهتمامه واسعا ومتواصلا في بيان هذه المسالة وتشخيص المستحق للإمامة من بعده بصيغ مختلفة، ذلك لان احدى وظائف الإمامة خلافة النبي في حفظ الرسالة، وبيان محتواها، والعمل بها، كما يحفظ وحدة الأمة وسلامة مسارها.

ولهذا حاول النبي محمد صلى الله عليه وآله التمهيد لهذه المسالة، بعد ان تقرر في علم الله ان يكون الإمام علي(عليه السلام) هو من سيخلف النبي بعد وفاته، وتجلى التمهيد في موارد متعددة بحسب مقتضيات الزمان والمكان.

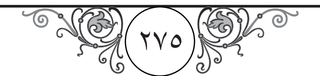
وموضوع بحثنا «عيد الغدير في التاريخ دراسة في بعض المذاهب الإسلامية» وضم المبحث الأول معنى الغدير لغة، واقعة الغدير، عيد الغدير في الإسلام، وعند أهل البيت، وفي حين ضم المبحث الثاني، عيد الغدير في الدولة البويهية والدولة الصفوية، حديث التهنئة، رد شبهة النويري والمقريزي، مع خاتمة وقائمة بأسماء المصادر والمراجع.

المبحث الأول: غدير خم لغويا

نتعرض في هذا البحث الى تعريف غدير خم.

معنى الغدير: قال الراغب الاصفهاني» والغدير: الماء الذي يغادره السيل في مستنقع ينتهي اليه، وجمعه: غدر وغدران»[1].

(١) الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد الراغب(٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، المفردات في غريب



وسبب تسمية الغدير: اما لأنه اسم مفعول لمغادرة السيل له، أي ان السيل عندما يملأ المنخفض بالماء يغادره، بمعنى يتركه بمائه او انه اسم فاعل من الغدر لانه يخون وراده فينضب عنه، ويغدر باهله، فينقطع عند شدة الحاجة إليه[1].

وقيل الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل[2].

معنى خم

قال ابن منظور(خم: غدير معروف بين مكة والمدينة بالجحفة)[3].

وقال الزمخشري: خم: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة)[4].

وذكر بأنه موضع صعب كثير الحجارة، مع الشجر[5] وهو واد بين

القران، (مكتبة نزار البان، د. ت)، ج١، ص٤٦٤.

(١) الزبيدي، محب الدين ابو فيض السيد محمد مرتضى(ت١٢٠٥ه/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، (ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٧ه)، ج٧، ص٢٩٥.

(٢) ابن منظور محمد بن مكرم بن علي(ت٧١١ه/ ١٣١١م)، لسان العرب، (دار صادر بيروت، د. ت)، مج٥، ص٩.

(٣) الحموي، شهاب الدين بن عبد الله بن ياقوت (ت ٦٢٢ه/ ١٢٢٥م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، د. ت)، مج٢، ص٣٨٩.

(٤) المصدر نفسه، مج٢، ص٣٨٩.

(٥) مسعود، جبران، معجم لغوي عصري، (ط٧، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٩٢م)، ص٥٧٥.



مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة. [1] واما ابو ريحان البيروني فانه يصف غدير خم بكونه مرحلة او منزل قال:» سمي غدير خم وهو اسم مرحلة نزل بها النبي عند منصرفه من حجة الوداع، وجمع القتب والرحال وعلاها اخذا بعضد علي بن ابي طالب» [2].

واقعة الغدير

اجمع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الخروج الى الحج في سنة عشر من مهاجره [3]، وأذن في الناس بذلك، فقدم المدينة خلق كثير يأتمون به في حجتّه تلك التي يقال عليها حجّة الوداع لأنه ودعهم، وحجة البلاغ [4] ولم يحج غيرها منذ هاجر الى ان توفاه الله [5]، فخرج النبي من المدينة

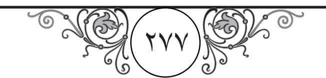
(١) الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٨٩.

(٢) الاثار الباقية من القرون الخالية، (ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م)، ص٤١٥.

(٣) محمد بن سعد بن منيع(ت٢٣٠ه/ ٨٤٤م)، كتاب الطبقات الكبير، تح: الدكتور علي محمد عمر، (ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م)، ج٢، ص١٥٧، اليعقوبي، احمد بن ابي بن يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح(ت٢٨٤ه/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الامير مهنا، (ط١، شركة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ٢٠١٠م)، مج١، ص ٤٣٨، وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين١٤-٢٠، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م)، مج٣، ص٥٤٢.

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت٣٤٥ه/ ٩٥٦م)، التنبيه والأشراف، (مكتبة الشرق الإسلامية، مصر، ١٩٣٨م)، ص٢٤٠.

(٥) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(ت٦٣٠ه/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء عبد الله القاضي، (ط١،





مغتسلا متدهنا مترجلا متجردا في ثوبين صحاريين ازار ورداء، وذلك يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذي العقدة[1] واخرج معه نساءه كلهن في الهوادج[2] وسار معه أهل بيته، وعامة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب وأفناء الناس[3].

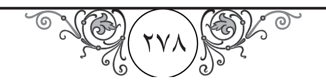
وعند خروجه صلى الله عليه وآله اصاب الناس بالمدينة جدري(بضم الميم وفتح الدال وبفتحها) او حصبة منعت كثيرا من الناس من الحج معه، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى، وقيل خرج معه تسعون الفأ، ويقال: مائة الف واربعة عشر الفأ، وقيل مائة الف وعشرون الفأ، وقيل: مائة الف واربعة وعشرون الفأ، ويقال اكثر من

دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م)، مج٢، ص١٧١، دحلان، احمد بن زيني، السيرة النبوية، (ط١، دار القلم العربي، حلب، ١٩٩٦م)، ج٣، ص١١.

(١) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٥٧، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، المعارف، تح: د. ثروت عكاشة، (ط٤، دار المعارف، ١٩٦٩م)، ١٦٥، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، (ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م)، ج٣، ص١٤٨، العسقلاني، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد (ت٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٦م)، ج٦، ص٤٣٢.

(٢) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الادب، تح: علي محمد هاشم، عبد المجيد ترحيني، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م)، ج١٧-١٨، ص٢٦٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج٢، ص١٥٧.



ذلك[١].

وكان الإمام علي عليه السلام حينها في اليمن يقوم بالتبليغ ونشر التعاليم السماوية، وبعد ان علم بأمر الرسول قصد مكة مع جمع من اليمنيين، ليلتحقوا بالرسول قبل بدء المناسك[٢].

فلما قضى رسول الله مناسكه وانصرف راجعا الى المدينة ومعه من كان من الجموع ووصل الى غدير خم من الجحفة وهي منطقة مفترق طرق الى المدينة والعراق ومصر واليمن، فقد كان من المفترض ان يبدا المسلمون من هذه المنطقة بالتفرق عائدين الى بلادهم، ومن هنا بدأت احداث هذا الأمر العظيم[٣] وكان سبب نزوله في هذا المكان نزول القران عليه بنصبه أمير المؤمنين عليه السلام خليفة في الأمة من بعده، فأنزل جلّت عظمته عليه:(يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك)[٤] يعني في استخلاف علي بن ابي طالب أمير المؤمنين عليه السلام والنص بالإمامة عليه وأمره ان يقيم عليا علما للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل احد[٥] ونزل رسول الله، ونزل المسلمون حوله، وكان يوما قائظا

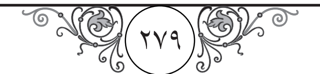
(١) الاميني، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، (ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٤م)، ج١، ص٢٧.

(٢) المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٢٣٨- ٢٣٩، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مج٢، ص١٦٨.

(٣) كمال، جميل، حوار حول الغدير، (ط٢، لجنة سيد الشهداء، الكويت، ٢٠٠٨م)، ص٩.

(٤) سورة المائدة، الاية: ٦٧.

(٥) الاميني، الغدير، ج١، ص٢٨.



شـديد الحـر، فأمـر بدوحـات هنـاك فقـم مـا تحتهـا، وأمـر بجمـع الرحـال في ذلـك المكان، ووضـع بعضهـا عـلى بعـض، ثـم أمـر مناديـه فنـادى في النـاس بالصـلاة، فاجتمعـوا مـن رحالهـم اليـه، وان اكثرهـم ليلـف رداءه عـلى قدميـه مـن شـدة الرمضـاء[1].

فلـما اجتمعـوا صعـد عليـه والـه السـلام عـلى تلـك الرحـال، ودعـا أمـير المؤمنـين عليـه السـلام فرقـى معـه حتـى قـام عـن يمينـه[2]، وظلـل لرسـول الله بثـوب عـلى شـجرة سـمرة مـن الشـمس[3]، فلـما انـصرف مـن صلاتـه قـام خطيبـا وسـط القـوم فقـال: الحمـد لله نسـتعينه ونؤمـن بـه، ونتـوكل عليـه وأشـهد ان لا الـه الا الله وان محمـدا عبـده ورسـوله - امـا بعـد- ايهـا النـاس، قـد نبـأني اللطيـف الخبـير اني اوشـك ان ادعـى فاجيـب، واني مسـؤول وانتـم مسـؤولون، فـماذا انتـم قائلـون؟

قـال الحـاضرون: نشـهد انـك قـد بلغـت ونصحـت وجهـدت، فجـزاك الله عنـا افضـل الجـزاء ثـم قـال لهـم: الستـم تشـهدون ان لا الـه الا الله وان محمـدا عبـده ورسـوله، وان جنتـه ونـاره حـق وان المـوت حـق؟

---

(١) المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة أهل البيت لأحياء التراث، (ط٢، مؤسسة أهل البيت، ٢٠٠٨م، بيروت)، ج١، ص١٧٥-١٧٦.

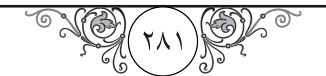
(٢) المصدر نفسه، ص١٧٥.

(٣) الهيثمي، نورالدين علي بن ابي بكر(ت٨٠٧هـ/ ١٤٠٤هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتاب العربي، د. ت)، ج٩، ص١٠٤.

قالـوا: نشـهد بذلـك، قـال: اللهـم اشـهد عـلى مـا يقولـون، الا واني اشـهدكم اني اشـهد ان الله مـولاي، وانـا مـولى كل مسـلم، وانـا اولى بالمؤمنـين مـن انفسـهم، فهـل تقّـرون لي بذلـك، وتشـهدون لي بـه؟ فقالـوا: نشـهد لـك بذلـك، فقـال: الا مـن كنـت مـولاه فـان عليـا مـولاه، وهـو هـذا ثـم اخـذ بيـد عـلي فرفعهـا مـع يـده حتـى رؤي بيـاض ابطيهـما ثـم قـال: اللهـم وال مـن والاه، وعـاد مـن عـاداه، وانـصر مـن نـصره، واخـذل مـن خذلـه.[1] ثـم قـال: الا واني فرطكـم وانتـم واردون عـلي الحـوض، حـوضي غـدا، وهـو حـوض عرضـه مـا بـين بـصرى وصنعـاء، فيـه اقـداح مـن فضـة عـدد نجـوم السـماء، الا واني سـائلكم غـدا مـاذا صنعتـم فيـما اشـهدت الله بـه عليكـم في يومكـم هذا اذا وردتـم عـلي حـوضي، ومـاذا صنعتـم بالثقلـين مـن بعـدي، فانظـروا كيـف خلفتمـوني فيهـما حـين تلقـوني؟ قالـوا: ومـا هـذان الثقـلان يـا رسـول الله؟ قـال: امـا الثقـل الاكـبر، فكتـاب الله عـز وجـل، سـبب ممـدود مـن الله ومنّـي في ايديكـم، طرفـه بيـد الله والطـرف الاخـر بأيديكـم، فيـه علـم مـا مـضى ومـا بقـي الى ان تقـوم السـاعة، وامـا الثقـل الأصغـر فهـو حليـف القـران وهـو عـلي بـن ابي طالـب وعترتـه (عليهـم السـلام)، وانهـما لـن يفترقـا حتـى يـردا عـلي الحـوض[2].

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج1، ص، ٤٤٢، الاربلي، ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح(ت٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، كشف الغمة في معرفة الائمة، تح: علي ال كوثر، (دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢م)، ج١، ٤٢٩، الحسكاني، شواهد التزيل، ج٩، ١٥٨.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مج١، ص٤٤٣، المفيد، الارشاد، ج١، ص١٨٠، الخوارزمي الموفق بن أحمد بن محمد، (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، المناقب، تح: الشيخ مالك المحمودي،





ولما تفرقوا، حتى نزل جبرائيل بقول من الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحمد لله على كمال الدين، وتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن ابي طالب[2].

عيد الغدير في الإسلام

يوم الغدير من أعظم اعياد الأمة الإسلامية، اذ به كمل الدين وتمت النعمة، وبدئ الاحتفال به عقيب تنصيب رسول الله عليا إماما وهاديا، بقوله» هنّؤني هنّؤني» وعند ذلك نصب رسول الله خيمة للبيعة والتهنئة[3].

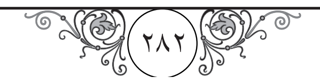
وقد سمي هذا اليوم في لسان الروايات بتسميات مختلفة، من قبيل: عيد الله الأكبر، يوم العبادة، يوم الملا الأعلى، أشرف الأعياد، يوم نشر العلم، يوم عيد شعيتنا، عيد أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وغيرها

(ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم القدسة، ١٤٢٥ه)، ص١٥٤، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٤٢، ص٢٢٠.

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) الحسكاني، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد(ت٤٠٥ه/ ١٠١٤م)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تح: الشيخ محمد باقر المحمودي، (ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠١٠م)، ص١٥٨، ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد(ت٦٦٤ه/ ١٢٦٥م)، اقبال الاعمال، (ط١، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٩٦م)، ص٧٦٩.

(٣) الميلاني، هاشم، حديث الغدير بين أدلة المثبتين وأوهام المبطلين، (ط١، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، ٢٠١٧م)، ص٣٧٩.



[1] ولم يكـن هـذا العيـد خاصًـا بالشيعة فحسـب، وانـما اشـترك معهـم في التعيـد بــه غيرهــم مــن فــرق المســلمين فقــد عــده البــيروني» ممــا اســتعمله أهــل الإســلام مــن الاعيــاد»[2] وقــال الشــيخ المفيــد» وهــو عيــد عظيــم بــما أظهــره الله مــن تعــالى مــن حجتــه، وابائــه مــن خلافــة وصيّ نبيــه مــن العهــد في رقــاب بريّتــه»[3].

وقــال الزمخــشري» وليلــة الغديــر معظمــة عنــد الشــيعة، محيــاة فيهــم بالتهجّــد، وهــي الليلــة التــي خطــب فيهــا رســول الله بغديــر خــم عــلى اقتــاب الابــل وقــال في خطبتــه: مــن كنــت مــولاه فعــلي مــولاه»[4].

وقــال ابــن طلحــة الشــافعي: «يــوم غديــر خــم ذكــره أمــير المؤمنين في شــعره وصــار ذلــك اليــوم عيــدًا وموســما، لكونــه كان وقتــا خــصّ رســول الله عليــا بهــذه المنزلــة العليــة، وشرفــه بهــا دون النــاس كلــه» وقــال ايضــا: وكل معنــى امكــن اثباتــه ممــا دل عليــه لفــظ المــولى لرســول الله فقــد جعلــه لعــلي وهــي مرتبة ســامية، ومنزلــة ســامقة، ودرجــة عليــة، ومكانــة رفيعــة، خصّصــه بهــا دون غــيره، فلهــذا صــار ذلــك اليــوم عيــدًا وموســم سرورٍ لأوليائــه[5].

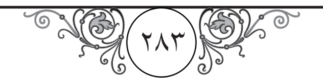
(١) المرجع نفسه، ص٣٧٩.

(٢) الاثار الباقية من القرون الخالية، ص ٣٣٤.

(٣) مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، تح: الشيخ مهدي نجف، (ط١، مطبعة مهر، ١٤١٣ه)، ص٣٩.

(٤) أبو القاسم محمود بن عمر، (ت٥٣٨ه/ ١١٤٣م)، ربيع الابرار ونصوص الأخبار، تح: عبد الامير مهنا، (ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٦٩-٧٠.

(٥) محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن(ت٦٥٢ه/ ١٢٥٤م)، مطالب السؤول في مناقب ال



وقال القلقشندي: «والشيعة يحيون ليلة هذا العيد بالصلاة، ويصلّون في صبيحتها ركعتين قبل الزوال، وشعارهم فيه لبس الجديد، وعتق العبيد، وذبح الأغنام، والحاق الأجانب بالأهل في الاكرام، والشعراء والمترسّلون يهنّئون الكبراء منهم بهذا العيد»[1].

وتقرئنا كتب التاريخ دروسا من هذا العيد، وتسالم الأمة الإسلامية عليه في الشرق والغرب، ويظهر من غير مورد من الوفيات لابن خلكان التسالم على تسمية هذا اليوم عيدا. ففي ترجمة المستعلي ابن المستنصر: فبويع في يوم غدير خم وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧ه[2] وذكر الثعالبي بعد أن عد ليلة الغدير من الليالي المضافات المشهورة عند الأمة بقوله، وهي الليلة التي خطب رسول الله في غدها بغدير خم على أقتاب الابل فقال في خطبته: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فالشيعة يعظمون هذه الليلة ويحيونها قياما[3].

الرسول، (مؤسسة البلاغ، د. ت)، ص٧٩.

(١) أبو العباس احمد، (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشأ، (المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٣م)، ج٢، ص ٤٠٧.

(٢) وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، تح: الدكتور احسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م)، مج١، ص١٨٠.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م)، ص٥١١. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين(ت٣٨١ه/ ٩٩١م)، أمالي الصدوق، (ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت،

عيد الغدير وأهل البيت(عليهم السلام)

شغل عيد الغدير مساحة كبيرة من أحاديث أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأقوالهم وفيما يلي نسرد تسلسل الأقوال والأحداث الخاصة به:

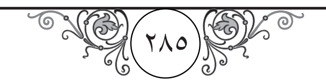
رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

قال رسول الله:» يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي علي بن أبي طالب علما لأمتي، يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام دينا».

علي بن أبي طالب عليه السلام:

روى الشيخ الطوسي بسنده عن الإمام الرضا عن ابائه عن الإمام الحسين انه قال: اتفق في بعض سني أمير المؤمنين عليه السلام الجمعة والغدير، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه حمدا لم يسمع بمثله، واثنى عليه ثناء لم يتوجه إليه غيره، فكان ما حفظ من ذلك:» ان الله عزو جل جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين، ولا يقوم احدهما الا بصاحبه ليكمل عندكم جميل صنعه ويقفكم على طريق رشده، فلا يقبل توحيده الا بالاعتراف لنبيه بنبوّته، ولا يقبل دينا الا بولاية من

٢٠٠٩م)، ص٩٩.



امر ولايته، ولا تنظم اسباب طاعته الا بالتمسك بعصمه وعصم أهل ولايته، فانزل على نبيه في يوم الدوح ما بين به عن ارادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق، وضمّ له عصمته منهم عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم وبالبر باخوانكم والشكر لله عز وجل على ما منحكم واجمعوا يجمع الله شملكم، وتبارّوا يصل الله ألفتكم، وتهادوا نعم الله كما منّكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده الا في مثله، والبرّ فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه»[1]

الإمام الصادق عليه السلام

روي الحسن بن راشد عن الإمام الصادق قلت: «جعلت فداك للمسلمين عيد غير العيدين؟ قال: نعم يا حسن، أعظمهما وأشرفهما، قلت: وأي يوم هو؟ قال: هو يوم نصب أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه فيه علما للناس، قلت: جعلت فداك وما ينبغي لنا أن نصنع فيه؟ قال: تصومه ياحسن، وتكثر الصلاة على محمد واله، وتبرأ الى الله ممّن ظلمهم، فأن الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء باليوم الذي كان يقام فيه الوصيّ ان يتخذ عيدا، قال: قلت: فما لمن صامه؟ قال: صيام ستين شهرا»[2]

---

(١) الطوسي، مصباح المتهجد، ص٥١٢-٥١٣، ابن طاووس، اقبال الأعمال، ص٧٧٩.

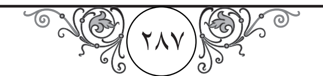
(٢) الطوسي، مصباح المتهجّد، ص٥١٣.

وروى الكليني باستناده الى عبد الرحمن بن سالم عن ابيه قال سألت أبا عبد الله هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام:» كم للمسلمين من عيد؟ فقال: أربعة أعياد، قال: قلت: قد عرفت العيدين والجمعة، فقال لي: أعظمها وأشرفهما يوم الثامن عشر من ذي الحجة، وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله أمير المؤمنين ونصبه للناس علما، قال: قلت: ما يجب علينا في ذلك اليوم؟ قال: يجب عليكم صيامه شكرا لله وحمدا له، مع انه أهل ان يشكر كل ساعة، وكذلك أمرت الأنبياء أوصياءها ان يصوموا اليوم الذي يقام فيه الوصيّ يتخذونه عيدا، ومن صامه كان افضل من عمل ستين شهرا»[1].

وفي الأقبال عن ابي الحسن الليثي عن الإمام الصادق انه قال لمن حضره من مواليه وشيعته:» أتعرفون يوما شيّد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيدا لنا ولموالينا وشيعتنا؟ فقالوا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، أيوم الفطر يا سيدنا؟ فقال: لا، قالوا: أفيوم الأضحى هو؟ قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وأن رسول الله لما انصرف من حجّة الوداع وصار بغدير خم أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط على النبي وقت قيام الظهر من ذلك اليوم، وأمره أن يقوم بولاية

---

(١) ابن طاووس، اقبال الأعمال، ص٧٧٩-٧٨٠.



أمـير المؤمنـين، وأن ينصبـه علـما للنـاس بعـده، وأن يسـتخلفه في أمتـه»[1].

وعـن أبي هـارون بـن حريـز العبـدي قـال: دخلـت عـلى أبي عبـد الله في يـوم الثامـن عـشر مـن ذي الحجـة، فوجدتـه صائـما، فقـال لي: هـذا يـوم عظيـم، عظـم الله حرمتـه عـلى المؤمنـين، وأكمـل لهـم فيـه الديـن، وتمـّم عليهـم النعمـة، وجـدّد لهـم مـا أخـذ عليهـم مـن العهـد والميثـاق فقيـل لـه: مـا ثـواب صـوم هـذا اليـوم؟ قـال: أنـه يـوم عيـد وفـرح وسرور ويـوم صـوم شـكر الله تعـالى، وأن صومـه يعـدل سـتين شـهرا مـن أشـهر الحـرم[2].

الإمام الرضا عليه السلام

قـال الإمـام عـلي بـن موسـى الرضـا: اذا كان يـوم القيامـة زفـت أربعـة أيـام الى الله كـما تـزف العـروس الى خدرهـا، قيـل: مـا هـذه الأيـام؟ قـال: يـوم الأضحـى، ويـوم الجمعـة، ويـوم الغديـر، وأن يـوم الغديـر بـين الاضحـى والفطـر والجمعـة كالقمـر بـين الكواكـب وهـو اليـوم الـذي نجـي فيـه ابراهيـم الخليـل مـن النـار فصامـه شـكرا لله وهـو اليـوم الـذي اكمـل الله بـه الديـن في اقامـة النبـي عليـا أمـير المؤمنـين علـما وأبـان فضليتـه ووضاءتـه فصـام ذلـك اليـوم وانـه يـوم الكـمال ويـوم مرغمـة الشـيطان ويـوم تقبـل أعـمال الشـيعة ومحبـي ال محمـد وهـو يـوم تنفيـس الكـروب ويـوم تحطيـط الـوزر ويـوم الحبـاء والعطيـة ويـوم الموقـف العظيـم ويـوم لبـس الثيـاب ونـزع السـواد ويـوم

(1) ابن طاووس، اقبال الأعمال، ص٧٩٠.

(2) الطوسي، مصباح المتهجّد، ص٥١٣.

الشرط المشروط ويوم نفي الهموم ويوم الصفح عن مذنبي شيعة أمير المؤمنين وهو يوم التهنئة يهني بعضكم بعضا فاذا لقي المؤمن أخاه يقول: الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام[1].

وفي مصباح الزائر عن الفياض بن محمد بن عمر الطوسي: انه شهد ابا الحسن علي بن موسى الرضا في يوم الغدير وبحضرته جماعة من خاصّته قد احتبسهم للافطار، وقد قدّم الى منازلهم الطعام والبرّ والصلات والكسوة حتى الخواتيم والنعال، وقد غيرّ من أحوالهم وأحوال حاشيته، وجدّت له الة غير الآلة التي جرى الرسم بابتذالها قبل يومه، وهو يذكر فضل اليوم[2].

وعنه عليه السلام عن ابائه: « ان يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض، إن الله تعالى في الفردوس قصرا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فيه مائة الف قبة حمراء ومائة الف خيمة من ياقوته خضراء ترابه المسك والعنبر فيه أربعة أنهار: نهر من خمر ونهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل حواليه أشجار جميع الفواكه عليه الطيور أبدانها من لؤلؤ وأجنحتها من ياقوت تصوت بالوان الاصوات اذا كان يوم الغدير ورد الى ذلك القصر أهل السماوات يسبحون الله ويقدسونه ويهللونه فتطاير تلك الطيور فتقع في ذلك الماء وتتمرغ في ذلك المسك والعنبر فاذا اجتمع

(١) ابن طاووس، الاقبال، ص ٧٧٧-٧٧٨.

(٢) الطوسي، مصباح المتهجد، ص٥٢٣-٥٢٤، ابن طاووس، الاقبال، ص٧٧٣.



الملائكة طارت فتنفض ذلك وانهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة فاذا كان آخر اليوم نودوا انصرفوا الى مراتبكم فقد أمنتم من الخطر والزلل الى قابل في هذا اليوم تكرمة لمحمد وعلي»[1].

الدولة البويهية

اول من سن الاجهار والتظاهر العلني لعيد الغدير هو معز الدولة علي بن بويه عام (٣٥٢هـ) « وأول من أحدثه معز الدولة أبو الحسن علي بن بويه في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة»[2].

وفي حوادث سنة ٣٥٢هـ» وفي ليلة الخميس ثامن عشر ذي الحجة، وهو اليوم الذي تسميه الشيعة غدير خم، اشتعلت النيران في الأسواق، ولم تغلق الدكاكين، كما يعمل في الأعياد، وضربت الدبادب والبوقات، وبكر المتشيعون الى مقابر قريش وصلوا هناك»[3].

وقال ابن الاثير:» وفيها في الثامن عشر ذي الحجة أمر معز الدولة،

(١) ابن طاووس، الاقبال، ص٧٨٣، المجلسي، محمد باقر(ت١١١١ه/ ١٦٩٩م)، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م)، ج٩٤، ص١١٨.

(٢) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣ه/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: الدكتور مفيد قميحة، (دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٤م)، ج١، ص١٧٥.

(٣) ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧ه/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٥م)، ج١٤، ص١٥١.

باظهـار الزينـة في البلـد، وأشـعلت النـيران بمجلـس الشرطـة وأظهـر الفـرح، وفتحـت الأسـواق بالليـل كـما يفعـل ليـالي الأعيـاد، فعـل ذلـك فرحـا بعيـد الغديـر يعنـي غدير خـم، وضربـت الدبـادب والبوقـات، وكان يومـا مشـهودا»[١].

واضـاف الذهبـي» وفي ثامـن عـشر ذي الحجـة عمـل عيـد غديـر خـم، وضربـت الدبـادب، وأصبـح النـاس الى مقابـر قريـش للصـلاة هنـاك والى مشـهد الشـيعة»[٢].

عام ٣٥٤هـ

وأهـم الحـوادث في هـذه السـنة» وفي هـذه السـنة جعـل المسـير بالحـاج الى أبي أحمـد الحسـين بـن موسـى النقيـب، وعمـل يـوم غدير خـم ببغـداد مـا تقـدم ذكـره مـن أشـعال النـار في ليلتـه، وضرب الدبـادب والبوقـات، وبكـور النـاس الى مقابـر قريـش»[٣].

عام٣٥٧هـ

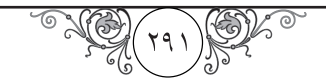
قـال ابـن الجـوزي:» انـه عمـل ببغـداد يـوم عاشـوراء... وفي غديـر خـم مـا جـرت عادتهـم أيضًـا»[٤]

(١) الكامل في التاريخ، مج٧، ص٢٨٠.

(٢) تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، (ط١، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٨٩ م)، ج٢٦، ص١٢.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص١٦٢، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص ١٦٢.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٤، ص١٨٩.



وقال الذهبي:» وعيدوا يوم الغدير وبالغوا في الفرح«[1].

وأضاف ابن كثير» وفي غدير خم الهناء والسرور«[2].

عام ٣٥٨هـ

أشار ابن الجوزي الى الاحتفال بهذا اليوم من دون أن يعطي معلومات أخرى، واكتفى الذهبي بقوله: «أقامت الرافضة الشعار الجاهلي يقام يوم عاشوراء ويوم الغدير»[3]

عام ٣٦٠هـ

قال الذهبي: (وفيها أقامت الشيعة... عيد الغدير بالفرح والكوسات».

عام٣٨١هـ

واحتفلت الشيعة أيضًا في هذه السنة في بغداد كعادتها، ولكن اقامة هذه الاحتفالات في السنوات الماضية والاستمرار عليها، أثارت أهل السنة ففزعوا الى خلق فتنة للصدّ عن إقامة هذا الاحتفال، وكانت هذه الفتنة بداية الفتن التي تلتها[4].

وقال ابن الجوزي: «وفي يوم الثاني عشر من ذي الحجة، وهو يوم الغدير جرت فتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة، واستظهر أهل البصرة

(١) تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٣٩.

(٢) البداية والنهاية، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م)، ج١١، ص٢٦٥.

(٣) تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٤٣

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٤، ص٣٥٦.

وخرقوا اعلام السلطان، فقتل يومئذ جماعة اتهموا بفعل ذلك، وصلبوا على القنطرة، فقامت الهيبة وارتدعوا»[1].

عام ٣٨٩هـ

هذا العام يعد منعطفا في التقابل السني والشيعي، حيث إنّ أهل السنة بدأوا في هذه السنة - مقابلة الشيعة - بالاحتفال في ذي الحجة أيضًا بعيد الغار وقال ابن مسكويه: «وقد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب، وتعليق الثياب، وإظهار الزينة في يوم الغدير، واشعال النار في ليلته، ونحر جمل في صبيحته، فأردات الطائفة الأخرى من السنة أنْ تعمل لأنفسها وفي محالها وأسواقها ما يكون بازاء ذلك، فادعت أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي وابو بكر في الغار، وعملت مثل ما تعمله الشيعة في يوم الغدير»[2].

وقال النويري: « ولما ابتدع الشيعة هذا العيد واتخذوه من سنتهم، عمل عوام السنة يوم السرور نظير عيد الشيعة في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيام، وقالوا: هذا يوم دخول رسول الله الغار هو وابو بكر الصديق، وأظهروا في هذا اليوم الزينة،

(١) العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج٢، ص١٠٥، تاريخ الإسلام، ج٢٦، ص٤٧.

(٢) تجارب الأمم، تح: الدكتور ابو القاسم امامي، (ط١، دار سروش، طهران، ٢٠٠١م)، ج٧، ص ٤٠١، ابن الجوزي، المنتظم، ج١٥، ص١٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٨م)، ج٢٧، ص٢٥.



ونصب القباب، وايقاد النيران»[1].

عام ٤٠٢هـ قال الذهبي:» وفيها عمل يوم الغدير ويوم الغار بسكينة»[2].

عام ٤١٤هـ وفي هذه السنة منعت الشيعة من اقامة المجالس في محرم وذي الحجة، قال ابن تغري بردي:» وفيها منع الروافض من النوح وعيد الغدير، وأيد الله السنة ولله الحمد»[3].

عام ٤٢١هـ قال ابن الجوزي:» ولم يعمل الغدير ولا الغار في هذه السنة لأجل الفتنة»[4].

عام ٤٢٢هـ قال ابن الجوزي:» وفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة كان الغدير، وقام العيّارون بالاشعال في ليلته، ونحر جمل في صبيحته بعد أن جبوا الأسواق والمحال لذلك واشتد تبسّط هذه الطائفة»[5].

الدولة الفاطمية

حكمت مصر والغرب الإسلامي لمدة مائتي سنة تقريبا، وكان لهم مراسم خاصة بمناسبة عيد الغدير.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١، ص١٧٥.

(٢) العبر في خبر من غبر، ج٢، ص٢٠١.

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، ١٩٦٣م)، ج٤، ص٢٦٠.

(٤) المنتظم، ج١٥، ص٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ج١٥، ص٢١٩.

قال القلقشندي: (وقد كان للخلفاء الفاطميين بمصر بهذا العيد اهتمام عظيم، ويكتبون بالبشارة به الى أعمالهم، كما يكتبون البشارة بعيد الفطر وعيد النحر ونحوهما»[1].

وذكر المقريزي من ضمن الأعمال التي كانت تعمل انذاك: «فيه تزويج الأيامى، وفيه الكسوة، وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وأمرائها وضيوفها والأستاذين المحنكين والمميزين، وفيه النحر وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم، وعتق الرقاب وغير ذلك»[2].

وقال ابن الطوير: اذا كان العشر الأوسط من ذي الحجة اهتم الأمراء والأجناد بركوب عيد الغدير، وهو في الثامن عشر منه، وفيه خطبة عظيمة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمة ولا خروج عن القاهرة، ولا يخرج لأحد شيئًا فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر، ويكون ظهره الى دار فخر الدين جهاركس اليوم. وثم يخرج الخليفة، فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود، فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه، وقد نصب كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد، الذي يقال له عيد الغدير المعروف بغدير خم،

(١) صبح الاعشى، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٨م)، ج١٣، ص٢٤١.

(٢) الخطط المقريزية، ج٢، ص ٤٩٢-٤٩٣.



فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الأمراء والأجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الراي من الأكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عندما ينزل وياتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب، ويكون قد سير لخطيبه بدلة حرير يخطب فيها وثلاثين دينارًا، ويدفع له كراس محرر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وشرح فيها الخبر المنقول «من كنت مولاه فعلي مولاه» وغير ذلك ممن ورد في حق علي من الكرامة، وان هذا هو النص له بالخلافة دون غيره فاذا فرغ الخطيب ونزل، وينفض الناس بعد التهاني بعضهم ببعض، وهو عندهم أعظم من عيد النحر وينحر فيه أكثرهم[١].

وكانت هذه الاحتفالات لم تقتصر على فترة الحكم البويهي أو الفاطمي بل كانت تجري في غيرها أيضا فذكر الذهبي في مناسبات عام (٥٢٩هـ) (وفي أيام الغدير ظهر التشيع ومضى خلق الى زيارة مشهد علي ومشهد الحسين)[٢].

حديث التهنئة

لقد بادر الصحابة لتهنئة الإمام علي عليه السلام على تتويجه بمقام

(١) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تح: أيمن فؤاد سيد، (دار النشر فرانتس شتايز شتوتغارت، ١٩٩٢م)، ١٨٦-١٨٩.

(٢) تاريخ الإسلام، ج٣٦، ص٥٣.

الولايـة، وقـد تقـدم في الأحاديـث السـابقة أن أول مـن قـام لتهنئـة الإمـام علـي هـو عمـر بـن الخطـاب، حيـث قـال:» بـخ بـخ لـك يـا بـن أبي طالـب، أصبحـت مـولاي ومـولى كل مؤمـن»[1] وهـذا يكشـف عـن أن النبـي صـلى الله عليـه والـه وسـلم قـد أثبـت لعـلي مقامـا ومنزلـة خاصـة، استحق عـلى ضوئها التهنئـة والمباركـة مـن قبـل الصحابـة وسـائر المسـلمين[2].

وقـال ابـن الجـوزي: (فلقيـه عمـر بـن الخطـاب بعـد ذلـك فقـال: هنيئًـا لـك يـا ابـن طالـب أصبحـت وأمسيت مـولاي ومـولى كل مؤمـن)[3].

وقيـل: (أمـر الرسـول عليًـا أن يجلس في خيمـة بازائـه، وأمـر المسـلمين أن يدخلـوا عليـه فوجـا فوجـا فيهنّـوه بالمقـام، ويسـلموا عليـه بامـرة المؤمنـين. ففعلـوا ذلـك، وأمـر أزواجـه ونسـاء المؤمنـين بـه، ففعلنـه، وأظهـر عمـر بذلـك سرورا كامـلا وقـال فيـما قـال: بـخ بـخ لـك يـا عـلي، أصبحـت مـولاي ومـولى كل مؤمنـة)[4].

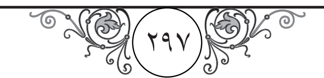
---

(١) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج١، ص١٥٨.

(٢) الأميني، الغدير، ج١، ص٣١٦.

(٣) الشافعي، علي بن الحسين بن هبة الدين (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، خواص الأمة في خصائص الأئمة، (ط١، دار الفكر، ١٩٩٦م)، ج٢٤، ص٢٢٠، تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، (مكتبة نينوى الحديثة، د. ت)، ص٢٩، القندوزي، سلمان بن ابراهيم(ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٦م)، مختصر ينابيع المودة لذوي القربى، (ط١، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠١م)، ص٨١-٨٢.

(٤) المفيد، الارشاد، ج١، ص١٧٦، ابن المغازلي، أبي الحسن علي بن محمد(ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي،



وحديث تهنئة الشيخين رواه أئمة الحديث والتفسير والتاريخ من رجال السنة كثير وخاصة عندما نصب رسول الله خيمة له عليه السلام وجلس هو في خيمة أخرى، وأمر اطباق الناس بأن يهنئوا عليا في خيمته، وممّن هناه من الصحابة عمر بن الخطاب فقال: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات[١].

رد شبهة النويري والمقريزي

قال النويري:» ولما ابتدع الشيعة هذا العيد واتخذوه من سننهم، عمل عوام السنة يوم سرور نظير عيد الشيعة في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة. وجعلوه بعد عيد الشيعة بثمانية أيام»[٢]

وقال المقريزي:» عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه، فإنّه أحدثه سنة ٣٥٢ه فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا»[٣]

وقال القلقشندي: (قد ابتدعت الشيعة عيدا ثالثا سموه عيد الغدير، وهو غدير على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة الطريق تصب فيه عين

(ط٣، دار الأثار، اليمن، ٢٠٠٣م)، ص٤٧، الاربلي، كشف الغمة، ج١، ص٤٢٩.

(١) المالكي، ابن الصباغ علي بن محمد، (ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: سامي الغريري، (ط١، مطبعة سرور، قم١٤٢٢هـ)، ج١، ص١٦٦.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج١، ص١٧٥.

(٣) الخطط المقريزية، ج٢، ص٢٢٢.

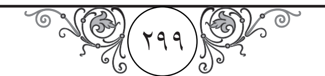
وحولـه شـجر كثـير)[1].

ومـا عسـانا أن نقـول في بحّاثـة يكتـب عـن تأريـخ الشـيعة قبـل أن يقـف عـلى حقيقتـه أو أنـه يقـول ولا يعلـم مـا يقـول، أو ليـس المسـعودي (ت٣٤٦ه) يقـول: وولـد عـلي وشـيعته يعظمـون هـذا اليـوم. أو ليـس الكلينـي الـراوي لحديـث عيـد الغديـر في الـكافي تـوفي في سـنة ٣٢٩ه[2]، فالكتـب هـذه ألفـت قبـل مـا ذاكـره (النويـري، والمقريـزي) مـن التاريـخ أو ليـس الفيـاض بـن محمد بـن عمـر الطـوسي قـد أخبر بـه سـنة ٢٥٩هــ وذكـر أنـه شـاهد الإمـام الرضـا يتعيـدّ في هـذا اليـوم، ويذكـر فضلـه وقدمـه، ويـروي ذلـك عـن آبائـه عـن أمـير المؤمنـين عليهـم السـلام. والامـام الصـادق قـد علّ أصحابـه بذلـك كلّـه وأخبرهـم بـما جـرت عليـه سـنن الأنبيـاء مـن اتخـاذ يـوم نصـب فيـه خلفاؤهـم عيـدًا كـما جـرت بـه العـادة عنـد الملـوك والأمـراء مـن التعيّـد في أيـام تسـنّموا فيهـا عـرش الملـك، وقـد أمـر أئمـة أهـل الديـن في عصورهـم القديمة شـيعتهم بأعـمال بريَـة ودعـوات مخصوصـة بهـذا اليـوم وأعـمال وطاعـات خاصـة بـه. هـذه حقيقـة عيـد الغديـر، لكـن الرجلـين أرادا طعنـا بالشـيعة فأنكـرا ذلـك السـلف الصالـح، وصـوَراه بدعـة معـزوَة الى معـز الدولـة وهمـا يحسـبان أنـه لا يقـف عـلى كلامهـا مـن يعـرف التاريـخ فيناقشـهما الحسـاب.[3]

(١) صبح الاعشى، (المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩١٣م)، ج٢، ص٤٠٧.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩ه/ ٩٤٠م)، أصول الكافي، (ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٥م)، ج١-٢، ص٢١٦.

(٣) العلامة الأميني، موسوعة الغدير، ج١، ص٣٤٠-٣٤١.



الخاتمة

وأخيرا وبعد اتمام البحث بعون الله سبحانه وتعالى تمكن الباحث من الخروج بنتائج عدة نذكر منها الاتي:

١- واقعة الغدير هي الواقعة التي بلّغ فيها النبي صلى الله عليه واله وسلم أمر الله تعالى بتنصيب الإمام علي اماما وخليفة للمسمين بعد النبي صلى الله عليه وآله.

٢- حظي حديث الغدير بمكانة مرموقة في الفكر الإسلامي وفي التاريخ الإسلامي، فلا يزال محط أنظار الباحثين والعلماء المعاصرين الذين أفردوا له بحوثا ودراسات متميزة.

٣- هناك كثيرٌ من المؤرخين ممن حاول التشكيك في دلالة الحديث على الإمامة والخلافة، ولكن تصدى الكثير من العلماء لرد شبهاتهم وكونها لم تكن مستندة الى برهان صحيح.

٤- اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام بحديث الغدير اهتماما كبيرا واحتجّوا به على مخاليفهم في مواضع متعددة، لذلك وردت روايات وأحاديث كثيرة في حديث الغدير عن جميع الأئمة (عليهم السلام).

قائمة المصادر والمراجع

أولا: القران الكريم

ثانيا: المصادر

١- ابن تغربردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت٨٧٤ه/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، ١٩٦٣م).

٢- الثعالبي، عبد الملك بن اسماعيل أبو منصور(ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٣م).

٣- ابن الاثير، أبو الحسين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م)

٤- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧ه/ ١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا- مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٥م).

٥- ابن الجوزي، تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، (مكتبة نينوى الحديثة، د. ت).

٦- الحموي، شهاب الدين بن عبد الله بن ياقوت(ت٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، د. ت).

٧- الخوارزمي، (ت٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)، المناقب، تح: الشيخ مالك المحمودي، (ط٥، مؤسسة النشر، قم، ١٤٢٥هـ).



٨- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨ه/ ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م)، العبر في خبر من غبر، تح:أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م).

٩- الاربلي، أبو الحسين علي بن عيسى بن ابي الفتح(ت٦٩٢ه/ ١٢٩٢م)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تح: علي ال كوثر، (دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢م)

١٠- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، ربيع الابرار ونصوص الاخيار، تح: عبد الامير مهنا، (ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٩٩٢م).

١١- الزبيدي، محب الدين ابو فيض اليد محمد مرتضى(ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)، تاج العروس في جواهر القاموس، تح: محمد عبد العزيز الخالدي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ه)

١٢- الشافعي، علي بن الحسين بن هبة(ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م).

١٣- الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب(ت٥٠٢ه/ ١١٠٨م)، المفردات في غريب القران، (مكتبة نزار، د. ت) .

١٤- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين(ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، أمال الصدوق، (ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ٢٠٠٩م).

١٥- ابن الطوير، ابو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن(ت٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تح: أيمن فؤاد سيد، (دار النشر فرانتس شتايز شتوتغارت، ١٩٩٢م).

١٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩م).

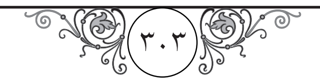
١٧- العسقلاني، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد(ت٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م).

١٨- القلقشندي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، صبح الاعشى، (المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١٣م).

١٩- القندوزي، سليمان بن ابراهيم(ت١٢٩٤هـ/ ١٨٧٦م)، مختصر ينابيع المودة لذوي القربى، (ط١، دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٦م).

٢٠- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم(ت٢٧٦ه/ ٨٨٩م)، المعارف، تح: الدكتور ثروت عكاشة، (ط٤، دار المعارف، ١٩٦٩م)

٢١- الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩ه/ ٩٤٠م)، أصول الكافي،



(ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٥م)

٢٢- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩١م)

٢٣- ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن محمد(ت٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م)، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تح: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، (ط٣، دار الأثار، اليمن، ٢٠٠٣م)

٢٤- المالكي، علي بن محمد(ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تح: سامي الغريري، (مطبعة سرور، قم، ١٤٢٢هـ)

٢٥- المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٣هـ/ ١٠٢٢م)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، تح: مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، (ط٢، مؤسسة أهل البيت، ٢٠٠٨م)، مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشيعة، تح: الشيخ مهدي نجف، (ط١، مطبعة مهر، ١٤١٣هـ)

٢٦- محمد بن سعد بن منيع(ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات، تح:دكتور علي محمد عمر، (ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠١م)

٢٧- المسعودي، أبو الحسين علي بن الحسين (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م)، التنبيه والإشراف، (مكتبة الشؤون الإسلامية، مصر، ١٩٣٨م)

٢٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي(ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، د. ت)

٢٩- ابن مسكويه، أبو علي الرازي(٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تجارب الأمم، تح: الدكتور ابو القاسم امامي، (ط١، دار سروش، طهران، ٢٠٠١م)

٣٠- المجلسي،

٣١- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: دكتور مفيد قميحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م)

٣٢- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر(ت٨٠٧هـ)/ ١٤٠٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتاب العربي، د. ت)

٣٣- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، تح: عبد الأمير مهنا، (ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠١م)

ثانيا: المراجع

١- دحلان، أحمد بن زيني، السيرة النبوية، (ط١، دار القلم، حلب، ١٩٩٦م)

٢- كمال، جميل، حوار حول الغدير، (ط٢، لجنة سيد الشهداء، الكويت، ٢٠٠٨م)

٣- الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير، (ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٤م)

٤- مسعود، جبران، معجم لغوي عصري، (ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م)

٥- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، (دار الفكر، بيروت، ١٩٧١م



الغدير: توكيد لجمع التصاريح وبيان لجوهر الدين الصحيح

م. م. محسن وهيب عبد الناصر السعداوي

أولا - مقدمة

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلَّى الله عليه واله ومن والاهم، ولا سيّما بقية الله والحمد لله، واللّعن الدائم على الظالمين المستكبرين أعداء الله.

الغدير ظاهرة رحمة الله وحجة بالغة له على عباده، فالذي يطلّع على تلك الظاهرة يجد فيها الحجة والبيان، تحاكي القرآن، وتفسر آياته وتنطق بالفطرة، وتوكد أُصولها، وتوضح جوهر الدين وتشكل ضابطاً من ضوابط صحته.

وما يهمنا في هذا البحث بيان تلك الحجة وغاياتها السامية في أصل الدين والفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله.

١- ماهية الغدير:

في كشف اليقين: (ولمّا قضى النبيُّ - صلَّى الله عليه وآله - الحجَّ رحل إلى المدينة بمن معه من المسلمين حتى وصل إلى غدير خم، وهو ليس موضعاً يصلح للنزول، لعدم وجود الماء فيه والمرعى، فنزل هو

والمسلمون حيث نزل عليه: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ لعلم الله - تعالى - إنْ تجاوز الغدير انفصل عنه كثير من الناس إلى بلادهم فنزل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وكان يوماً شديد الحر فأمر بدوحات فقم ما تحتها وأمر بجمع الرحال في ذلك المكان ووضعها على شبه المنبر، ثمَّ نادى بالصلاة الجامعة فاجتمعوا وكان أكثرهم يشدّ الرداء على قدميه من شدّة الحر، ثمَّ صعد - صلَّى الله عليه وآله - المنبر ودعا أمير المؤمنين - عليه السلام - وحمد الله ووعظ وأبلغ ونعى نفسه إلى الأُمَّة وقال: «**إنِّي دُعيت ويوشك أنْ أُجيب وقد حان منِّي خفوق من بين أظهركم، وإنِّي مخلِّف فيكم ما إنْ تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»، ثمَّ نادى بأعلى صوته: «**ألست أَولى منكم بأنفسكم؟**»، قالوا: بلى، فقال لهم: وقد أخذ بضبعي عليٍّ - عليه السلام - فرفعهما حتى رئي بياض إبطيهما: «**فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله**»، ثمَّ نزل فصلَّى ركعتين، ثمَّ زالت الشمس فصلَّى بالناس ونزل في خيمة وأمر علياً - عليه السلام - أنْ ينزل بإزائه في خيمة، ثمَّ أمر المسلمين أنْ يدخلوا على عليٍّ - عليه السلام - فوجاً فوجاً ليهنئوه ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، وكان فيمن أطنب في التهنئة عمر وقال: بخٍ بخٍ لك يا عليُّ أصبحت مولاي ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة)[1].

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ٣/ ١٠٩. تذكرة الخواص: ٣٥، نقلها



هـذه هـي قصـة الغديـر (غديـر خـم)، وهكـذا بـدت، لتكـون ظاهـرة ربانيـة، وحجـة إلهيـة، وحديـث الركبـان، وضابطـاً لصحـة الديـن عـلى مـدى الأزمـان وعيـداً أكـبر لله عـلى بنـي الإنسـان..

٢- الغدير لم يكن صدفة مطلقاً:

فحـوى مـا جـاء في الغديـر؛ لم يكـن صدفـة، ولم يفاجـئ أحـداً مـن المسـلمين في ذلـك الجمـع الغفير؛ وذلـك لأَنَّ مـا جـاء بـه النبـيُّ صـلَّى الله عليـه وآلـه في (زمـكان) الغديـر، إنّـما هـو توكيـد لمـا نزلـت مـن قبـل بـه مئـات الآيـات المحكـمات في كتـاب الله في حـقِّ عـليٍّ وولايـة عـليٍّ وإمامـة عـليٍّ وخلافتـه، وهـو أيضـاً تـو كيـد لمـا مهّـد بـه النبـيُّ صـلَّى الله عليـه والـه مكـرراً مـن أحاديـث ووصايـا في حـقِّ عـليٍّ وخلافـة عـليٍّ بعـده وفي منزلـة عـليٍّ منـه وفي إمامـة عـليٍّ عـلى النـاس، وأَنَّـه كنفسـه وأَنَّـه سـيحارب عـلى التأويـل كـما حـارب هـو صـلَّى الله عليـه والـه عـلى التنزيـل.

فقـد جـاء في الإرشـاد: (في ذكـر مـا جـرى بعـد خطبـة النبـيِّ صـلَّى الله عليـه وآلـه يـوم الغديـر -: ثـمّ نـزل صـلَّى الله عليـه وآلـه - وكان وقـت الظهـيرة - فصلّى ركعتـين، ثـمّ زالـت الشـمس، فـأذّن مؤذّنـه لصـلاة الفـرض، فصـلّى بهـم الظهـر، وجلـس صـلَّى الله عليـه وآلـه وسـلَّم في خيمتـه، وأمـر عليّـاً أن يجلـس في خيمـةٍ لـه بإزائـه، ثـمّ أمـر المسـلمين أنْ يدخلـوا عليـه فوجـاً فوجـاً

باختصار. مناقب ابن المغازلي: ١٦-٢٦. الإرشاد، للشيخ المفيد: ٩١. مجمع البيان: ٣/ ٢٢٣. كشف اليقين: ١٢/ ١٢.

فيهنّئوه بالمقام، ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلّهم، ثمّ أمر أزواجه وجميع نساء المؤمنين معه أن يدخُلنَ عليه ويسلِّمنَ عليه بإمرة المؤمنين، ففَعلنَ)[1].

وفي نصٍّ آخر لحذيفة: (... قال حذيفة: أيّها الرجل، أما إذا سألت وفحصت هكذا، فاسمع وافهم ما أُخبرك به: أمّا من تقدّم قبل عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ممّن تسمّى بأمير المؤمنين، فإنّهم تسمّوا بذلك وسمّاهم الناس به، وأمّا عليٌّ بن أبي طالب فإنّ جبرئيل عليه السلام سمّاه بهذا الاسم عن الله تعالى، وشهد له الرسول صلَّى الله عليه وآله عن سلام جبرئيل له بإمرة المؤمنين، وكان أصحابُ رسولِ الله يدعونه في حياة رسول الله بأمير المؤمنين)[2].

وهناك موقف آخر لحذيفة يذكره الطوسي في الأمالي عن عليٍّ بن علقمة الأنماري: (لمّا قدم الحسن بن عليٍّ صلوات الله عليهما وعمّار بن ياسر رضى الله عنه يستنفران الناس، خرج حذيفة وهو مريض مرضه الذي قُبض فيه، فخرج يُهادَى بين رَجُلين[3]، فحرّض الناس وحثّهم على اتّباع عليٍّ عليه السلام وطاعته ونصرته، ثمّ قال: ألا من أراد -

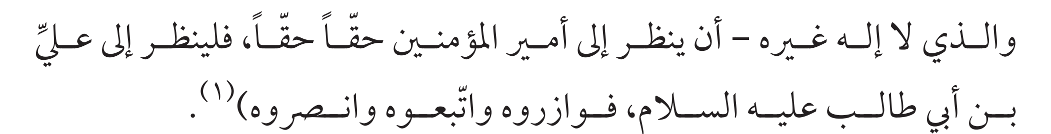
---

(١) الإرشاد: ١/ ١٧٦. إعلام الورى: ١/ ٢٦٢، عن الإمام الصادق عليه السلام. وراجع الاحتجاج: ١/ ٣١١، ح٥٣. الخرائج والجرائح: ٢/ ٥٩٢، ح١. المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٥٣.

(٢) إرشاد القلوب: ٣٢٢.

(٣) أي يَمشي بينهما معتمداً عليهما؛ من ضَعفه وتمايله (النهاية: ٥/ ٢٥٥).





والـذي لا إلـه غـيره - أن ينظـر إلى أمـير المؤمنـين حقّـاً حقّـاً، فلينظـر إلى عـليِّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام، فـوازروه واتّبعـوه وانـصروه)[1].

وفي الأمـالي للطـوسي أيضـاً: (عـن أبي راشـد: لّمـا أتـى حذيفـة بيعـة عـليٍّ عليـه السـلام، ضرب بيـده واحـدة عـلى الأُخـرى وبايـع لـه، وقـال: هـذه بيعـة أمـير المؤمنـين حقّـاً، فـوَ الله لا يبايـع بعـده لواحـد مـن قريـش إلّا أصغـر أو أبـتر يـولّي الحـقّ استه!)[2].

وفي المستدرك عـلى الصحيحـين عـن الأسـود بـن يزيـد النخعـي: لّمـا بويـع عـليُّ بـن أبي طالـب عليـه السـلام عـلى منـبر رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، قـال خزيمـة بـن ثابـت الأنصـاري وهـو واقـف بـين يـدي المنـبر:

إذا نحـن بايعنـا عـليّـاً فحسبنا	أبـو حسـنٍ مّمـا نـخاف مـن الفِـتَنْ
وجدنـاه أَولى النـاس بالناس أنّـهُ	أطَـبُ قـريشٍ بالكتاب وبالسُّنَنْ
فـإنّ قـريشـاً مـا تـشـقّ غـبـارهُ	إذا ما جرى يوماً على الضُّمَر البُدَنْ
وفيـه الـذي فيهم مـن الخـير كـلّـهِ	وما فيهمُ بعض الذي فيه من حَسَنْ[3]

وعليـه فـإنَّ البحـث ينقسـم إلى: المبحـث الأَوّل: الغديـر توكيـد لمـا صرّح بـه القـرآن الكريـم والحديـث النبـويُّ الشريـف في حـقِّ عـليٍّ عليـه السـلام.

المبحـث الثـاني: الغديـر بيـان لجوهـر الاعتقـاد بـالله تعـالى فهـو ضابـط مـن

---

(١) الأمالي للطوسي: ٤٨٦، ح١٠٦٥.

(٢) الأمالي للطوسي: ٤٨٧، ح١٠٦٦.

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٣/ ١٢٤، ٤٥٩٥؛ كشف الغمّة: ١، ٧٨. المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ١٩٥.

ضوابـط صحـة الديـن وسـلامة الفطـرة.

المبحـث الثالـث: بيـان لمهـام الإمامـة في خيـار الحيـاة الدنيـا لبنـي آدم ودليلهـم إلى الجنـة التـي هبطـوا منهـا بمعصيـة.

نسأل الله تعالى السداد والقبول فهو الغاية وهو أرحم الراحمين.

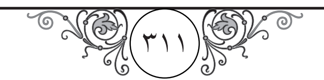
ثانياً- المبحث الأول:

الغديـر توكيـد لنصـوص مـا صرّح بـه القـرآن الكريـم والحديـث النبـويُّ الشريـف في حـقِّ عـليٍّ عليـه السـلام.

١- أمـر خلافـة الإمـام عـليٍّ للنبـيِّ صلـوات الله عليهـم كان أمـراً بديهيًـا يعرفـه الجميـع في العهـد النبـويِّ المبـارك:

مـن أهـم المفارقـات في التاريـخ الإسـلامي والسـنة النبويّـة في إطارهـا العـام، أنَّهـا لم تـورد أنَّ أحـداً مـا أو جماعـة، سـألوا النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه عمّـن يـلي الأمـر مـن بعـده؟! وهـذا سـببه واضـح جـداً، وهـو أنَّ النبـيَّ صـلَّى الله عليـه وآلـه، قـد جعـل جـواب هـذا الأمـر معروفـاً وبديهيـاً في الأُمَّـة مـن خـلال تكـرار البتّ فيـه، والتوكيـد عليـه وفيـما نـزل مـن كتـاب الله وفيـما نـصَّ عليـه هـو صـلَّى الله عليـه وآلـه بأمـر مـن الله في أزمنـة وأماكـن متعـددة.. ثـمَّ بـدا هـذا الأمـر مؤكـداً جـداً واضحـاً فيـما يسـمى برزيـة الخميـس التـي ترويهـا كلُّ كتـب الصحـاح عنـد العامـة والخاصـة.

فقـد اعتـاد الأصحـاب مـن الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه أنْ يؤكـد أمـر





ولايـة عـليٍّ وخلافتـه وإمامتـه ووزارتـه؛ ولـذا عندمـا طلـب الرسـول في مرضـه الأخـير قرطاسـاً ليكتـب لهـم كتابـاً لـن يضلـوا بعـده، عـرف الطامحـون في المناصـب أَنَّـه يريـد أنْ يكـرر ويؤكـد الولايـة والخلافـة لعـليٍّ عليـه السـلام؛ ولذلـك امتنـع عليـه أحـد قيـادات الحـزب القـرشي الـكاره لأمـر الله في ولايـة عـليٍّ عليـه السـلام، عمـر بـن الخطـاب واتهـم الرسـول - والعيـاذ بـالله - بالهجـر وقـال: حسـبنا كتـاب الله... ثـمَّ تـسرَّب فيـما بعـد عـن عمـر أَنَّـه علـم مـا في نفـس رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه.

فقـد قـال عمـر بـن الخطـاب مـرّة لابـن العبـاس: (يـا عبـد الله عليـك دمـاء البـدن إنْ كتمتنيهـا؛ أبقـى في نفسـه شيء مـن أمـر الخلافـة؟ قلـت: نعـم، قـال: أيزعـم أنَّ رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه نـصَّ عليـه؟ قلـت: نعـم، وأزيـدك، سـألت أبي عـمَّا يدعيـه، فقـال: صـدق، قـال عمـر: لقـد كان مـن رسـول الله في أمـره ذرو مـن قـول لا يثبـت حجـة، ولا يقطـع عـذراً، وقـد كان يزيـغ[1] في أمـره وقتـاً مـا، ولقـد أراد في مرضـه أنْ يـصرح باسـمه فمنعـت مـن ذلـك إشـفاقاً وحيطـةً عـلى الإسـلام، لا وربِّ هـذه البنيـة لا تجتمـع عليـه قريـش أبـداً، ولـو وليهـا لانتقضـت عليـه العـرب مـن أقطارهـا، فعلـم رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه أنِّي علمـت مـا في نفسـه فأمسـك، وأبـى الله إلَّا إمضـاء مـا حتـم)[2].

(١) الزيغ؛ هو الحيود عن الحق إلى الجور والظلم.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١/ ٢٠. موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ٣/ ٧٤. كشف اليقين: ٤٦٣/ ٥٦٢. كشف الغمّة: ٢/ ٤٦. حلية الأبرار: ٢/ ٢٥٨. بحار الأنوار: ٣٨/ ١٥٦.



لاحظ اتهامات عمر الظالمة لرسول الله صلَّى الله عليه وآله بعد اتهامه بالهجر، بوصفه (يزيغ) في أمر عليٍّ عليه السلام؟! وهذه الاتهامات للذي لا ينطق عن الهوى بحدِّ ذاته كفر ونفاق، ولولا الغدير لكان أمر هذا العلج خافياً على الأُمَّة، ولبقي غير معروف مع انتحاله لصفة الفاروق.

فأمر خلافة عليٍّ عليه السلام بعد الرسول صلَّى الله عليه وآله كان أمراً شائعاً بديهياً معروفاً للجميع لا شائبة فيه، وكلُّ الأُمَّة تعلمه كما تعلم صلاتها وصيامها وجهادها وبقية فروضها، فأمر ولاية عليٍّ عليه السلام، يتكامل مع نزول القرآن ولم ينزل قط قرآن في أحدٍ كما نزل في عليٍّ، وإنْ نزل شيء في أحدٍ غيره فإنَّما نزل تقريعًا.

عن ابن عباس قال: (ليس من آية في القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلَّا وعليٌّ رأسها وأميرها وشريفها، ولقد عاتب الله عزَّ وجلَّ أصحاب محمّد صلَّى الله عليه وآله في القرآن وما ذكر علياً إلَّا بخير)(١).

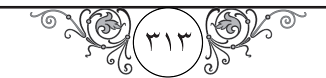
«**عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ، لا يفترقان حتى يَرِدا عليَّ الحوض**»(٢).

وقال عليه السلام: «**ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أُخبركم**

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل: ٢/ ٦٤٦، ح ١٠٩٨. تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٧١.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ١٠/ ٤٣٤؛ قال هذا حديث صحيح الإسناد وأبو سعيد التيمي هو عقيصاء ثقة مأمون، ولم يخرجاه. المعجم الأوسط للطبراني: ١١/ ١٠٥. المستدرك بتعليق الذهبي: ٣/ ١٣٤، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح، جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي: ١٤٤٩٥. أخرجه الحاكم: ٣/ ١٣٤، رقم ٤٦٢٨، وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضاً: الطبراني في الصغير: ٢/ ٢٨، رقم ٧٢٠. وفى الأوسط: ٥/ ١٣٥، رقم ٤٨٨٠.



عنه »[1].

وقال عليه السلام: « **والله ما نزلتْ آية إلّا وقد علمتُ فيما نزلتْ، وأين نزلت، وعلى من نزلت** »[2]، وهذه حقيقة أقرّ بها الجميع، واعترف بها الصحابة منذ الأيّام الأُولى.

من جهة أُخرى يمكننا أنْ نفهم من هذا الكلام النبويِّ الرفيع أنَّ القرآن الكريم أفضل وثيقة دالّة على إمامة عليٍّ عليه السلام وولايته، وعظمة عليٍّ عليه السلام وناطقة بجلالته وسموّ شأنه: «**والقرآنُ مع عليّ**».

وإنَّ هذا الواقع فرض نفسه في الأُمَّة ولم يَخْفَ هذا على أحد منذ الأيّام الأُولى لنزول القرآن الكريم، ولقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله بياناً لذلك: « **ما أنزل الله آية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا وعليٌّ**

(١) نهج البلاغة الخطبة (١٨٠).

(٢) الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٣٨. الشرف المؤبد: ٦٥. تاريخ الخلفاء: ١٢٤. الصواعق المحرقة: ٧٦. تحف العقول: ١٩٦. تاريخ دمشق: ٤٢/ ٣٩٨. شواهد التنزيل: ١/ ٤٥، ح٣٨. المناقب للخوارزمي: ٩٠/ ٨٢ كلّها عن سليمان الأحمسي عن أبيه. الصواعق المحرقة: ١٢٧ وفيه - ناطقاً - بدل - طلقاً -؛ تفسير العيّاشي: ١/ ١٧، ح١٢، عن سليمان الأعمش عن أبيه. حلية الأولياء: ١/ ٢٨. كفاية الكنجي: ٩٠. كنز العمال: ٦/ ٣٩٦. إسعاف الراغبين: ١٦٢. تفسير العياشي: ١/ ١٧. تفسير البرهان: ١/ ١٧. بحار الأنوار: ٧٧/ ٨٢. كنز العمال: ١٣/ ١٢٨، ح٣٦٤٠٤. تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام عليٍّ عليه السلام: ٣/ ٢٥.

رأسُها وأميرُها»[1].

وقال عبد الله بن عبّاس: (ليس من آية في القرآن فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ إلّا وعليٌّ رأسُها وأميرُها وشريفُها. ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في القرآن، وما ذكر عليّاً إلّا بخير)[2].

وقال أيضاً: (ما نزل في أحدٍ من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ)[3].

وقال حذيفة بن اليمان: (ما نزلت في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ إلّا كان لعليٍّ لُبُّها ولُبابُها)[4].

٢- عشرات الآيات نزلت في عليٍّ عليه السلام:

قال مجاهد: (نزلت في عليٍّ سبعون آية، لم يَشرَكه فيها أحد)[5].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: (لقد نزلت في عليٍّ ثمانون آية صَفْواً في كتاب الله، ما يشركه فيها أحد من هذه الأُمّة)[6].

(١) حلية الأولياء: ١/ ٦٤. تفسير العيّاشي: ١/ ٢٨٩، ح٦، عن عكرمة، وح٧ عن ابن عبّاس وكلاهما نحوه من دون إسنادٍ إليه صلى الله عليه وآله. غاية المرام: ١/ ٤٤١.

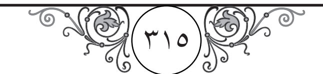
(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل: ٢/ ٦٥٤، برقم ١١١٤. المعجم الكبير: ١١/ ٢١١، برقم١١٦٨٧. تاريخ دمشق: ٣٦٣٤٢. تاريخ الخلفاء: ٢٠٣. الصواعق المحرقة: ١٢٧. شواهد التنزيل: ١/ ٦٤، برقم٧٠ وليس فيها - رأسها -.

(٣) تاريخ الخلفاء: ٢٠٣. شواهد التنزيل: ١/ ٥٢، برقم ٤٩. كشف الغمّة: ١/ ٣١٤.

(٤) شواهد التنزيل: ١/ ٦٣/ ٦٧.

(٥) شواهد التنزيل: ١/ ٥٢/ ٥٠ وص ٥٣/ ٥١.

(٦) شواهد التنزيل: ١/ ٥٥/ ٥٥.



جاء في كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين للعلامة الحلي رضوان الله عليه: فيما ورد من طريق الجمهور أنَّه نزل في أمير المؤمنين - عليه السلام - من القرآن: ما نقله الخوارزمي[1]: عن ابن عباس قال[2]: ما أنزل الله - تعالى - آية فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلَّا وعليٌّ رأسها وأميرها.

ونقل ابن مردويه الحافظ[3] بإسناده إلى ابن عباس قال: (ما في القرآن آية وعليٌّ رأسها وقائدها).

وبإسناده عن عليٍّ - عليه السلام -[4] قال: «**نزل القرآن أرباعاً: فربع فينا، وربع في عدونا، وربع سير وأمثال، وربع فرائض وأحكام، ولنا كرائم القرآن**»، وعن ابن عباس[5]: (ما نزل في أحد من الله عزَّ وجلَّ ما نزل في عليٍّ عليه السلام)، وعن مجاهد[6] قال: (نزل في عليٍّ - عليه السلام - سبعون آية).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[7]، قال البراء: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ بن أبي طالب

---

(١) مناقب الخوارزمي / ١٨٨.

(٢) المصدر: قال: قال رسول الله - صلى الله عليه.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، لأبي الفتح الإربلي: ١/ ٣١٤، نقلًا عن مناقب ابن مردويه.

(٤) م. ن.

(٥) م. ن.

(٦) م. ن.

(٧) سورة مريم، الآية: ٩٦.

عليه السلام: «**يا عليُّ قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي عندك وداً واجعل في صدور المؤمنين مودة**»، فنزلت. وأورد هذا الحديث من عدّة طرق[1].

وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[2] قال ابن عباس: قال رسول الله - صلَّى الله عليه وآله -: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ وأومأ بيده إلى صدره ﴿لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وأشار بيده إلى عليٍّ وقال: «**بك يقتدي المهتدون بعدي**»[3].

هذه الباقة العبقة من الروايات الشريفة تُنبئ عن واقع صنعه القرآن الكريم لعليٍّ عليه السلام في عهد صاحب الرسالة وعلى يديه وبتصديقه وتكرار تأكيده صلَّى الله عليه وآله أفضليّة عليٍّ عليه السلام بما لا يفوقه أحدٌ سوى رسول الله صلَّى الله عليه وآله؛ ولذا فالغدير زماناً ومكاناً وحادثاً وحديثاً؛ لم يكن صدفة ولا أمراً عفوياً، إنَّما جاء في إطار التوكيد المستمر لبقاء الدين وحفظه.

٣- لم ينزل في خصوم عليٍّ عليه السلام من الصحابة المتخلفين إلا التقريع والتبكيت[4]:

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٣١٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٣) كشف الغمة: ١/ ٣١٤.

(٤) الصحاح في اللغة: ١/ ٥٠: التَبْكيتُ كالتقريع والتعنيف. وبَكَتَهَ بالحُجَّة، أي غلبه.



بقي أنْ نشير إلى أنَّه ليس هناك أحدٌ من الصحابة على الإطلاق حظي بما حظي به عليٌّ عليه السلام من مديح الوحي، أمَّا الباقون من المتخلفين (الذين تقدموا على أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام لخلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله)، فلا أدنى حظ لهم من الحديث النبويِّ بالخلافة أو الإمامة ولا من القرآن على التحقيق، بل قد يكون نزل فيهم تقريع وتكبيت، وكثيراً ما أظهروا خوفاً وفرقاً من أنْ ينزل فيهم قرآن ولو كانوا يضمرون إيماناً صادقاً لما خافوا أنْ ينزل فيهم قرآن.

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة: (ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلَّا أنَّه أنزل عذري)[1].

ويبعد أنْ ينزل لصالح أبيها أبي بكر قرآن ولا تعلمه، مع شدّة حرصها على رفعة شأنه، كما دلَّ عليه تقديمها له في منصب نبيِّ الله ووليه.

وأيضاً فلو نزل لصالحه آية واحدة لاحتج بها يوم السقيفة، ولم يحتج بالأئمة من قريش، لامتناع عليٍّ عليه السلام والمقداد وسلمان وأبي ذر وعمار والزبير وجماعة آخرين عن بيعة أبي بكر.

وأيضاً لو كان هو المراد بالأتقى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]، فلِمَ قال أبو بكر على المنبر: (أقيلوني أقيلوني لست بخيركم وعليٌّ فيكم)؟[3]، ولِمَ قال عمر ابن الخطاب: (إنَّ بيعة أبي بكر

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٤٢، تفسير سورة الأحقاف.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) الصراط المستقيم للبياضي: ٣/ ٨٨-٩٠.

كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها! ومن عاد لمثلها فاقتلوه)[١]، فبيعة أبي بكر كانت شراً باعترافهم وقى الله الأُمَّة منها.

فالواقع أنَّ القرآن كان قرّع بالصحابة الظانين المتخلفين (الذين اختاروا السلطة والحكم) دون اختيارهم لها لعلّ الأُمَّة ترعوي، فمن المتفق على صحته عند كلِّ المسلمين أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله أعتم[٢] بالعشاء حتى ناداه عمر: الصلاة[٣]! نام النساء والصبيان، فخرج[٤]! وقال: ما كان لكم أنْ تبرزوا[٥] رسول الله صلَّى الله عليه وآله على الصلاة، وذلك حين صاح عمر بن الخطاب[٦] وقد قال الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، فجعل ذلك محبطاً للعمل، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفي مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب: أنَّه لَّما توفي عبد الله بن أبي

---

(١) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم: ١/ ٢٨.

(٢) قال في نهاية ابن الأثير: ٣ / ١٨١. أعتم الشيء وعتمه: إذا أخره، وحتى يعتموا: أي يدخلوا في عتمة الليل، وهي ظلمته.

(٣) في المصدر: إنّ عائشة قالت: (أعتم رسول الله صلى الله عليه وآله بالعشاء وفي كشف الحق: بالصلاة).

(٤) في المصدر: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥) في نهج الحق: وما كان لكم أن تنذروا.

(٦) إلى هنا جاء في صحيح مسلم: ١/ ٢٤١. صحيح البخاري: ١/ ١٤١.



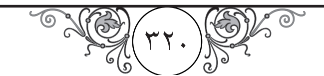
سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله ليصلِّي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلَّى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله! أتصلّي عليه وقد نهاك ربُّك أن تصلِّي عليه؟! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: إنَّما خيرني الله تعالى قال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً...﴾ وسأزيد على السبعين، قال: إنَّه منافق.. فصلَّى عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وهذا ردٌّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله.

وفي الجمع في الصحيحين من مسند عائشة، قالت: كانت أزواج رسول الله صلَّى الله عليه وآله تخرجن ليلاً إلى ليل قبل المصانع، فخرجت سودة بنت زمعة فرآها عمر وهو في المجلس، فقال: عرفتك يا سودة! فنزلت آية الحجاب عقيب ذلك).

وكلُّ هذا يدلُّ على سوء أدب عمر حيث كشف ستر زوجة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ودلَّ عليها أعين الناس وأخجلها، وما قصدت بخروجها ليلاً إلَّا الاستتار عن الناس وصيانة نفسها، وأي ضرورة له إلى تخجيلها حتى أوجب ذلك نزول القرآن.

فالقرآن الكريم كما رأينا، ينزل دوماً بمناقب عليٍّ عليه السلام، وتقريع خصومه وإنَّ كلَّ من نزل بهم فإنَّما ينزل بسوء أفعالهم وبتبكيتهم.

٤- كان الانقلابيون يخافون نزول القرآن ويتساءلون من خوفهم: أنزل في قرآن؟!



قال الله تعالى في وصف المنافقين ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾.

أَوَّلاً - ما جاء في الصحاح من قصة سورة براءة، وقد دفعها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله إلى أبي بكر لينبذ بها عهد المشركين، (فلمَّا سار غير بعيد نزل جبرئيل عليه السلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله فقال: «**إنَّ الله يقرئك السلام ويقول لك: لا يؤدي عنك إلَّا أنت أو رجل منك**»، فاستدعى رسول الله صلَّى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال له: «**اركب ناقتي العضباء، والحق أبا بكر، فخذ براءة من يده، وامض بها إلى مكة فانبذ بها عهد المشركين إليهم، وخير أبا بكر بين أن يسير مع ركابك، أو يرجع إليّ**»، فركب أمير المؤمنين عليه السلام ناقة رسول الله صلَّى الله عليه وآله العضباء، وسار حتى لحق بأبي بكر، فلمَّا رآه فزع من لحوقه به واستقبله وقال: فيم جئت يا أبا الحسن؟ أسائر أنت معي أم لغير دلك؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله أمرني أنْ ألحقك فأقبض منك الآيات من براءة أنبذ بها عهد المشركين إليهم وأمرني أن أُخيرك بين أنْ تسير معي أو ترجع إليه**»، فقال: بل أرجع إليه، وعاد إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فلمَّا دخل عليه قال: يا رسول الله إنَّك أهلتني لأمر طالت الأعناق إليَّ فيه، فلمَّا توجهت له رددتني عنه، ما لي؟ أنزل فيَّ قرآن؟ فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**لا ولكنَّ الأمين جبرئيل عليه السلام هبط إليَّ عن الله عزَّ وجلَّ بأنَّه؛ لا يؤدي عنك إلَّا أنت أو رجل منك،**

وعليٌّ مني، ولا يؤدي عني إلَّا عليٌّ»، في حديث مشهور، وكان نبذ العهد مختصاً بمن عقده أو بمن يقوم مقامه في فرض الطاعة، وجلالة القدر، وعلو الرتبة، وشرف المقام، ومن لا يرتاب بفعاله، ولا يعترض عليه في مقاله، ومن هو كنفس العاقد، وأمره أمره، فإذا حكم بحكم مضى واستقر، وأمن الاعتراض).

ثانياً- جاء في صحيح البخاري: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر عن شيء، فلم يجبه، ثمَّ سأله فلم يجبه، ثمَّ سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أُمُّك عمر، نزرت رسول الله ثلاث مرات، كلُّ ذلك لم يجبك، قال عمر: فحركت بعيري، حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فلم أنشب أن سمعت صارخاً يصرخ، قال: قلت: لقد خشيت أنْ يكون نزل فيَّ قرآن!.

هذا هو حال الصحابة الظانين السوء مع القرآن صريحاً، وهناك التلميح الذي يفيد فشلهم في النصح للإسلام كقوله تعالى: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾.

خلاصة القول: إنَّ القرآنَ وحيُ الله الصادح بأمره وبوجود النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في الأُمَّة صنع واقعاً خاصاً لعليٍّ عليه السلام لم ينازعه فيه أحد على الإطلاق، يعضده ما يؤكده النبيُّ ويكرره يومياً من ولاية عليٍّ وخلافته من بعده وأنَّه منه بمنزلة هارون من موسى، حتى صار أمر

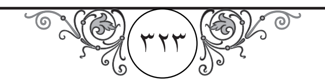
خلافته عليه السلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله أمراً بديهياً معتاداً بالنسبة لكلِّ الأُمَّة واحداً واحد، وجاء الغدير ليؤكد هذا الواقع، وقد اغتيل هذا الواقع في يوم السقيفة بمؤامرة معدة مسبقاً بدؤوها في رزية الخميس.

٥- استغراب الغائبين تغير الواقع البديهي بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(استغرب الذين غابوا عن السقيفة، ثمَّ حضروا ليشهدوا أنَّ واقعاً منقلباً على المعتاد والبديهي في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله؛ قد استجد كما هي الحال مع بريدة الأسلمي، فإنَّ بريدة كان غائباً بالشام، فقدم وقد بايع الناس أبا بكر، فأتاه في مجلسه فقال: يا أبا بكر هل نسيت تسليمنا على عليٍّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، واجبةً من الله ورسوله؟ قال: يا بريدة إنَّك غبت وشهدنا وإنَّ الله تعالى يحدث الأمر بعد الأمر، ولم يكن الله ليجمع لأهل هذا البيت النبوة والملك، وقد روي خطاب بريدة لأبي بكر بهذا المعنى في ألفاظ مختلفة من طرق كثيرة).

وقد عاد بريدة إلى أهله في أسلم حتى ركز رايته في وسط أسلم ثمَّ قال: لا أُبايع حتى يباع عليٌّ بن أبي طالب، فقال عليٌّ عليه السَّلام: «**يا بريدة ادخل فيما دخل فيه الناس، فإنَّ اجتماعهم أحبُّ إليَّ من اختلافهم اليوم**»، وقد أبت أسلم أنْ تبايع، فقالوا: ما كنا نبايع حتى يبايع بريدة لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لبريدة «**عليٌّ وليُّكم من بعدي**».

قال: فقال عليٌّ عليه السَّلام: «**إنَّ هؤلاء خيروني أنْ يظلموني حقي**





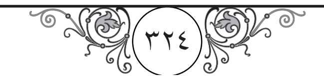
وأبايعهم، وارتد الناس حتى بلغت الردّة أحداً فاخترت أنْ أُظلم حقي وإنْ فعلوا ما فعلوا».

ومنذ أنْ تغير هذا الواقع الذي صنعه القرآن والنبيُّ لعليٍّ صلوات الله عليهما وآلهما إلى اليوم منعت السنة من التدوين ثمَّ صار وضع الحديث على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله على قدم وساق وصار الزيغ على قدر ما يدفع المتخلفين زوراً، للمزورين والوضاعين أمثال سمرة بن جندب وأمثاله في عهود تتالت على بُغض عليٍّ عليه السلام وسبِّه على المنابر سنَّة لا تصح صلاتهم بغيرها، إلَّا أنّ علياً عليه السلام ما زال علم الإمامة الساري وقطبها وأبوها؛ لأنّه خيار الله تعالى وارتضاؤه، نحياها دوماً بحياة الغدير عيداً أكبر لله في الأرض وفي السماء.

ثالثاً- المبحث الثاني:

الاصطفاء والاختيار: منهج الدين وجوهر الفطرة يؤكده الغدير حادثاً وحديثاً

إنَّ الله تعالى حين خلق الخلق لم يخلقه سدى ولم يتركه للعبث، قدره تقديراً ودبره تدبيراً وأحكم أبعاده وضبط حدوده، وليس هناك فسحة للعبث ولا هناك ثغرة للتيه، كلُّ أمر مختار بعلم ومقدّر بدقّة، وكلُّ بُعد محسوب بصرامة؛ أنماط كونية محدودة، وسنن كونية بديهية حاكمة مستطيلة نافذة مهيمنة معدودة لا يفلت من حاكميتها كائن، على وفق نسق كوني راتب للكائنات واقعة في ستة أنماط خاضعة لثماني سنن،



فالخيارات لا تخرج عن ذلك النسق.

ولذا فعندما يقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، إنّما هذا القول المبارك يفسّر فعل النسق الكوني الذي ينشط به الكون وتسير عليه الكائنات، حيث كما نجده في الفيزياء كوناً مترابطاً ومشروطاً على وفق مشيئة الصانع جلَّ وعلا، فالحقيقة الكونية الفيزيائية تقول بالضبط كما يقول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ولَّما كان سبحانه هو المحسن المطلق فخياراته هي الحسن والكمال، وما يختاره سبحانه هو الأفضل دوماً، فإنَّ المختار لكلِّ ذلك هو العليم الخبير جلَّ وعزَّ اسمه: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

حتى التشريع المنزل إنَّما هو نصوص مختارة لما يجب فعله ولما لا يجب، أو تشخيص لما هو ممنوع ولما هو مباح، والحدود أيضاً مختارة ومحسوبة... كلُّ ذلك كي لا يخرج الإنسان عن النسق الكوني حيث خيارات المحسن المطلق تعالى ليكون البشر محسناً مرضياً مقبولاً عند الله.

فمثلاً الإمامة سنة كونية بديهية مهيمنة مستطيلة نافذة في الوجود، يجدها الإنسان حين يفتح عينه للحياة فيجد أنَّ له أباً أو أُمّاً يرعيانه، وعندما يكبر يجد له عميداً في أُسرته، ثمَّ شيخاً في قبيلته، ثمَّ لا بُدَّ من مديرٍ في دائرته أو قائدٍ في جيشه ثمَّ لا بُدَّ من حاكم لمجتمعه أو

رئيس لدولته... إلخ، ترى لماذا لا بُدَّ من ذلك؟ مَنْ اشترط ذلك على المجتمعات؟ حتى في نفسه إن التفت إليها يجد أنَّ كلَّ جوارحه وأعضاء بدنه إنَّما تتحرك بإمامة عقله، فمن اختار له من ذاته إماماً لحال أفضل وأحسن، فهل يمكن أنْ يترك الناس بلا إمام؟ وهو تعالى يقول لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

وإنَّ سؤال إبراهيم عليه السلام عن الإمامة من بعده، ذكره الله تعالى بأنَّ الإمامة سنَّته وعهده في الناس لا ينالها ولا تمضي إلَّا في العدول فقط خياراً وشرطاً لازماً لا ينفك أبداً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فالله تعالى مختار مصطفٍ ومجتبٍ للكائنات وللأشخاص مباشرة، وللأفعال بالسنن الكونية أو بوصايا نصوص كتبه المنزلة.

فمن شاء ما شاء الله تعالى واختار ما اصطفاه الله تعالى فهو محسن مرضيّ، ومن خالف خيار الله واصطفاءه فهو مذنب ملعون مطرود من رحمته؛ لذا يقول تعالى عمَّن يرغب عن ملّة إبراهيم المصطفى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

والدين هو ممَّا اصطفاه الله من التشريع: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

إذن فالرسل والأئمة الحقّ والدين هم اصطفاء واختيار من الله تعالى

ولا يصح لأحدٍ أن يختار من الأئمة غير من اختارهم الله واصطفاهم: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وجعل الله تعالى الإذعان لخيار الله شرط الإيمان والرفض علامة المعصية والضلال - والعياذ بالله- فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾.

والقرآن محكم واضح في معاني الاصطفاء والاختيار باعتبارهما جوهراً للدين وأساساً لتشريعاته وآدابه وثقافته، ذلك ما سنناقشه في هذا المبحث لأهميته البالغة في تشخيص الانحرافات التي حصلت في الأُمَّة حيث رغب من رغب عن ملّة إبراهيم المصطفى، فسفه نفسه كما يصفه القرآن: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾.

حادث الغدير وحديثه جاء في إطار منهج الاصطفاء والاختيار الرباني بل وتوكيداً له، وبذلك يصير الغدير في فحواه معياراً ضابطاً في صحّة الدين، والرافضون له شذاذ عن الدين الفطرة والمنهج الرباني بعيدون عنه.

فالغدير إذاً لم يكن مجرد حادث أو مجرد نصٍّ صدر عن الرسول صلَّى الله عليه وآله، إنَّما هو في واقعه معيار ضابط في صحّة اعتقاد المرء



بالإسلام ورقي اعتقاده وعمق إيمانه لأنَّ في فحواه والتصديق به حصانة من الانحراف وضماناً من الضلال.

رابعاً- المبحث الثالث:

الغدير يؤكد حاكمية سنة الإمامة سنة الكونية التي يمنحها الكمال التكويني للكائنات:

١ - الدين؛ ليس إلا عاصم ومعصوم ومعتصم على سبيل نجاة:

الدين في جوهره ومعناه المطلق هو كلُّ وسيلة عاصمة من الضلال، يشرعها الله، العاصم -، ويجسدها المعصوم، في سلوكه قولاً وفعلاً وتقريراً، كي يستطيع الذي يريد الاعتصام على سبيل النجاة والفوز برضا الله تعالى أنْ يقتدي بمجسدات المعصوم في واقع الإنسان والإنسانية ويتأسى بالإمام المختار لتحقيق معنى الخلافة في الأرض.

فمن لم يكن على هذه السبيل(الدين الحق)، فقد تفرقت به السبل.. يقول تعالى في الاعتصام وطاعة المعصوم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وقال تعالى في بيان واضح يخصّ الاعتصام في محكم آياته: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾.

يفسّر هذا القول العزيز الإمام الصادق عليه السَّلام في جواب لهشام عن العصمة، في قوله عليه السَّلام وهو يفسر القرآن بالقرآن: «**المعصوم هو الممتنع بالله عن محارم الله، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾**».

وكذا يشير الإمام زين العابدين عليه السَّلام إلى ذات القصد في جواب له عندما قيل له: يا بن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال عليه السَّلام: «**هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾**».

لكنَّنا علينا أنْ نفهم أنَّ القرآن خطاب لكلِّ البشر، والمعصومون محددون، فالعصمة لا تكون إلَّا في نبيٍّ أو رسول أو إمام مختار منصوص عليه، فلا تخلو منه الأرض زماناً ومكاناً، فكيف نفسر هذا الواقع؟

يقرر القرآن وهو الحق أنّ الله تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولاً، وأنَّ لكلِّ قومٍ هادٍ وأنَّه تعالى ضمن إيصال تبليغاته إلى الجميع:

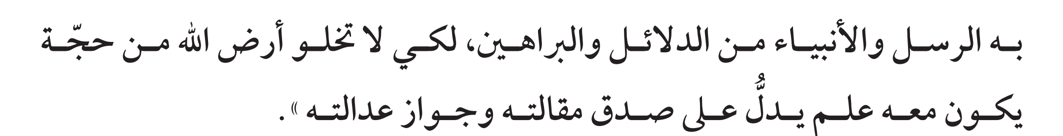
قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.

وعن الإمام الصادق عليه السَّلام: «**إنَّا لمَّا أثبتنا أنَّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنَّا وعن جميع ما خلق... ثمَّ ثبت ذلك في كلِّ دهر وزمان ممَّا أتت**





به الرسل والأنبياء من الدلائل والبراهين، لكي لا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علم يدلُّ على صدق مقالته وجواز عدالته».

وعنه عليه السَّلام أيضاً قال: «إنَّ الأرض لا تخلو إلَّا وفيها إمام، كي ما إنْ زاد المؤمنون شيئاً ردَّهم، وإنْ نقصوا شيئاً أتمه».

وعن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السَّلام: «إنَّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحقُّ من الباطل»(١).

وعن الإمام الصادق عليه السَّلام أنّه قال: «لم تخلُ الأرض منذ كانت من حجّة عالم يحيي فيها ما يميتون من الحقّ»، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾(٢).

وعنه عليه السَّلام قال: «إنَّ الأرض لا تُترك إلَّا بعالم يحتاج الناس إليه ولا يحتاج إلى الناس، يعلم الحرام والحلال»(٣).

وعن الإمام الباقر عليه السَّلام قال: «يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلاً وأنت بطرق السّماء أجهل منك بطرق الأرض، فاطلب لنفسك دليلاً»(٤).

وهكذا تتآزر البيانات عن المعصومين كما جاءت عن كتاب الله العزيز

---

(١) م. ن.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٣/ ٣٧، ح٦٥، و٢٣/ ٥٠، ح١٠٠.

(٣) م. ن.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ١٨٤، ح١٠.

أنَّ الإمـام ضرورة كوينـة لله في عبـاده مستطيلة نافـذة مهيمنـة.

ولـذا يوجّـه الإمـام الرضـا عليـه السَّـلام - في الجـواب عـن أُولي الأمـر، والأمـر بطاعتهـم -: «**لعلـل كثيرة، منهـا: أنّ الخلـق لَمّـا وقفـوا عـلى حـدٍّ محدود وأُمـروا أن لا يتعـدوا ذلـك الحـدَّ لمـا فيـه مـن فسـادهم لم يكـن يثبت ذلـك ولا يقـوم إلَّا بـأنْ يجعـل عليهـم فيـه أميناً... ومنهـا: أنَّـا لا نجـد فرقـة مـن الفـرق ولا ملّـة مـن الملـل بقـوا وعاشـوا إلَّا بقيّـم ورئيـس لَمَّـا لا بُـدَّ لهـم منـه في أمـر الديـن والدنيـا... لا قـوام لهـم إلَّا بـه... ومنهـا: أنَّـه لـو لم يجعـل لهـم إمامـاً قيّـماً أمينـاً حافظـاً مسـتودعاً لدرسـت الملّـة وذهـب الديـن وغـيرت السـنة**»[(١)].

وعـن الإمـام الباقـر عليـه السَّـلام - لَمَّـا سُـئل عـن علّـة احتيـاج النـاس إلى النبـيِّ والإمـام - قـال: «**لبقـاء العـالم عـلى صلاحـه، وذلـك أنَّ الله عـزَّ وجـلَّ يرفـع العـذاب عـن أهـل الأرض إذا كان فيهـا نبـيٌّ أو إمـام**»[(٢)].

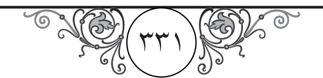
ولقـد اقترنـت الإمامـة بالعـدل، لأنَّهـا عهـد الله تعـالى بدليـل قولـه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[(٣)].

فعـن الإمـام الصـادق عليـه السَّـلام: «**إنّ الله تبـارك وتعـالى اتخـذ إبراهيـم عبـدًا قبـل أنْ يتخـذه نبيـاً، وإنّ الله اتخـذه نبيـاً قبـل أنْ يتخـذه رسـولاً، وإنّ الله اتخـذه رسـولاً قبـل أنْ يتخـذه خليـلاً، وإنّ الله اتخـذه خليـلاً قبـل أنْ يجعلـه إمامًا،**

(١) بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٢، ح٥٢ و٢٣/ ١٩، ح١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٢، ح٥٢، و٢٣/ ١٩، ح١٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.



فلـمّا جمـع لـه الأشـياء قـال: إنّي جاعلـك للنـاس إمامًـا »[1].

لأنّها أرقى أحوال الخلق والكائنات وأكملها، فقد أثنى الله تعالى على الذين يطلبونها بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[2].



وفي تفسير ذلك نجد:

ويتطابق قول الإمام عليٍّ عليه السَّلام مع ما ذهبنا إليه من معاني الإمامة، فقال في وصف النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله: «**أرسله داعيًا إلى الحق، وشاهدًا على الخلق، فبلَّغ رسالات ربّه غير وانٍ ولا مقصّرٍ، وجاهد في الله أعداءه، غير واهنٍ ولا معذر، إمام من اتقى، وبصر من اهتدى**»[3].

وعنه عليه السَّلام مثل هذا التقرير في قوله: « **حتى أفضت كرامة الله سبحانه وتعالى إلى محمّد صلَّى الله عليه وآله فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً... لها فروع طِوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى... سيرته القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل** »[4].

فالحقيقة أنْ لا دين بلا إمامة، ولا دين لمن لا يعرف إمام زمانه، وقد قرر القرآن أنَّ كمال الدين وتمام النعمة بإشهار الإمام وببيعته، فالإمامة

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ١٧٥، ح٢.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١١٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٩٤.

تمام الدين وكماله، قال تعالى بعد تنصيب الإمام عليٍّ عليه السلام في غدير خم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[1].

فعن الإمام الرضا عليه السَّلام قال: « **وأنزل في حجّة الوداع وهي آخر عمره صلَّى الله عليه وآله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. ﴾ وأمر الإمامة من تمام الدين** »[2].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: « **كانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الأُخرى، وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ.. ﴾ يقول الله عزَّ وجلَّ: لا أُنزل عليكم بعد هذه الفريضة، قد أكملت لكم الفرائض** »[3].

ولمَّا كان يوم غدير خم - وهو يوم الثامن عشر من ذي الحجة - قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، فأنزل الله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[4].

٢- الإمامة أساس الإسلام وأسه:

جاء عن الإمام الرضا عليه السَّلام: «**إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي**

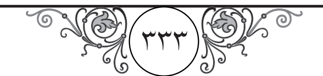
---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ١/ ٥٨٩، ح٣٣.

(٣) م. ن: ١/ ٥٨٧، ح٢٥.

(٤) الدر المنثور: ٢/ ٢٥٩.



وفرعه السامي»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السَّلام أنّه قال: «**بُني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية**»[2].

وعنه عليه السَّلام أيضًا قال: «**بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية» - قال زرارة: فقلت: وأيّ شيء من ذلك أفضل؟ فقال: «الولاية أفضل لأنَّها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن**»[3].

والسؤال لماذا الولاية والإمامة هي أفضل الأشياء الخمسة والتي بُني الإسلام عليها؟

الجواب: لأنّ الإمامة أصل كلّ ما لدينا من قيم حسنة وإحسان وخير، فعن الإمام الكاظم عليه السلام لَّما سُئل عن قوله تعالى ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ قال: «**إنَّ القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحلَّ الله تعالى في كتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق**»[4].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ٢٠٠، ح١.

(٢) م. ن: ٢/ ١٨، ح٣.

(٣) م. ن: ٢/ ١٨، ح٥.

(٤) م. ن: ١/ ٣٧٤، ح١٠.

وعن الإمام الصادق عليه السَّلام قال: «**نحن أصل كلِّ خير، ومن فروعنا كلّ برٍّ، فمن البر: التوحيد، والصلاة، والصيام، وكظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ورحمة الفقير، وتعهد الجار، والإقرار بالفضل لأهله، وعدونا أصل كلِّ شرٍّ، ومن فروعهم كلُّ قبيح وفاحشة، فمنهم: الكذب، والبخل، والنميمة، والقطيعة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم بغير حقّه، وتعدي الحدود التي أمر الله، وركوب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والزنا، والسرقة، وكلّ ما وافق ذلك من القبيح، فكذب من زعم أنَّه معنا وهو متعلق بفروع غيرنا**»[1].

وهنا ومع كلِّ ما سبق نستطيع أنْ نقرر أنَّ الإمامة الحقّ هي الملّة وأنَّ في طاعة الإمام المعصوم يتحقق نظام الملّة.

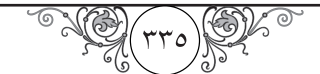
٣- فما نظام الملة؟ وما أهميته؟

قالت سيدتنا الزهراء عليها السلام في خطبتها المشهورة في المسجد النبويِّ بُعيد وفاة أبيها النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله، لتبيّن لنا ماهيات الروابط الدينية وأُمهات المعاني الجامعة في الإسلام العظيم، ومنها نظام الملّة[2]: «... **فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم**

---

(١) الكافي، الكليني: ٨/ ٢٤٢، و٣٣٦، ح١٣٤.

(٢) انظر: مصادر حديث سيدتنا فاطمة عليها السَّلام هذا في: كتاب البيع للسيد الخميني:٢/ ١١٠، طبعة النجف عام ٢٠٠٤م. الموسوعة الفقهية الميسرة، الشيخ محمد علي الأنصاري:١. دلائل الإمامة، محمد ابن جرير الطبري (الشيعي): ١١٣. السقيفة وفدك، الجوهري: ١٤١. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ١/ ١٣٤. بحار الأنوار، العلامة



عن الكبر، والزكاة تزكية للنفس ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحجَّ تشييداً للدين، والعدل تنسيقاً للقلوب، وطاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً للفرقة، والجهاد عزّاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامّة، وبرّ الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر، ومنماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفّة، وحرّم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية، فاتقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتن إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، فإنّه إنَّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ».

المجلسي: ٢٩/ ٢٢٣. مواقف الشيعة، الأحمدي الميانجي: ١/ ٤٦٠. كشف الغمة، ابن أبي الفتح الإربلي: ٢/ ١١٠. اللمعة البيضاء، التبريزي الأنصاري: ٥٢٧. الأنوار العلويّة، الشيخ جعفر النقدي: ٢٩٥. مجمع النورين، الشيخ أبو الحسن المرندي: ١٢٨. صحيفة الزهراء عليها السّلام، جمع الشيخ جواد القيومي: ٢٢٢. مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٤/ ٢٣٢. (خطبة الزهراء عليها السّلام)، نقلاً عن عبد الله بن الحسن بإسناده عن آبائه، قال: إنَّه لَمَّا أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السَّلام فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها تطأ ذيولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلَّى الله عليه وآله حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة فجلست ثمَّ أَنَت أَنَةً أجهش القوم لها بالبكاء فارتج المجلس، ثمَّ أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم. افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله فعاد القوم في بكائهم، فلمَّا أمسكوا عادت في كلامها:

وقـول المعصومـة فاطمـة عليهـا السـلام حجّـة عـلى الجميـع، فإنّـما الإمـام علـيٌّ عليـه السـلام مـوصى مـن قبـل الرسـول الأعظـم صـلَّى الله عليـه وآلـه، بـأنْ ينفـذ مـا أمـلى رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه عـلى فاطمـة؛ ولـذا نراهـا صلـوات الله عليهـا تؤكـد تلـك الحجّـة فتقـول لمـن يعـي القـول: «**أيّهـا النـاس، اعلمـوا أنّي فاطمـة وأبي محمّـد صـلّى الله عليـه وآلـه أقـول عـوداً وبـدواً، ولا أقـول مـا أقـول غلطـاً، ولا أفعـل مـا أفعـل شـططاً...**».

وعـن الإمـام الرضـا عليـه السـلام: «**إنّ الإمامـة زمـام الديـن، ونظـام المسـلمين، وصـلاح الدنيـا، وعـزّ المؤمنـين**»[1].

وعن الإمام عليٍّ عليه السلام: «**الإمامة نظام الأُمَّة**»[2].

وعـن رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه أنّـه قـال: «**اسـمعوا وأطيعـوا لمـن ولّاه الله الأمـر، فإنَّـه نظـام الإسـلام**»[3].

وقـد وردت تحذيـرات المعصومـين للأُمَّـة مـن انفـراط هـذا النظـام بالتـولي عنـه، فعـن الإمـام عـليٍّ عليـه السـلام أنّـه قـال: «**مـكان القيّـم بالأمـر مـكان النظـام مـن الخـرز، يجمعـه ويضمـه، فـإن انقطـع النظـام تفـرّق وذهـب، ثـمَّ لم يجتمـع بحذافـيره أبـداً**»[4].

---

(١) الكافي: ١/ ٢٠٠، ح١.

(٢) غرر الحكم: ١٠٩٥.

(٣) أمالي المفيد: ١٤/ ٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩/ ٩٥.



والإمامة سبيل الله القويم، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[3].

وعن الإمام المهدي عليه السَّلام: « **فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك** »[4].

وكلُّ من لا يسلك هذا السبيل القويم هالك.

فعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله: « **حبّنا أهل البيت نظام الدين** »[5].

وعن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليهما السَّلام: « **نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشكّ فينا** »[6].

وعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله: « **والذي بعثني بالحقِّ نبياً لو أنَّ رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبياً ثُمَّ لم يلقه بولاية أُولي الأمر منّا أهل البيت**

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٤٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٥٧.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٢/ ١٠٥.

(٥) م. ن: ٧٨/ ١٨٣، ح٨.

(٦) أمالي المفيد: ٣/ ٢.

ما قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً »[1]

٤- الأرض لا تخلو من إمام حقّ لا يقبل عمل العباد إلاّ بولايته:

عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله: « **ألزموا مودتنا أهل البيت... فو الذي نفس محمَّد بيده لا ينفع عبداً عمله إلَّا بمعرفتنا** »[2].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: « **لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولوا الإمام الجائر الذي ليس من الله تعالى** »[3].

وعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله قال: « **أمَا والله لو أنَّ رجلاً صفَّ قدميه بين الركن والمقام مصلياً ولقي الله ببغضكم أهل البيت لدخل النار** »[4].

وعن الإمام الباقر عليه السَّلام أنّه قال: « **كلُّ من دان الله عزَّ وجلَّ بعبادة يجهد فيها نفسه ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول وهو ضال متحير والله شانئ لأعماله** »[5].

فدون الإمامة الناس في الدنيا كمن يكون في الظلام؛ ولذا جاء في الأثر

---

(١) بحار الأنوار: ٢٧/ ١٩٢، ح٤٩.

(٢) أمالي المفيد: ١٤٠/ ٤.

(٣) نور الثقلين: ٤/ ١٠٤، ح١٣٠.

(٤) أمالي المفيد: ٢٥٣، ح٢. ومثله كمثل شاة ضلت عن راعيها وقطيعها.

(٥) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٢٨، باب ١٣.



تمثيل الإمامة بالنور:

فعن أحمد بن إدريس، عن الحسين بن عبيد الله، عن محمَّد بن الحسن وموسى بن عمر، عن الحسن بن محبوب، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الكاظم عليه السَّلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[1] قال: «**يريدون ليطفؤوا ولاية أمير المؤمنين عليه السَّلام بأفواههم**»، قلت: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ قال: يقول: «**والله متمُّ الإمامة، والإمامة هي النور وذلك قوله عزَّ وجلَّ**: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾، قال: «**النور هو الإمام**»)[2].

وعن الإمام الباقر عليه السَّلام في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾؛ قال: «**النور؛ والله الأئمة من آل محمّد صلَّى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السّماوات وفي الأرض، والله... لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار**»[3].

وعندما يصدح كتاب الله بالقول: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾؛ فيقرن جلَّ وعلا طاعة أُولي الأمر بطاعته وطاعة الرسول صلَّى الله عليه وآله، وهنا فالله ورسوله معروفان علمان، فلا بُدَّ أنْ يكون أُولي الأمر أيضاً أعلاماً وليسوا بنكرات، فتعالى الله وتنزه أنْ يأمر بطاعة

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٢.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ١٩٦، ح٦. نور الثقلين: ٥/ ٣٤١، ح١٤، وح١٦.

(٣) نور الثقلين: ٥/ ٣٤١، ح١٤.

نكـرات.

وعـن الإمـام الباقـر عليـه السَّـلام قـال: «**إنَّ الحجـة لا تقـوم لله عـزَّ وجـلَّ عـلى خلقـه إلَّا بإمـام حـيٍّ يعرفونـه**»[1]، أي معـروف.

ولـذا يقـول الإمـام الصـادق عليـه السَّـلام: «**إنّ الحجـة لا تقـوم لله عـزَّ وجـلَّ عـلى خلقـه إلَّا بإمـام حتـى يعـرف**»[2].

وعـن الإمـام الصـادق عليـه السَّـلام لَّمـا سـئل عـن الأرض، هـل تبقـى بـلا عـالم حـيٍّ ظاهـر؟ قـال: «**إذًا لا يعبـد الله**»[3].

وعنـه عليـه السَّـلام: «**مـن مـات وليـس عليـه إمـام حـيٌّ ظاهـر مـات ميتـة جاهليـة**»[4].

وعـن الإمـام عـليٍّ عليـه السَّـلام: «**اللهـم بـلى لا تخلـو الأرض مـن قائـم لله بحجـجـه، إمَّـا ظاهـراً مشـهوراً، أو خائفـاً مغمـوراً لئـلا تبطـل حجـج الله وبيناتــه**»[5].

فعنـه عليـه السَّـلام أيضًـا أنَّـه قـال: «**اللهـم لا بُـدَّ لـكَ مـن حجـج في أرضـك، حجّـة بعـد حجـة... لئـلا يتفـرق أتبـاع أوليائـك، ظاهـر غـير مطـاع، أو**

---

(١) بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٠، ح٤٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ١٧٧، ح٢.

(٣) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ١٩٥، ح٣.

(٤) الاختصاص: ٢٦٩.

(٥) بحار الأنوار: ٢٣/ ٤٦، ح٩١.



مكتتم خائف يترقب، إنْ غاب عن الناس شخصهم في حال هدنتهم في دولة الباطل فلن يغيب عنهم مبثوث علمهم وآدابهم »[1].

وفي المعنى نفسه عنه عليه السَّلام: « **اللهم وإنِّي لأعلم أنَّ العلم لا يؤزر كلّه ولا ينقطع مواده، فإنَّك لا تخلي أرضك من حجّة على خلقك، إمَّا ظاهر يطاع، أو خائف مغمور ليس بمطاع، لكي لا تبطل حجّتك ويضل أولياؤك بعد إذ هديتهم** »[2].

ويمضي التوكيد عند الإمام الصادق عليه السَّلام فيقول: « **لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجّة الله فيها، ظاهر مشهور، أو غائب مستور** »[3].

ويقول الإمام الباقر عليه السَّلام: « **لا تبقى الأرض بغير إمام ظاهر أو باطن** »[4].

ولعلَّة بالغة يقول الإمام الصادق عليه السَّلام: « **لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت** »[5].

وعن الإمام الباقر عليه السَّلام قال: « **لو أنَّ الإمام رُفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله** »[6].

---

(١) م. ن: ٢٣/ ٥٤، ح١١٦.

(٢) الغيبة للنعماني: ١٣٧، ح٢.

(٣) أمالي الصدوق: ١٥٧، ح١٥.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣، ٢٦. (١٠-١٢).

(٥) الكافي، الشيخ الكليني: ١/ ١٧٩، ح١٠، وح١٢ وص ١٩٨، ح٣.

(٦) البحار: ٢٣ / ٣٢ / ٥٢ وص ١٩ / ١٤.

عنه عليه السَّلام في وصف الأئمة قال: «**جعلهم الله عزَّ وجلَّ أركان الأرض أنْ تميد بأهلها، وعمد الإسلام، ورابطة على سبيل هداه**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السَّلام أنّه قال: «**ما تبقى الأرض يوماً واحداً بغير إمام منا تفزع إليه الأُمَّة**»[2].

وعنه عليه السَّلام: «**إنَّ الأرض لا تكون إلَّا وفيها حجّة، إنَّه لا يصلح الناس إلَّا ذلك، ولا يصلح الأرض إلَّا ذاك**»[3].

وعليه فإنَّه كما يتحقق أمر تكويني يتحدث عنه محكم القرآن وسنة المعصوم الصحيحة وهو أنَّ كلَّ أُمَّة تدعى يوم القيامة بإمامها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[4].

وقال تعالى في وصف هذا الأمر التكويني في أحد مصاديقه: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[5].

ويصف الإمام الصادق عليه السَّلام كيفية تمام الإجراء في وقته: «**إذا كان يوم القيامة... يأتي النداء من عند الله جلَّ جلاله: ألا من ائتم بإمام في دار الدنيا فليتبعه إلى حيث يذهب به، فحينئذٍ تبرأ الذين اتُبعوا من الذين**

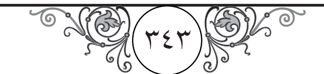
(١) البحار: ٢٣ / ٣٢ / ٥٢ وص ١٩ / ١٤.

(٢) البحار: ٢٣ / ٤٢ / ٨٢ وص ٥١ / ١٠١

(٣) البحار: ٢٣ / ٤٢ / ٨٢ وص ٥١ / ١٠١

(٤) الإسراء: ٧١.

(٥) هود: ٩٧، ٩٨.



اتَبعـوا»[١].

وعـن رسـول الله صـلَّى الله عليه وآلـه في قولـه تعـالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قـال: «**يدعـى كلُّ قـوم بإمام زمانهـم وكتاب الله وسـنّة نبيّهم**»[٢].

وعـن الإمـام الصـادق عليـه السَّـلام: «**إنَّـه ليـس مـن قـوم ائتمـوا بإمامهـم في الدنيـا إلَّا جـاء يـوم القيامـة يلعنهـم ويلعنونـه، إلَّا أنتـم ومـن عـلى مثـل حالكـم**»[٣].

وفي تفسـير لهـذا الأمـر مـن القـرآن بالقـرآن للإمـام الحسـين عليـه السَّـلام في قولـه تعـالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ يقـول: «**إمـام دعـا إلى هـدى فأجابـوه إليـه، وإمـام دعـا إلى ضلالـة فأجابـوه إليهـا، هـؤلاء في الجنـة، وهـؤلاء في النـار، وهـو قولـه عـزَّ وجـلَّ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾**»[٤].

إنَّ حبـل الإمـام الحـقّ متصـل بالحـقِّ سـبحانه وحبـل إمـام الباطـل متصـل بالجحيـم؛ وذلـك مـا يعنيـه قـول الإمـام زيـن العابديـن عليـه السَّـلام: «**اللهـم إنَّـك أيـدت دينـك في كلِّ أوان بإمـام أقمتـه علـماً لعبـادك ومنـاراً في بـلادك، بعـد أن وصلـت حبلـه بحبلـك، وجعلتـه الذريعـة إلى رضوانـك**»[٥].

---

(١) البحار: ٨/ ١٠/ ٣ وح ٢ وص ١١/ ٤.

(٢) البحار: ٨/ ١٠/ ٣ وح ٢ وص ١١/ ٤.

(٣) البحار: ٨/ ١٠/ ٣ وح ٢ وص ١١/ ٤.

(٤) أمالي الصدوق: ١٥٧/ ١٥.

(٥) البحار: ٢٣/ ٢٣/ ٢٦.

رابعاً - الخلاصة:

أولاً- إنَّ الغدير بما هو حادث وحديث نبويٌّ مستحكم

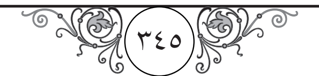
فجاء في إطار توكيد الوحي على الإمامة والولاية المختارة المصطفاة من قبل الله تعالى ويتوقف تبليغ الرسالة المحمّدية على ذلك التبليغ، فالغدير يرتبط بتبليغ الرسالة برمّتها.. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، بمعنى أنَّ الغدير بأهميته يساوي أهمية الإسلام كاملاً، فالغدير توقيتاً وموقتاً لعيد يخصُّ فقط الثلّة التي اختارت الدين الصحيح الذي اختاره الله تعالى واصطفاه ﴿إِنَّ الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ...﴾[2] تمييزاً للأُمَّة وتمحيصاً ﴿لِيَمِيزَ الله الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[3].

ثانياً- إنَّ الغدير لم يأتِ صدفة، بل جاء مؤكداً لخيارات وقرارات ووصايا كثيرة جداً ومتكررة جداً من القرآن الكريم ومن السّنّة النبويّة الشريفة؛ تختار وتوصي وتقرر، أَنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السَّلام هو الإمام المختار المصطفى من قبل الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله الذي يبلغ عن النبيِّ فقط ولا غيره، وهو الخليفة الذي يعقب النبيَّ في الأُمَّة، وهو

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٧.



الولي لأمر الأُمَّة بعد النبيِّ، وجاءت تلك التوكيديات بصيغ ونصوص متعددة وبأزمان وأماكن متعددة حتى لا يبقى شكٌّ مطلقاً ولا تبقى حجّة أبداً، لمن يخالف الكتاب والسنة في عليٍّ عليه السَّلام وقد أوردنا من خلال البحث أهم نصوص تلك التقريرات والوصايا والتوكيدات من صحاح القوم وكتبهم المعتمدة من أجل الاحتجاج عليهم.

ثالثاً- لا يوجد مسلم يشكُّ على الإطلاق بكمال الإسلام وأنَّه خاتم للأديان، وليس من الكمال أنْ لا ينهج بالكمال لاختيار أئمة الأُمَّة، ومنهج الاختيار- كما رأينا من البحث أنَّه جوهر فطريٌّ لكلِّ الكائنات، والإمامة سنة كونية في كلِّ المخلوقات؛ لذا فمقياس اختيار الإمام من قبل الناس كما رأينا بعد فلتة السقيفة يؤدي لكلِّ من هبَّ ودبَّ إمكان أنْ يكون إماماً كما أورثته السقيفة في الأُمَّة مع الأسف، حتى صار الظلمة والجائرون والفاجرون واللوطيون والخمارون وأبناء فتيات قريش من ذوات الرايات الحمر أئمة للإسلام وأُمَّته وأُمراء للمؤمنين كما وجد ذلك في الأُمويين والعباسيين والعثمانيين ومن أعقبهم.

ولذا فتعطيل فحوى الغدير، كان تعطيلاً للإسلام الحقّ، وأنَّ فحوى الغدير معيار ضابط لصحة الإسلام فمن يعمل بتلك الفحوى في دينه صحّ إسلامه وإيمانه، ومن يخالفها فهو منحرف في دينه.

خامساً- المصادر:

الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السّيد محمود (روح المعاني في تفسير

القرآن) دار إحياء التراث - بيروت - ط٤ (١٤٠٥هـ).

ابنا بسطام النيسابوريان (طب الأئمة عليهم السلام) تحقيق: محسن عقيل، دار المحجة البيضاء - بيروت ط١ (١٤١٤ هـ)

ابن أبي جمهور؛ محمّد بن عليٍّ إبراهيم الأحسائي (عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية)، تحقيق: مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام) - قم - ط١ (١٤٠٣ هـ)

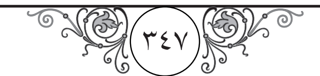
ابن أبي الحديد؛ عزّ الدين عبد الحميد بن محمّد المعتزلي (شرح نهج البلاغة) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث -بيروت- ط٢ (١٣٨٧ هـ).

ابن أبي فراس، ورّام أبو الحسين (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر)، دار التعارف ودار صعب، بيروت.

ابن الأثير؛ أبو الحسن عزّ الدين عليّ بن أبي الكرم (أسد الغابة في معرفة الصحابة) تحقيق: على محمّد معوض وعادل أحمد، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الأُولى (١٤١٥ هـ).

ابن الأشعث؛ أبو الحسن محمّد بن محمّد الكوفي (الجعفريات) أو (الأشعثيات)، مكتبة نينوى- طهران- طبع في ضمن قرب الإسناد.

ابن الرازي؛ أبو محمد جعفر بن أحمد بن عليّ القمّي (جامع الأحاديث)، تحقيق: السيد محمد الحسيني النيسابوري، الحضرة الرضوية المقدسة -مشهد، ط١ (١٤١٣ هـ).



ابن فرخ؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن الصفار القمِّي، (بصائر الدرجات)، مكتبة آية الله المرعشي-قم، ط١/ (١٤٠٤ هـ).

ابن شعبة؛ أبو محمّد الحسن بن عليّ الحراني (تحف العقول عن آل الرسول)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤٠٤ هـ).

ابن شهرآشوب؛ المازندراني، رشيد الدين محمّد بن عليّ (مناقب آل أبي طالب)، المطبعة العلمية- قم. الأسدي؛ أبو العباس أحمد بن محمّد بن فهد الحلي (عدة الداعي ونجاة الساعي)، أحمد موحدي، مكتبة وحداني - طهران.

الأصبهاني؛ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) دار الكتاب العربي - بيروت، ط٢ (١٣٨٧ هـ).

الأصبهاني، محمّد باقر الخوانساري (روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات)، إعداد: أسد الله إسماعيليان- قم، ط١ (١٣٩٠).

ألأميني؛ أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه التبريزي (كامل الزيارات) المطبعة الرضوية، النجف الأشرف، ط١ (١٣٥٦ هـ).

الأهوازي؛ أبو محمد الحسين بن سعيد الكوفي (الزهد)، تحقيق: غلام رضا عرفانيان - قم، ط٢ (١٤٠٢ هـ).

ابن طاووس؛ أبو القاسم عليّ بن موسى الحلي (إقبال الأعمال)، تحقيق: جواد القيومي مكتب الإعلام الإسلامي - قم، ط١ (١٤١٤ هـ).

ابـن طـاووس؛ أبـو القاسـم عـليّ بـن موسـى الحـلي (الـدروع الواقيـة)، تحقيـق: نـشر مؤسسـة آل البيـت عليهـم السَّـلام - قـم ط١ (١٤١٤ هــ)

ابـن طـاووس؛ أبـو القاسـم عـليّ بـن موسـى الحـلي (سـعد السـعود)، مكتبة الرضي- قـم، ط١ (١٣٦٣ هـ).

ابـن طـاووس، أبـو القاسـم عليّ بـن موسـى الحلي (فتـح الأبـواب)، تحقيق: حامـد الخفاف مؤسسـة أهـل البيت عليهـم السَّـلام - قـم، ط١(١٤٠٩ هـ).

ابـن طـاووس الحسـيني، أبـو القاسـم رضي الديـن عـلي (كشـف المحجـة لثمـرة المهجـة)، تحقيـق: محمَّـد الحـوت- مكتبـة الإعـلام الإسـلامي- قـم - ط١ (١٤١٢ هـ).

ابـن طـاووس، أبـو القاسـم عـليّ بـن موسـى الحـلي (الملاحـم والفتـن)، مؤسسـة الأعلمـي- بـيروت، ط١، (١٤٠٨ هــ).

ابـن طـاووس، أبـو القاسـم عـليّ بـن موسـى الحـلي (مهـج الدعـوات ومنهـج العبـادات)، دائـرة الذخائـر - قـم، ط١ (١٤٠٦ هــ).

ابـن عسـاكر الدمشـقي، أبـو القاسـم عـلي بـن الحسـين بـن هبـة الله (تاريـخ دمشـق)، تحقيـق: عـلي البشري، دارا لفكـر -بـيروت ط١ (١٤١٥ هــ).

ابـن عسـاكر الدمشـقي، عـلي بـن الحسـين بـن هبـة الله (تاريـخ دمشـق) ترجمـة الإمـام عـلي، تحقيـق: محمـد باقـر المحمـودي، دار التعـارف - بـيروت ط١ (١٣٩٥ هــ).

ابـن كثـير، أبـو الفـداء، إسـماعيل بـن عمـر البـصري الدمشـقي (نهايـة



البداية والنهاية في الفتن والملاحم)، تحقيق: الشيخ محمد فهيم أبو عبية، مكتب النصر الحديث، الرياض، ط١ (١٩٦٨م).

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (سنن ابن ماجة)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم (لسان العرب) دار صادر- بيروت- ط١ (١٤١٠ هـ).

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (سيرة ابن هشام (السيرة النبويّة))، تحقيق: مصطفى سقا إبراهيم الأنباري، مكتبة المصطفى - قم، ط١ (١٣٥٥ هـ).

ابن همام، أبو علي محمد بن همام الإسكافي (التمحيص)، تحقيق: نشر مدرسة الإمام المهدي (عج) -قم، ط١ (١٤٠٤ هـ).

ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (الغارات)، تحقيق: جلال الدين المحدث- طهران ط١ (١٣٩٥).

أبو حنيفة، النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام القضايا والأحكام)، دار المعارف -مصر، ط٢، (١٣٨٩ هـ).

البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (المحاسن)، تحقيق: مهدي الرجائي، المجمع أبو بكر أحمد بن علي (تاريخ بغداد مدينة السلام)،

المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (السنن الكبرى)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ (١٤١٤ هـ).

البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (شعب الإيمان)، تحقيق: أبي هاجر محمد العبد ابن بسيني زغلول، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١ (١٤١٠ هـ).

الحلي؛ أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس (السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي) تحقيق: نشر مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤١٠ هـ).

الحويزي؛ عبد علي بن جمعة العروسي، (تفسير نور الثقلين)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المطبعة العلمية، قم.

الديلمي؛ أبو محمد بن أبي الحسن (إرشاد القلوب)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، الطبعة ٤، (١٣٩٨ هـ).

الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله (الخرائج والجرائح)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم ط١ (١٤٠٩ هـ).

الرضا؛ عليّ بن موسى (عليه السلام)، (فقه الإمام الرضا، المنسوب إلى الإمام الرضا (عليه السلام))، تحقيق: مؤسسة أهل البيت (عليه السلام)، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام) -مشهد ط١، (١٤٠٦



هـ).

زين العابدين، علي بن الحسين (عليه السلام) (الصحيفة السجادية)، تحقيق: علي أنصاريان، المستشارية الثقافية- دمشق.

السبزواري؛ محمّد بن محمد الشعيري (جامع الأخبار) أو معارج اليقين في أُصول الدين، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام)- قم ط١ (١٤١٣ هـ).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير) دار الفكر- بيروت.

السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (الدر المنثور في التفسير المأثور)، دار الفكر- بيروت ط١/ (١٤١٤ هـ).

الشريف الرضي، أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الموسوي (المجازات النبويّة)، تحقيق: طه محمد الزيني-مكتبة بصيرتي- قم.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد أبو الحسين بن موسى الموسوي (نهج البلاغة)، تحقيق: كاظم المحمدي ومحمّد الدمشقي- انتشارات الإمام عليّ (عليه السلام)- قم، الطبعة الثانية (١٣٦٩ هـ).

الشهيد الأول، أبو عبد الله محمّد بن مكي العاملي الجزيني (الدرة الباهرة من الأصداف الطاهرة)، تحقيق: داود الصابري مشهد ط١، (١٣٦٥ هـ).

الصادق؛ جعفر بن محمد (شرح مصباح الشريعة، المنسوب إلى الإمام

الصادق)، تحقيق: حسن المصطفوي، دار القلم- طهران، ط١ (١٣٦٣ هـ).

الصدوق؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (أمالي الصدوق)، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط٥، (١٤٠٠ هـ)

الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (التوحيد)، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي- قم- ط١ (١٣٩٨ هـ).

الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي، (ثواب الأعمال وعقاب الأعمال)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق- طهران.

الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّي (الخصال)، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي- بيروت، ط١، (١٤١٠ هـ).

الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّي (صفات الشيعة)، نشر: مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم ط١، (١٣١٠ هـ).

الصدوق؛ أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (علل الشرائع)، دار التراث -بيروت، ط١ (١٤٠٨ هـ).

الصدوق؛ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (عيون أخبار الرضا (عليه السلام))، تحقيق: السيد مهدي الحسيني اللاجوردي،



منشـورات جهـان، طهران.

الصـدوق؛ أبـو جعفـر محمـد بـن علي بـن الحسـين بـن بابويـه القمّـي (فضائـل الأشـهر الثلاثـة)، تحقيـق: مـلا مرضـا غرمـا نبـان، مطبعـة الآداب- قـم، ط١ (١٣٩٦ هـ).

الصـدوق، أبـو جعفـر بـن عـليّ بـن الحسـين بـن بابويـه القمِّـي (فضائـل الشـيعة)، تحقيـق ونـشر: مؤسسـة الإمـام المهـدي (عـج)، قـم، ط١ (١٤١٠ هـ).

الصـدوق؛ أبـو جعفـر محمـد بـن عـليّ بـن الحسـين بـن بابويـه القمِـي (مـن لا يحـضره الفقيـه)، تحقيـق: عـلي أكـبر الفغـاري، مؤسسـة النـشر الإسـلامي- قـم.

الصـدوق؛ أبـو جعفـر محمّـد بـن عـليّ بـن الحسـن بـن بابويـه القمّـي (إكـمال الديـن وتمـام النعمـة)، تحقيـق: عـلي أكـبر الغفـاري، مؤسسـة النـشر الإسـلامي- قـم، ط١ (١٤٠٥ هـ).

الصـدوق؛ أبـو جعفـر محمّـد بـن عـليّ بـن الحسـين بـن بابويـه القمّـي (مصادقـة الإخـوان)، تحقيـق ونـشر: مؤسسـة الإمـام المهـدي (عـج)- قـم، ط١ (١٤١٠ هـ).

الصـدوق؛ أبـو جعفـر محمّـد بـن عـليّ بـن الحسـين بـن بابويـه القمّـي (معاني الأخبـار)، تحقيـق: عـلي أكـبر الغفـاري، مؤسسـة النـشر الإسـلامي، قـم، ط١ (١٣٦١ هـ).

الطباطبائي؛ محمّد حسين (الميزان في تفسير القرآن) إسماعيليان- قم- ط٢ (١٣٩٣ هـ).

الطرابلسي؛ أبو الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراجكي (كنز الفوائد)، إعداد: عبد الله نعمة، دار الذخائر- قم ط١، (١٤١٠ هـ).

الطبرسي؛ أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب (الاحتجاج على أصل اللجاج)، تحقيق: إبراهيم البهادري ومحمّد هادي، دار الأُسوة- طهران، الطبعة الأُولى (١٤١٣ هـ).

الطبرسي؛ أبو علي الفضل بن الحسن (إعلام الورى بأعلام الهدى)، تحقيق: عليّ أكبر الغفاري، دار المعرفة- بيروت، ط١ (١٣٩٩ هـ).

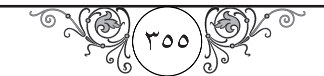
الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (مجمع البيان في تفسير القرآن)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، وفضل الله اليزدي الطبطبائي، دار المعرفة- بيروت، ط٢، (١٤٠٨ هـ).

الطبرسي، أبو عليّ الفضل (مشكاة الأنوار في غرر الأخيار)، دار الكتب الإسلامية- طهران ط١ (١٣٨٥ هـ).

الطبري، أبو جعفر محمّد بن محمّد بن عليّ (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى)، المطبعة الحيدرية- النجف الأشرف، ط٢ (١٣٨٣ هـ).

الطريحي، فخر الدين (مجمع البحرين)، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية- طهران، ط٢، (١٤٠٨ هـ).

الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسين (اختيار معرفة الرجال- رجال



الكشي)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام)- قم، ط١، (١٤٠٤ هـ).

الطوسي؛ أبو جعفر محمد بن الحسن (أمالي الطوسي)، تحقيق: مؤسسو البعثة، دار الثقافة -قم، ط١ (١٤١٤ هـ).

الطوسي؛ أبو جعفر محمّد بن الحسن (تهذيب الأحكام في شرح المقنعة)، دار التعارف- بيروت، ط١، (١٤٠١ هـ).

العاملي، محمّد بن الحسن الحر (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)- قم، ط١، (١٤٠٩ هـ).

العسكري، محمّد بن الحسن (عليه السلام) (التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي (عج)- قم، ط١ (١٤٠٩ هـ).

العياشي، أبو النصر محمّد بن مسعود السلمي السمرقندي (تفسير العياشي)، تحقيق: هاشم الرسلي المحلاتي، المكتبة العلمية- طهران، ط١ (١٣٨٠ هـ)

القمّي، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم (تفسير القمّي)، إعداد: السيد الطيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف.

القمّي، أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري؛ (قرب الإسناد)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السَّلام-قم ط١ (١٤١٣هـ).

القندوزي، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ينابيع المودّة لذوي القربى)، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، دار الأُسوة- طهران ط١ (١٤١٦ هـ).

الكاشاني، محمّد بن المرتضى المولى محسن الفيض (المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٣، (١٤١٥ هـ).

الكراكبي، أبو الفتح محمّد بن عليّ (معدن الجواهر ورياضة الخواطر)، تحقيق: أحمد الحسيني، المكتبة الرضية-طهران، ط٢ (١٣٩٤ هـ).

الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن زين الدين الحارثي الحمداني (البلد الأمين).

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (الكافي)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية -طهران، ط٢ (١٣٨٩ هـ).

الرسلي؛ عليّ بن عيسى (كشف الغمّة في معرفة الأئمة)، تصحيح: هاشم الرسولي المحلاتي، دار الكتاب الإسلامي- بيروت، ط١ (١٤٠١ هـ).

المحمودي؛ باقر المحمودي (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة)، مؤسسة الأعلمي- بيروت.

مسلم، أبو الحسين مسلم الحجاج التستري النيسابوري (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث- القاهرة ط١، (١٤١٢ هـ).

المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار



الأئمة الأطهار)، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث- بيروت، ط١ (١٤١٢ هـ) جاء في الهامش (البحار).

المفيد، أبو عبد الله محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (الاختصاص)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم ط٤ (١٤١٤ هـ).

المفيد، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري، (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت(عليه السلام) - قم، ط١، (١٤١٣ هـ).

المفيد، أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (أمالي المفيد)، تحقيق: حسين أستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي- قم، الطبعة الثانية (١٤٠٤ هـ).

المفيد، أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان العبكري البغدادي (المقنعة)، تحقيق ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي- قم، ط٢ (١٤١٠ هـ).

ناصيف، منصور عليّ (التاج الجامع للأُصول في أحاديث الرسول صلَّى الله عليه وآله)، دار الفكر- بيروت- ط١/ (١٤٠١ هـ).

نخبة من الرواة (الأُصول الستة عشر) دار الشبستري- قم، ط٢ (١٤٠٥ هـ).

النسائي، أبو عبد الله أحمد بن شعيب (سنن النسائي)، دار المعرفة- بيروت- ط٣، (١٤١٤ هـ).

النعماني، أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم (الغيبة)، تحقيق: علي أكبر

الغفـاري مكتبـة الصـدوق -طهـران.

النـوري، الحـاج المـيرزا حسـين (مسـتدرك الوسـائل ومسـتنبط المسـائل)، تحقيـق ونـشر: مؤسسـة آل البيـت (عليهـم السـلام) - قـم، ط١ (١٤٠٨ هـ).

أحمـد بـن أبي يعقـوب بـن جعفـر بـن وهـب بـن واضـح (تاريـخ اليعقـوبي)، دار صـادر- بيروت.

الصلة بين الغدير وعاشوراء

م. م. شروق مجيد محيبس السراج

المقدمة

الحمدُ لله حقهُ كما يستحقّه حمداً كثيراً، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المير، الطُهر الطاهر، أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

لم يدع القوم حرمة لأهل البيت، حيث غُبت الخلافة، حين زحزحوها عن صاحبها الشرعي، عن سيدها وأميرها ومن أوصى الرسول صلى الله عليه وآله له بها، ذلك هو أمير المؤمنين وإمام المتقين والموحّدين. البطل الذي حطّم جبابرة المشركين، وقطع خراطيم المنافقين حتى قالوا لا إله إلّا الله محمّد رسول الله.

فبدأت المواجهة بين الشر والخير، بين الحق والباطل، بين أهل الله وأوليائهم وأهل الشياطين واتباعهم، المواجهة بين هذين التيارين، فراح تيار الشر يتلون في التصدي للحق والخير، ويتعسف في ظلمه. أن المغزى الأصيل من ثورة الإمام الحسين (ع)، هي ثورة الإسلام على الكفر، والحق على الباطل وتقويض أركان الكفر الذي يريد أربابه إرجاع الرسالة المحمدية الى الوراء، أراد يزيد بن معاوية بقتل الإمام الحسين (ع)

قتل الإسلام ومحو معالمه لثأر قديم. فواقعة الغدير واقعة الطف جناحي الإسلام، من هنا فلا يمكن أن يطير الإسلام بإحداهما

المبحث الأول: واقعة الغدير

تعد واقعة الغدير السنة العاشرة للهجرة وواقعة كربلاء سنة إحدى وستين للهجرة من اكثر وقائع التاريخ الإسلامي اشتهارا، وقد تناولها من رؤى متعددة غير مؤلف وباحث، ففي حين وقف بعضهم عند بوابة الاختلاف السياسي أو ما يعرف بنزاع السلطة في المعجم السياسي المعاصر، سار اخرون إلى باحة الاجتهاد العقائدي، واذا علمنا ان نظرية الخلافة الإسلامية تقوم على ثنائية الديني - السياسي، فيجتمع الإمام والحاكم في شخص الخليفة دون فصل بينهما، صار بإمكاننا تصور التشابه الحاصل في الموقف من واقعة الغدير وثورة الحسين مثالاً بيناً لنزاع السلطة ولهذا التنافس السياسي سببا ومحركاً رئيسياً.

لما دخل ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة، تجهز رسول الله للحج وأمر الناس بالجهاز له، وكان خروجه لخمس ليال بقين من ذي القعدة [1]، وسميت تلك الحجة بحجة الوداع لأن النبي (صلى الله عليه واله وسلم)

---

(١) ابن هشام، ابو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ١٢٨هـ / ٧٩٩م)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبدالرؤوف، (بيروت، ١٩٧٥)، ج٤، ص١٨٣؛الطبري، محمد بن جرير(٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (دار المعارف، ١٩٦٨)، ط٢، ج٣، ص ١٦٠.



ودعّ الناس ولم يحج بعدها[1].

وبعد أن أنهى رسول الله صلى الله عليه وآله مناسك حجّة، أنصرف من مكة، وحينما وصل الى موضع يُدعى غدير خم[2]، له هناك خطبة طويلة أكد فيها على ما يهم المسلمين في دينهم ودنياهم جاء فيها: «أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فما أنتم؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وجاهدت ونصحت فجزاك الله خيراً فقال: أليس تشهدون أن لا إله الاّالله وأن محمداً عبدهُ ورسوله وأن جنته حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»[3]

ومن هنا يبدأ رفض هذا الأمر ومحاربته وطمسه ومنابذته، بكل ما

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية في التاريخ، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦م)، ج ٥، ص ١٢٥؛العيني، محمد بن أحمد (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، (بيروت، د. ت)، ج١١، ص٣٦.

(٢) غدير خم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عندها خطب رسول الله صلى الله عليه وآله ينظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، ط٢، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥)، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨٩.

(٣) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (بيروت، دار صادر، د. ت)، ج١، ص١١٨؛ابن اعثم، أبي محمد أحمد الكوفي (٣١٤هـ/ ٩٢٦م)؛الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١، (بيروت، دار الأضواء، ١٩٩١)، ج٣، ص٧٧.

أوتوا من حول وقوة وأرادوا الحصول على الخلافة بدون مسوّغ شرعي على الرغم من كونهم يحسبون على صحابة رسول الله واتباعه، بل أن أحدهم وهو الحارث بن النعمان الفهري سجل اعتراضاً صريحاً على رسول الله حينما خاطبه بشده بقوله:»يامحمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي [بعضدي] أبن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيْ منك أم من الله تعالى؟فقال:والذي لا إله إلاّ هو هذا من الله فولى الحارث بن النعمان يؤيد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقوله حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته فقتله، وأنزل الله سبحانه سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع[1] .

ليس من العدل لديهم أن يكون النبي من بني هاشم، وأن يكون الولي

(١) سورة المعارج، آية١-٢؛ينظر الثعلبي، أبو اسحاق أحمد بن محمد بن أبراهيم، ت ٤٢٧هـ، تفسير الثعلبي المسمى الكشف والبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد عاشور، ط١، (بيروت، داراحياء التراث العربي، ٢٠٠٢)، ج١٠، ص ٣٥؛ الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن أحمد الحنفي النيسابوري، من اعلام القرن الخامس الهجري، شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٠)، ج٢، ص ٢٨٦-٢٨٧؛الطبرسي، أبوعلي الفضل بن الحسن، ت٥٤٨هـ، مجمع البيان في تفسير القران، تحقيق لجنة من العلماء، تقديم: محسن الأمين العاملي،، ط١، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٥)، ج١٠، ص١١٩.

منهم، والأنصاف يقضي بأن تكون النبوة لبني هاشم وأن تكون الخلافة للبطون، هذا هو العدل وعلى بطون قريش أن تعمل على فرض العدل بالقوة وتجميع العرب حول هذا الهدف، وهذا الأمر اوضحه الأمام علي (عليه السلام) بقوله: إني لأعلم ما في انفسهم، إنّ الناس ينظرون إلى قريش وقريش تنظر الى بيتها، فتقول: إن وليَ عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبدا وما كانت في غيرهم من قريش تداولتها بينكم «[1] وهنا يتبين خشيتهم من توارث الخلافة في بني هاشم.

وينقل لنا أبن أبي الحديد عن الجاحظ:»ولستُ ألوم العرب، لا سيما قريشاً في بغضها لعلي، وإنحرافها عنه، فإنه وترها، وسفك دماءها، وكشف القناع في منابذتها، ونفوس العرب وأكبادهم كما تعلم، وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس، كما نشاهده اليوم عياناً، والناس كالناس الأول، والطبائع واحدة، فاحسب أنك كنت من سنتين أو ثلاث جاهلياً أو من بعض الروم، وقد قتل واحد من المسلمين أبنك أو أخاك، ثم أسلمت، أكان إ سلامك يذهب عنك ما تجدهُ من بغض ذلك القاتل وشنآنه؟ كلا إن ذلك لغير ذاهب، هذا إذا كان الإسلام صحيحاً والعقيدة محققة، لا كإسلام كثير من العرب، فبعضهم تقليدا، وبعضهم

---

(١) ابن شبه، ابو زيد عمربن شبّة بن عبيده بن ربطة النميري البصري، (ت ٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ط٢، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ)، ج ٣، ص٩٣١؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ج٢، ص٤٦٤

للطمـع والكسـب، وبعضهـم خوفـاً مـن السـيف، وبعضهـم عـلى طريـق الحميـة والانتصـار، أو لعـداوة قـوم آخريـن مـن أضـداد الإسـلام وأعـداءه. واعلـمُ أن كل دم أراقـهُ رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بسـيف عـلي عليـه السـلام وبسـيف غـيره، فـإن العـرب بعـد وفاتـه عصبـت تلـك الدمـاء بعـلي بـن ابي الطالـب (ع) وحـده، لأنـه لم يكـن في رهطـه مـن يسـتحق في شرعهـم وسـنتهم وعادتهـم أن يعصـب بـه تلـك الدمـاء إلاّ بعـلي وحـده، وهـذه

وهـذه عـادة العـرب إذا قتـل منهـا قتـلى طالبـت بتلـك الدمـاء القاتـل، فـإن مـات، أو تعـذرت عليهـا مطالبتـه، طالبـت بهـا أمثـل ألنـاس مـن أهلـه»[1]

فعـلى هـذا يكـون عليـاً (ع) صاحـب السـبق في توجيـه ضربـة مؤلمـة لقريـش وخصوصـاً بعـد أن قتـل أكـبر رجالـه بسـيفه، لذلـك لم تسـتطيع قريـش أن تحـب علياً وأهـل بيتـه (ع) حتـى أن دخلـوا في الإسـلام، وإنـما كانـوا يضمـرون الحقـد لهـم وكانـوا ينتظـرون الفرصـة مـن أجـل أن يثـأروا لأشـياخهم في بـدر ولقـد أعلنوهـا بصـوت عـالٍ، وعـلى مسـمع ومـرى مـن المسـلمين بلسـان يزيـد بـن معاويـة وتمثلـه بأبيـات أبـن الزبعـري بعـد قتلـه الحسـين بـن عـلي عليـه السـلام في كربـلاء.

لـيـت اشـيـاخـي بـبـدر شـهـدوا　　　جـزع الخـزرج مـن وقـع الاسـل

لأهــلــوا واســتــهــلــوا فــرحــاً　　　ثــم قــالــوا يــايـزيـد لاتـشـل

قـد قـتـلـنـا الـقـرم مـن سـاداتهـم

(١) عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة للإمام علي، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د٠ت)، ج ١٣، ص ٢٩٩-٣٠٠



وعـدلـنـا بـبـدر فـاعـتـدل [1].

لا ريـب أن القلـوب تمـوج بمشـاعر مختلفـة لمـا حصـل هـذا الخـبر؟ عـلي اصبـح خليفـة المسـلمين ويتلقـى التهـاني فقـال لـه عمـر بـن الخطاب:«هنيئـاً يـا ابـن أبي طالـب، أصبحـت وأمسيت مـولى كل مؤمـن ومؤمنـة»[2]، وفي يـوم الغديـر، حيـث كان النبـي صـلى الله عليـه وآلـه قـد نـزل للتـو نهـض حسـان بن ثابـت مـن فـوره، واسـتأذن رسـول صـلى الله عليـه وآلـه ان يقـول في الواقعـة أبياتـاً مـن الشـعر، فـأذن لـه النبـي فـراح ينشـد قصيدتـه العصـماء:

يـناديهم يـوم الـغدير نبيهم ... بـخم وأسـمـع بـالـنبي مـناديا
وبـلـغـهم مـا أنـزل الله ربهم ... بـأنـك مـعـصوم فـلا تـك وأنـيا
فـقـام بـه إذ ذاك رافـع كفه ... يـكـف عـليّ معلن الـصوت عليا
فـقـال: فـمن مـولاكـم ووليكم ... فـقـالـوا ولم يـبدوا هـنـاك تعاميا
إلهـاك مـولانـا وأنـت ولـينـا ... ولـن تجد فينا لـك الـيوم عاصيا
فـقـال لـه قـم يـا عـلي فإنني ... رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فـمن كـنت مـولاه فـهـذا وليه ... فـكـوا لـه أنـصار صـدق مواليا
هـنـاك دعـا الـلـهم وال وليه ... وكـن لـلـذي عـادى عليا معاديا
فيا رب أنصرنا ناصريه لنصرهم ... إمام هدى كالبدر يجلوا الدياجيا[3]

يدعـون عـلى عـدم وجـود نـص عـلى إمامـة عـلي بـن أبي طالـب (ع) ليخفيـه

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ٥٣٧؛ابن أعثم، الفتوح، ج ٥، ص١٢٩.

(٢) ابن حنبل، مسند احمد، ج١، ص ٤٣٠

(٣) الراوندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن، ت٧٥٠هـ، نظم درر السمطين، ط١، (بلا، ١٩٥٨)، ص١١٣

الصحابة أو ينكروه، وأن دعوى النصية دعوى باطلة من أساسها، قال الحافظ ابن كثير:» وأما ما يغتر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الأغبياء، من انه أوصى الى علي بالخلافة، فكذب وبهت وافتراء عظيم يلزم منه خطأ كبير في تخوين الصحابة، وممالئتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته وإيصالها إلى من أوصي إليه، وصرفهم إياها على غيره لا لمعنى ولا لسبب وكل مؤمن بالله ورسوله يتحقق أن دين الإسلام هو الحق - يعلم بطلان هذا الافتراء لأن الصحابة كانوا خير الخلق بعد الأنبياء وهم خير قرون هذه الأمة التي هي أشرف الأمم بنص القران وإجماع السلف والخلق في الدنيا والأخرة ولله الحمد»[1]

ثبت في الصحيح من حديث ابن عباس أنه قال:»لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وآله:(هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)، فقال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غلبه الوجع وعندكم القران، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف، قال رسول صلى الله عليه وآله قوموا، قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لهم ذلك لاختلافهم ولغطهم) [2]

(١) البداية والنهاية، ج٧، ص٢٢٥

(٢) مسلم، ابي الحسن مسلم بن الحجاج، (ت٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، صحيح مسلم الجامع



لـذا نـرى ابـن يتيمـة يقول:»ومـن توهـم أن هـذا الكتـاب كان بخلافـة عـلي فهـو ضـال باتفـاق عامـة النـاس، مـن علـماء السنة والشيعة، إما أهـل السـنة فمتفقـون عـلى تفضيـل أبي بكـر وتقديمـه، وأمـا الشـيعة القائلـون بان علياً كان هـو المسـتحق للإمامـة فيقولـون: إنـه قـد نـص عـلى إمامتـه قبـل ذلـك نصـاً جليـاً ظاهـراً معروفـاً، وحينئـذ فلـم يكـن يحتـاج الى كتـاب «[1]

يقـول الأمـام الشـافعي: إن قـول الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه لعـلي بـن أبي طالـب (ع) (مـن كنـت مـولاه فعـلي مولاه):»لايـدل عـلى أن عليـاً أحـق بالخلافـة، وإنـما هـو ولاء الإسـلام كقولـه تعالى:﴿إنـما وليكـم الله ورسـوله والذيـن امنـوا الذيـن يقيمـون الصـلاة ويؤتـون الـزكاة وهـم راكعـون﴾ [المائـدة:٥٥]، وكقولـه تعـالى:﴿ والمؤمنـون والمؤمنـات بعضهـم أوليـاء بعـض ﴾ [التوبـة:٧١]، وقـول الله عـز وجل:﴿ذلـك بـان الله مـولى الذيـن أمنـوا وأن الكافريـن لا مـولى لهـم ﴾ [محمـد:١١]«[2]

ومنهـا مـا رواه أحمـد بسـنده الى ابـن عبـاس قال:(مـات رسـول صـلى الله عليـه وآلـه ولم يـوص)[3]، وغيرهـا مـن الروايـات والأحاديـث التـي يّدعـون فيهـا ان رسـول الله لم يـوص للأمـام عـلي عليـه السـلام بالخلافـة مـن بعـده

الصحيح، (دار طيبة، د٠ت)، ص ٧٧٢

(١) منهاج السنة النبوية، ج ٦، ص٢٥

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، الاعتقاد والهداية، تحقيق: احمد عصام الكاتب، ط١، (بيروت، دار الأفاق الجديدة، ١٤٠١هـ)، ص ٣٥٥، المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت ١٠٣١هـ)فيض القدير، ج٦، ص ٢١٧

(٣) مسند ابن حنبل، ج ٥، ص ٦٨

ودليلهم على ذلك خطبة الأمام علي عليه السلام أثناء الشورى التي أعقبت طعن عمر بن الخطاب قال:»لو عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً لأنفذنا عهدهِ، ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت «[1]

ويؤكدون ادعائهم انه تردد في قبول منصب الخلافة عندما عرض عليه عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، وكان يفضل ان يكون وزيراً[2] ولما ظهر علي (عليه السلام) يوم الجمل الجمل قال: أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر فأقام واستقام حتى مضى سبيله، ثم ان أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمر، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه، ثم أن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها[3] ويذكرون أن الأمام علي عليه السلام عندما كان على فراش الموت وذلك بعد ان قتله ابن ملجم، وسئل عن الشخص الذي يستخلفه قال:» أتركم كما تركنا رسول الله صلى الله عليه وآله «[4]

---

(١) الطبري، تاريخ، ج٣، ص٣٠٠؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص ٤٧٩؛ النويري، محمد بن قاسم الإسكندراني، (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت مرعشلي فواز، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)

(٢) الخلال، ابي بكر احمد بن محمد، (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م)، السنة، تحقيق: عطية الزهراني، ط١، (الرياض، دار الراية، ١٩٨٩)، ج٢، ص ٤١٥

(٣) البيهقي، الاعتقاد، ج١، ص ٣٥٧

(٤) الشيباني، أبي بكر عمرو بن أبي عاصم، (ت٢٨٧هـ)، كتاب السنة، ط١، (بيروت،



فكل هذه النصوص التي يذكرونها تدل دلالة قاطعة على ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يوص بالخلافة ولم يعهد بها لأحد بعده لا لابي بكر ولا لعلي (ع)، ولا لغيرهما، ويعتقدون على تأكيد صحة أعتقادهم أن الأمام علي بايع ابو بكر وعمر وعثمان، فلو كان هناك نص على إمامة علي عليه السلام فإنه لن يبايع بل سيناضل من اجل إنفاذ الأمر الالهي، والواقع انه بايع.

ويبرر الإمام علي عليه السلام عدم مواصلة موقفه السلبي من السلطة بقوله:» فنظرت فإذا ليس لي رافد

ولا معي مساعد إلا أهل البيت فظننت بهم عن الهلاك، ولو كان لي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عمي حمزة وأخي جعفر لم أبايع كرها، ولكني بليت برجلين العباس وعقيل، فظننت بأهل بيتي عن الهلاك «[1]

المبحث الثاني

واقعة عاشوراء

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م، بايع المسلمين

١٩٨٠)، ج٢، ص ٥٥٢؛ ابن عساكر، أبي القاسم علي، (ت٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، تاريخ دمشق، ط١، (دار الفكر، ١٩٩٦)، ج٤٢، ص ٥٤٢

(١) المجلسي، محمد باقر، (طهران، دار الكتب الإسلامية، د٠ت)، بحار الأنوار، ج٣٠، ص١٥

الإمـام الحسـن (ع) خليفـة للمسـلمين[1]، وبعـد سلسـة مـن المراسـلات بـين الإمـام الحسـن (ع) ومعاويـة بـن ابي سـفيان إذ اظهـر كل منهـما موقفـه ومـا يشـترط عـلى صاحبـه، عـلى وفـق مـا اتفقـا عـلى بنـود الصلح *بينهـما[2] تنـازل الإمـام الحسـن (ع) عـن الخلافـة لمعاويـة بـن ابي سـفيان ويعتـبرون هـذا التنازل تصديقـاً لحديـث الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه:(إن أبنـي هـذا سـيد ولعـل الله أن يصلـح بـه بـين فئتـين عظيمتـين مـن المسـلمين)[3] فمعاوية أخـذ الخلافـة بالسـيف لا بالشـورى والرضـا والإجمـاع.

---

(١) البلاذري احمد بن يحيى بن جابر، (٢٩٧هـ/ ٨٩٢م)، أنساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦)، ج٣، ص ٢٥٧؛ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، د. ت)، ج٢، ص ١١٩

(*) بنود الصلح هي:

١-أن باخذ من بيت مال الكوفة خمسة الاف درهم.

٢-يسلم الحسن (ع) ولاية أمر المسلمين الى معاوية بن ابي سفيان

٣-يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين

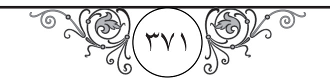
٤-ليس لمعاوية حق ان يعهد لأحد من بعده

٥-وعلى ان لايبغي الحسن بن علي غائلة سراً وعلانية

٦- على أن لايخيف معاوية بن أبي سفيان أصحاب الإمام الحسن (ع) البلاذري، انساب الأشراف، ج٣، ص ٢٨٧-

(٢) الاصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين، (٣٥٦هـ/ ٩٦٦م)، مقاتل الطالبين، تحقيق: احمد صقر، (بيروت -د٠ت)، ص ٦٤-٧٦

(٣) البخاري، محمد بن أسماعيل، (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، ط١، (بيروت، دار ابن كثير، ٢٠٠٢)، ص٦٦١



وبعد هذا التنازل، أجتمع الناس على معاوية وسمي هذا العام بعام الجماعة [1] فكان معاوية هو الخليفة يومئذ

يروي لنا الشعبي القصة فيقول:»شهدت الإمام الحسن بن علي عليه السلام بالنخيلة *حين صالح معاوية فقال معاوية: إذا كان ذا فقم فتكلم واخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر لي، فقام فخطب على المنبر فحمد الله واثنى عليه -قال الشعبي وانا أسمع -ثم قال: أما بعد فإن اكيس الكيس -أي الأعقل -التقي، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن هذا الأمر الذي أختلفت فيه أنا ومعاوية إما كان لي حق تركته لمعاوية إرادة صلاح هذه الأمة وحقن دمائهم، أويكون حقا كان لأمري كان احق به مني ففعلت ذلك «[2] وهذا الفعل من الحسن (ع) وهو الصلح مع معاوية وحقنه لدماء المسلمين والتنازل عن الخلافة يعتبرونه برهان على عدم وجود النص والوصية أذ لو كان هناك وصية لم يكن ليتنازل عنها لكونها أمر إلهي واجب التنفيذ.

وبعد ان تم الصلح بين الحسن (ع) ومعاوية جاء معاوية الى الكوفة فاستقبله الحسن والحسين على رؤوس الناس، فدخل معاوية المسجد

---

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص ٢٦١

(*) النخيلة تصغير نخلة موضع قرب الكوفة. الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)، معجم البلدان، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٨)

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد بن ايوب، (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، المعجم الكبير، (القاهرة -د٠ت)، ج٣، ص٢٣

وبايعه الحسن (ع) وأخذ الناس يبايعون معاوية، فتمت له البيعة في خمس وعشرين من ربيع الأول من سنة واحد وأربعين من الهجرة [1] لم يلتزم معاوية بالشرط الذي ينص على أن يكون الأمر ن بعده للحسن (ع) ثم للحسين (ع) لم يلتزم معاوية بهذا الشرط، بل نقضه بعد وفاة الحسن بجعل الولاية من بعده لابنه [2] وظل سب الإمام علي عليه السلام على منابر الشام قائماً رغم أن اتفاق الصلح نص على تركه لكن معاوية لم يلتزم به، ولم يعمل على رفعه، بل أكد ذلك على ولاة الأمصار والمقاطعات التي خضعت لدمشق [3]

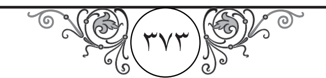
لم يكتف معاوية بذلك بل حاول التخلص من الإمام الحسن (ع) بنفسه للتخلص من باقي شروط الصلح فقد دعا معاوية مروان بن الحكم للعمل على أقناع جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي إحدى زوجات الإمام الحسن (ع)، بان تسقيه السم مع جرعة من العسل، فأن

---

(١) بن خياط، خليفة بن خياط، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط٢، (الرياض، دار طيبة، ١٩٨٥)، ص ٢٠٣؛ الطبري، تاريخ ارسل والملوك، ج٣، ص ١٦٧

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٣٢٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، مراجعة: سهيل زكار، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٠)، ج٢، ص ٦٤٩ – ٦٥٠

(٣) ابن عساكر، علي ابن الحسن، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، ترجمة الإمام الحسين، تحقيق: محمد باقر المحمودي، (بيروت، مؤسسة المحمودي، ١٩٨٠)، ص ١٨٦؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٥٤





تمكنت من ذلك وقضى نحبه، زوجها يزيد ويعطيها مائة ألف درهم [1]

وقد تبدو خلافة يزيد بن معاوية السبب الرئيسي الذي أدى الى خروج أبناء الصحابة البارزين من باحة المعارضة الصامتة الى المعارضة الناطقة حيث امتنع الحسين بن علي، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير[2] عن البيعة، بل أكدوا امتناعهم الذي سبق وأعلنوه لمعاويه نفسه عندما عيّن يزيد ولياً للعهد، وفرضه على المسلمين بعد ذلك بشتى الطرق، وأوصاه وصيته الشهيرة في التعامل مع الرافضين لبيعته:... (فأما عبد الله بن عمر، فرجل وقذته العبادة، وإذا لم يبق احد غيره بايعك، واما الحسين بن علي فان أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فاذا خرج عليك وظفرت به فاصفح عنه، فان له رحماً ماسة وحقاً عظيماً، واما ابن ابي بكر فرجل ان رأى اصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، ليس له همة الا في النساء واللهو، واما الذي يجثم لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فان امكنته فرصة، فذاك ابن الزبير، فإذا هوفعلها بك وقدرت عليه فقطعه ارباً ارباً)[3]

---

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢١٣؛ المغربي، النعمان ين محمد، (ت ٣٦٣هـ)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الاطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، (قم، د٠ت)، ج٣، ص ١٢٣

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٤٦؛ الطبري، محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٨)، ص ٣٠

(٣) الطبري، تاريخ لرسل والملوك، ج٥، ص ٣٢٢-٣٢٣



فوصف معاوية احوال المعارضين الأربعة يدل على معرفته الدقيقة بهم، واعترافه بحق الأمام الحسين بالخلافة بقوله « فإن له رحماً ماسة وحقاً عظيماً» فإذا كان الرحم هو قرابة الحسين (ع) من رسول الله صلى الله عليه وآله لانه سبطه، فان الحق العظيم لابد أن يكون حقاً بالخلافة.

وقف يزيد بن المقنع غداة دعا معاوية لبيعة يزيد وصاح. أمير المؤمنين هذا (مشيراً الى معاوية) فان هلك فهذا (مشيراً الى يزيد) فمن أبى فهذا (مشيراً الى سيفه) فقال له معاوية. اجلس، فانك سيد الخطباء [1]

جمع معاوية كل اساليب القهر لفرض بيعة يزيد حتى انه أوقف حارسين على رأس كل من عارض البيعة من ابناء الصحابة الكبار «الحسين بن علي، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن عمر، عبدالرحمن بن ابي بكر »، وقال لهم « إني قائم، فقائل مقالة، فاياكم ان تعترضوا حتى أتمها،

فإن صدقت فعلي صدقي، وان كذبت فعلي كذبي، والله لاينطق احد منكم في مقالتي إلا ضربت عنقه » [2]، ثم صعد المنبر وزعم انهم قد بايعوا، وللسبب نفسه كّبر معاوية قبل ذلك عندما بلغته وفاة الأمام الحسن (ع) [3]، ويعتبر معاوية تولية ابنه يزيد للخلافة من القضاء الالهي

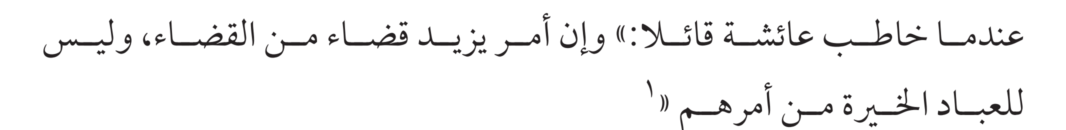
---

(١) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ص١١٩

(٢) القالي، ابي علي اسماعيل بن القاسم، ذيل الامالي والنوادر، (الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦)، ص١٩٦

(٣) المسعودي، علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر،




عندما خاطب عائشة قائلا:» وإن أمر يزيد قضاء من القضاء، وليس للعباد الخيرة من أمرهم «[1]

عندما ادرك الحسين (ع) ان الأمويين لن يوفروا دمه سواء أبايع أم ثار، وكانت تجربة اخيه الحسن (ع) عندما تنازل عن الخلافة لمعاوية، ماثلة نصب عينيه، ولذا رفض الاستماع لكل الذين نصحوه بالقعود عن الثورة، لانه أدرك انه قعد عن الأمويين فلن يقعدوا هم عنه، وهم الذين سرقوا منه حتى نسبه وادعوا انهم اقارب رسول الله الوحيدون « اقسم أهل الشام لأبي العباس السفاح أنهم ماعلموا لرسول الله قرابة، ولا أهل بيت يرثونه غير بني اميّة «[2] ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا شتم الإمام علي بن طالب (ع) فرضاً على الخطباء في كل الصلوات يتقربون بها الى الله.

ويذكر لنا ابن خلدون في مقدمته:»والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون سواه، انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق اهوائهم، باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني اميّة، إذ بنو اميّة يومئذ لا يرضون سواهم، وهم عصابة قريش وأهل الملة اجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك... وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على

اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥)، ص٨

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدنيوري، (ت ٢٧٦هـ/ ٨٢٨م)، الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق:علي شيري، (بيروت، ١٩٩٠)، ج١، ص ٢٠٥

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٣٤

الاتفاق واجتماع الأهواء، الذي شأنه أهم عند الشارع «[1] وزاد الأمر سوء أن يزيد لم يمتلك صفات القيادة المفترض اسلامياً

(وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وقرود، وفهود ومنادمة على الشراب)[2]، حتى انه لم يقتنع بالمديح الذي قيل له يوم بيعته في حياة ابيه فقال لمعاوية « يا امير المؤمنين... والله ماندري

أنخدع الناس أم يخدعوننا... ؟ فقال له ابوه:كل ما اردت خديعته فتخادع لك، حتى تبلغ حاجتك فقد خدعته «[3] وعندما قال الإمام الحسين (ع) لمعاوية بانه احق بالخلافة من يزيد رد عليه معاوية:»وأما ما ذكرت أنك خير منه فلهو أرب[4] منك وأعقل مايسرني به مثلك ألف «[5]

كانت وفاة معاوية بن ابي سفيان سنة ستين للهجرة، وقد بويع ليزيد بالخلافة في الشام فاقرّ عبيد الله ين زياد على البصرة، والنعمان بن بشير على الكوفة، وعمرو بن سعيد بن العاص على مكة، والوليد بن عتبة بن ابي سفيان على المدينة، وكانت بيعة النفر المتخلفين عن بيعته في زمن ابيه همه

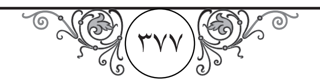
(١) تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس:خليل شحاته، مراجعة:سهيل زكار، ط٢، (بيروت، دار الطباعة والنشر والنوزيع، ٢٠٠١)، ص ٢٦٣

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص ٦١

(٣) المبرد، لابي العباس محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والادب، ج١، ص١٣٧

(٤) الأرب يعني الحاجة، أي أن معاوية يقول للحسين إن يزيد محتاج اليك، ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٢٠٨

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ج ١٩، ص٣٥٦



الرئيس، فكتب الى عامله على المدينة الوليد بن عتبه « أما بع: فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر، وعبدالله بن الزبير أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام)[1] وقد رفض الحسين بن علي عليه السلام هذه البيعة وخرج من المدينة الى مكة، وهناك توالت عليه رسائل الكوفيين، وهم كانوا يكاتبونه قبل وفاة معاوية [2] فلما كثرت رسائلهم بعث إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن ابي طالب فبايعه أول وصوله إلى الكوفة اثنا عشر الف رجل [3]، فكتب أحد اتباعه يزيد إليه يخبره بالأمر وبان عامله على الكوفة النعمان بن بشير لايرغب بالتصادم مع سفير الحسين مسلم بن عقيل ومن بايعه، فقام يزيد بعزل النعمان، وضم الكوفة إلى والي البصرة عبيد الله بن زياد الذي عرف ببطشه وكراهيته لال البيت وأمره بقتل مسلم بن عقيل ان ظفر به [4] اغرى عبيد الله بن زياد أهل الكوفة بالمال كي يحاربوا الحسين (ع) حيث جمع الناس في مسجد الكوفة فخطبهم قائلاً: أيها الناس إنكم قد بلوتم آل سفيان فوجدتموهم على ما تحبون، وهذا يزيد قد عرفتموه أنه حسن السيرة محمود الطريقة محسن إلى الرعية متعاهد الثغور يعطي العطاء في حقه حتى أنه كان أبوه كذلك، وقد زاد أمير المؤمنين في أكرامكم وكتب إلي يزيد بن معاوية بأربعة الاف

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ١٣٨

(٢) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط، ٢، (قطر، ٢٠١٣)، ص ٣٤٠

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٣٩٥

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص ٤٠٠

درهـم ومائتـي الـف درهـم أفرقهـا عليكـم وأخرجكـم الى حـرب الحسـين بـن علـي فاسـمعوا لـه وأطيعـوا والسـلام، فخرجـوا مـع فرسـانهم فاجتمعـوا عنـد عمربـن سـعد، فبلـغ عددهـم اثنـان وعـشرون الفـاً مـا بـين فـارس وراجـل [1] وجـد الحسـين نفسـه في النهايـة بـين أمريـن أحلاهمـا مـر فإمـا أن يستسـلم لابـن زيـاد أو يقاتـل جيشـه فاختـار الأمـر الثـاني، لأن الاستسـلام لابـن زيـاد معنـاه الـذل كـما قـال الحسـين: »لا والله لا أعطيهـم بيـدي إعطـاء الذليـل ولا أقـر إقـرار العبيـد« [2] فالحسـين (ع) لم يبـدي شـيئاً مـن الليونـة بـل كان يقاتلهـم بشـجاعة نـادرة، عندئـذ خشـى شـمر بـن ذي الجوشـن مـن انفـلات زمـام الأمـور، فصـاح بالجنـد وأمرهـم بقتلـه، فحملـوا عليـه، وضربـه زرعـة بـن شريـك التميمـي، ثـم طعنـه سـنان بـن انـس النخعـي واحتـز راسـه وكان استشـهاده (ع) في محـرم في العـاشر منـه سـنة إحـدى وسـتين [3]

الخاتمة

كـرس هـذا البحـث لدراسـة الصلـة بـين غديـر خـم وعاشـوراء ومـا افرزتـه الأحقـاد والضغائـن والحسـد مـن ذلـك اليـوم ذلـك هـو اليوم الـذي أثبتـت فيه مـن هـو الخليفـة بعـد رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه حيـث أكـدت النصـوص الـواردة عـن النبـي صـلى الله عليـه وآلـه ذلـك وهـذا مـا يشـهد بـه كثـير مـن الصحابـة بـل إن الصحابـة ذهبـوا الى الإمـام عـلي عليـه السـلام وقدمـوا لـه

(١) ابن اعثم، الفتوح، ج٥، ص٩٩

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص ٤٠٢

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص ٤٠٥



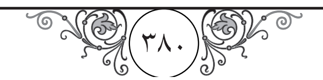


التهاني وأظهروا الفرح والسرور وهناك قول مشهور في هذه الحادثة وهو بخ بخ لك يا ابن ابي طالب وهذا هو الحق الذي أراده خاتم الأنبياء لهذه الأمة أن تسير عليه لأنه هو مع الحق والحق معه.

فحادثة الغدير بما لها من قدسية العظيمة لدى المسلمين غدت هدفا لذوي النفوس العقيمة والحقد المتوارث لكي يدسوا غبار التكذيب والتزوير في هذه الحادثة منذ وقوعها قديما ولحد الان، فقد تبنى هؤلاء تفريغ الأمر الإلهي من مصداقيته ومحتواه الحقيقي وتحمله بين التكذيب الفاضح والتهميش المتعمّد فكانت السنوات الأولى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله سنوات عجاف على ال علي عليه السلام فمنها حيكت المؤمرات وسلبت الأمانات وخفيت الحقائق التي كان مسك ختامها واقعة كربلاء.

الا أن معاوية ومن يؤيدهُ يعترضون على رسول الله الذي أمر من قبل الله تعالى أن يجعل وصياً من بعده فهل ياترى أن معاوية كان يخاف على الأمة أكثر من خوف رسول الله صلى الله عليه وآله أذا سلمنا للأمر أن رسول الله لم يترك وصياً من بعده فهذا هو اساس انبثاق فكرة ولاية العهد، أما عن كيفية تطبيقها فقد طبقت على التهديد بالقتل والتطميع بالأموال والمناصب. فرفض الأمام الحسين (ع) البيعة ليزيد مبنية على اسس واقعية، اذ لم تكن ليزيد أدنى مؤهلات الحكم والخلافة، فقد كان مستهتراً شارباً للخمر فاسقاً، بعيد عن القيم الإنسانية.

فخروج الإمام الحسين (ع) وثورته يعتبرونها غير شرعية باعتباره خرج



على امامه يزيد، فصبوا حقدهم وكرههم

المصادر

١- ابن الاثير، ابو الحسن بن ابي الكرم الشيباني الجزري، (٦٣٠ه/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق:ابي الفداء عبد الله القاضي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)

٢- الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين، (٣٥٦ه/ ٩٦٦م)، مقاتل الطالبيين، تحقيق:احمد صقر، (بيروت، د٠ت)

٣- ابن اعثم، ابي محمد أحمد الكوفي (٣١٤ه/ ٩٢٦م)، الفتوح، تحقيق:علي شيري، ط١، (بيروت، دار الاضواء، ١٩٩١)

٤- البخاري، محمد بن اسماعيل، (ت ٢٥٦ه/ ٨٧٠م)، صحيح البخاري، ط١، (بيروت، دار ابن كثير، ٢٠٠٢)

٥- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (٢٩٧ه/ ٨٩٢م)، أنساب الاشراف، تحقيق:سهيل زكار ورياض زركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦)

٦- البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت٤٥٨ه/ ١٠٦٦م)، الاعتقاد والهداية، تحقيق:احمد عصام الكاتب، ط١، (بيروت، دار الافاق الجديدة، ١٤٠١م)

٧- ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، (ت ٦٥٦ه/ ١٢٥٨م)شرح نهج البلاغة، للأمام علي، (بيروت، دار احياء التراث العربي، د٠ت)

٨- الثعلبي، ابو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم، (ت ٤٣٧ه)، تفسير



الثعلبي المسمى الكشف والبيان في تفسير القران، تحقيق:ابو محمد عاشور، ط١، (بيروت، دار احياء التراث العربي، ٢٠٠٢)

٩- الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن احمد الحنفي النيسابوري، من اعلام القرن الخامس الهجري، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق:محمد باقر المحمودي، (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٩٠)

١٠- الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، ط٢، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥)

١١- ابن حنبل، ابوعبدالله أحمد بن محمد الشيباني، (ت٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (بيروت، دار صادر، د٠ت)

١٢- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون المسمى (ديوان المبتدأوالخبر في تاريخ العرب والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس:خليل شحاته، مراجعة سهيل زكار، ط٢، بيروت، دار الطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١)

١٣- الخلال، ابي بكر احمد بن محمد ابن هارون بن يزيد، (ت٣١١هـ)، ط١، (الرياض، دار الراية، ١٩٨٩)

١٤- ابن خياط، خليفة بن خياط، (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق:أكرم ضياء العمري، ط٢، (الرياض، دار طيبة، ١٩٨٥)

١٥- الراوندي، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن، (ت ٧٥٠هـ)، نظم درر السمطين، ط١، (بلا، ١٩٥٨)

١٦- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، ط٢، (قطر، ٢٠١٣)

١٧- ابن شبّه، ابو زيد عمر بن شبّه بن عبيده بن ربطه النميري البصري، (ت٢٦٢هـ)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهيم محمد شتوت، ط٢، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٠م)

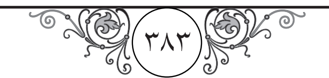
١٨- الشيباني، ابي بكر عمرو بن ابي عاصم، (ت ٢٨٧هـ)، كتاب السنة، ط١، (بيروت، ١٩٨٠)

١٩- الطبراني، سليمان بن أحمد بن ايوب، (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م)، المعجم الكبير، (القاهرة، د٠ت)

٢٠- الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن، (ت ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القران، تحقيق: لجنة من العلماء، تقديم محسن الامين العاملي، ط١، (بيروت، مؤسسة الاعلمي، ١٩٩٥)

٢١- الطبري، محمدبن جرير، (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، ١- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط٢، (دارالمعارف، ١٩٦٨) ٢- استشهاد الحسين، تحقيق: السيد الجميلي، ط٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٨)

٢٢- ابن عبد ربه، ابوعمر احمد بن محمد، (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، العقد





الفريد، تحقيق:عبد المجيد الترحيني، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)

٢٣- ابن عساكر، ابي القاسم علي بن الحسين، (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، ١- تاريخ دمشق، تحقيق:محب الدين ابي سعيد عمربن غرامة العمري، ط١، (دارالفكر، ١٩٩٦) ٢- ترجمة الإمام الحسين، تحقيق:محمد باقر المحمودي، (بيروت، مؤسسة المحمودي، ١٩٨٠)

٢٤- العيني، محمد ابن احمد (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، (بيروت، د٠ت)

٢٥- القالي، ابي علي اسماعيل بن القاسم، ذيل الامالي والنوادر، (ت٢٢٤هـ)، (الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٦)

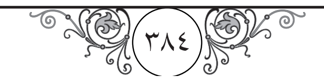
٢٦- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدنيوري، (ت ٢٧٦هـ/ ٨٢٨م)، الإمامة والسياسة، تحقيق:علي شيري، (بيروت، ١٩٩٠)

٢٧- ابن كثير، اسماعيل بن عمر (ت ٧٤٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٦)

٢٨- المبرد، ابي العباس محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والادب، (السعودية، د٠ت)

٢٩- المجلسي، محمد باقر، (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، بحار الأنوار، (طهران، دار الكتب الإسلامية، د٠ت)

٣٠- المسعودي، علي بن الحسين، (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، مروج الذهب



ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي، (بيروت، المكتبة العصرية، ٢٠٠٥)

٣١- مسلم، ابي الحسن مسلم بن الحجاج، (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)، صحيح مسلم الجامع الصحيح، (دار طيبة، د٠ت)

٣٢- المغربي، النعمان بن محمد، (ت ٣٦٣هـ)، شرح الاخبار في فضائل الاطهار، تحقيق: محمد الحسيني الجلالي، (قم، د٠ت)

٣٣- المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت ١٠٣١هـ)، فيض القدير، ضبطه وصححه: احمد عبد السلام، (لبنان، دار الكتب العلمية، ١٩٧١)

٣٤- النويري، محمد قاسم الاسكندراني، (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز حكمت مرعشلي فواز، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤)

٣٥- ابن هشام، ابو عبد الله الملك بن هشام بن ايوب الحميري، (ت ١٢٨هـ/ ٧٩٩م)، السيرة النبوية، تحقيق:طه عبد الرؤوف، (بيروت، ١٩٧٥)

٣٦- اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب، (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، دار صادر، د٠ت).

المحتويات

